

كتاب

العواصم من القواصم

تصنيف الشيخ الامام قاضي القضاة

ابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي

رحمه الله

وقف على طبعه وتصحيحه

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

الطبعة الاولى

المطبعة الجزائرية الاسلامية

سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م

كتاب

العواصم من القواصم

تصنيف الشيخ الامام قاضي القضاة

ابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي

رحمه الله تعالى

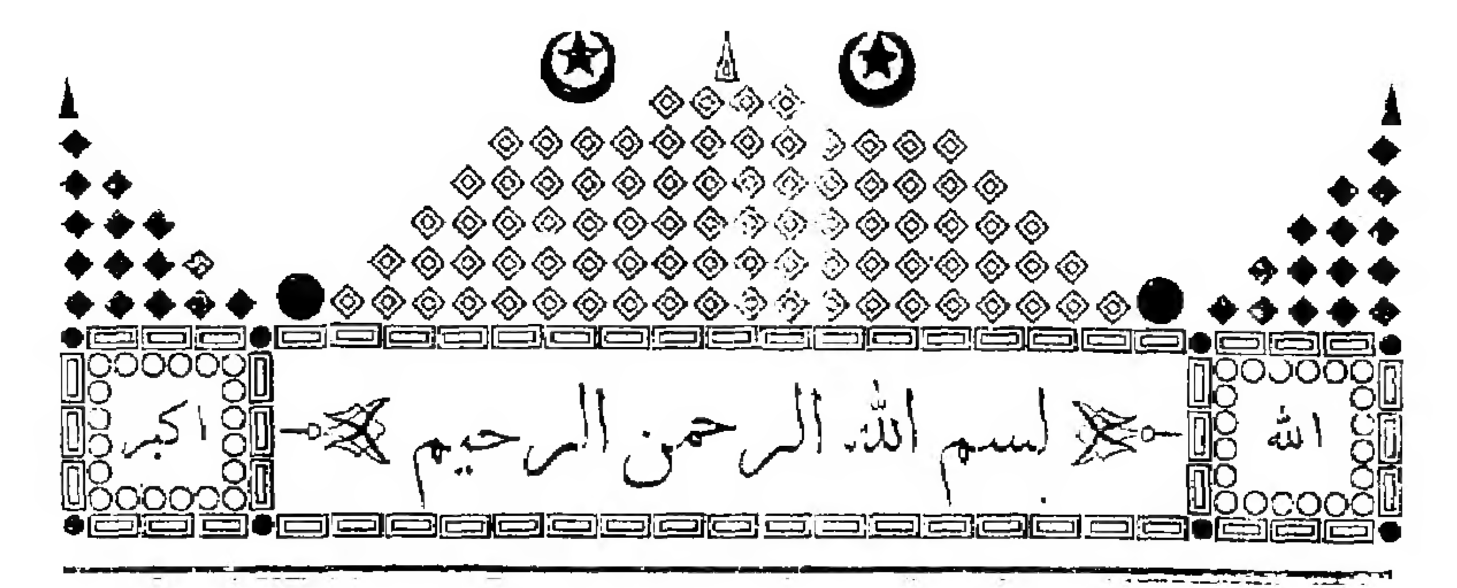
وقف على طبعه وتصحيحه

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

الطبعة الاولى

المطبعة الجزائرية الاسلامية

سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م



وصلى الله على محمد وآله قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت على الامام محمد ابي بكر بن العربي رضى الله عنه قال الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم انا نستمد بك المنحة ، كما نستدفع بك المحنة ، ونسالك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، واوزعنا شكر ما آتيتنا ، وانهج لنا سبيلا يهدى اليك ، وافتح بيننا وبينك بابا نفد منه عليك ، الك مقاليد السموات والارض وانت على كل شيء قدير .

اما بعد فان الله ببالغ حكمته ، وغالب قدرته ، وان كان واحدا في ذاته ، واحدا في صفاته ، واحدا في مخلوقاته ، فانه خلق الخلق نوعين ، وابدع من كل زوجين اثنين ، لان الوحدة له خالصة

حقيقة وبيانا، فتكون الاثنينية عليه دليلا وبرهانا. وفطر الآدمي فركب عليه وفيه الازدواج ابتلاء، يختلف به الحال استقلالا واعتلاء، اختفاء (١) وجلاء، نعمة وبلاء، ليرفعه في عليين، او يقذفه في سجين؛ قال سبحانه لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم، ثم رددناه اسفل سافلين؛ عليه البيان: بين منزلتي الدليل والعيان؛ وجعل فيه حقائق تشترك مع صفاته العلى واسمائه الحسنى في الحد؛ وتنفرد عنها بالتعالى والجد؛ ذلك ليستدل بها عليه؛ ويرجع في تحصيل العرفان اليه؛ وخلق له الملك والشيطان واخبر الصادق بواسطته وسطته؛ ان العبد بين لمتين منهما تجتذبه كل واحدة الى جهته؛ وتحاول وضعه في حصته. وتحصيله في زمرته. والرب قد احكم العاقبة بحكمته. واظهر هذا التدبير بقدرته. وانشا فيه العقل والهوى، وخلق له الضلالة والهدى. وشرح له النجدين استدراجا ليرد. وشرع له الدين منهاجا ليقارب ويسدد. وجعل له على كل واحد من الطريقين علما. ونصب عليه مناديا. فمنهم من تعرف فاجاب وعرف. ومنهم من

---

(١) في الاصل امتحالا

صدف فاني وحرف . والخير والشر مقرونان في قرن • والعقل والهوى معقودان في شطن • والدليل والشبهة يتحاربان(١) في ميدان واحد ويتسابقان الى عطن • والتوفيق والخذلان يتباريان على سنن • والعلم السابق والكلام الاول والكتاب الثاني يبرم اعلاقها • ويفتح اغلاقها ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة وان الله لسميع عليم • يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو العزيز الحكيم • ومن اجل هذا ومن جرالا • جرى كل احد من الخلق مجراه • وتباينت المدارك في المناجي والمهالك • فلئن اضاء نهار الادلة لقد اغطش ليل الشبهات او اتضحت جادة التحقيق لقد خفيت بها بنيات • حتى خفيت واضحة الطريق • فاهتدى فريق وضل فريق • واعلام الحق وان كانت قد خفقت • فقد انتشرت الوية الباطل واستشرفت • والناس اتباع كل ناعق • لا يفرقون بين السابق واللاحق • وابناء ساعتهم • لا آباء عاقبتهم • اشفت عليهم القواصم السابقة • وحاقت فوقهم العواصم المتلاحقة • فان اكبوا على ما هم فيه هلكوا • وان لمحوا علوا اعتاقوا النجاة وادركوا • ولكل سابقة من القواصم • لاحقة من العواصم

---

(١) او يتجاريان

ونحن بتاييد الله ومعونته نرتقي في المراج • الى التمييز بين هذا الازدواج ، وبين ما فيه من قواصم المكر والاستدراج ، وعواصم الانقاذ والاخراج ، بفضل الله ورحمته • وهـدايته وعصمته • لا رب سواه • ولو شاء الله سبحانه لجرد الدلالات عن الشبهات • ولم يقسم المعارف الى الضروريات والنظريات • ولا خلق العبد مشحونا بالشهوات • متقاعدا عن العبادات مائلا الى الراحات • والكل شاهد ودليل . بفعل او قيل • كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • وقال تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين • فتعارضت اسباب المقادير عليه - مع توجه الوظائف اليه - وصار لا يدري على اي صدغيه يقع - ولا من اي جهة يستبصر او ينتفع - ان اقامه الشرع الى العبادة اقعدتـه الراحة - او اراد العف بالكـف جذبتـه الاستباحة -

❊ قاصمة ❊ وصار بهذا الارتباك - جملة عظيمة في يد الاشتباك -

هاوين في دركات الهلاك - وتقطعت بهم الاسباب ايادي سبا في الضلالات - وسلكوا من الباطل في متاهات - تعطيل من غير تحصيل وكيد حائق(١) في تضليل - التق الكل في حيرة النظر في اربعة مواقف

---

(١) هذا اقرب ما ظهر من الحق

الموقف الاول

قالت طائفة لا معلوم ولا مفهوم . وانما المرء بوهمة او بوم . وما تشبثوا (١) به خيالات لا تحقيق لها . اى شيء يوثق به لثباته وانت ترى الظل يتحرك وهو ساكن والنبات ينمى وهو واقف وتعاين الشمس فى مساحة درقة والقمر في قيد الجن والكواكب كهيئة الدنانير المنثورة وتقولون ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وانه معلوم بالخبر والادلة وتقولون ان الدنيا خيالات والحقائق في الآخرة وان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، واذا كنت في نومك ترى امورا لا تشك انك على راس الحقائق فيها فاذا جاءت اليقظة ذهبت من يديك وافلت عنك ما كنت تظن انك آخذ بناصيته قابض له بيد العرفان تقوده بغاية البيان ، فما يومنك ان تكون يقظتك كذلك وانك الان على ما انت عليه من حقيقة في غير حقيقة (٢) * عاصمة * قال ابن العربى رضي الله عنه وهذا

---

(١) اى تتشبثوا

(٢) خرج في الهامش وعلي عدم من البيان في البيان خ

موقـف اول لا يدخله ليت ولا اختها لعل بل هو احسن وادل ،
قال لي ابو علي الحضرمي بالثغر (١) حرسه الله وكتبه لي بخطه ليس هذا
مذهبا لاحد ولا مقالة لبشر وانما تصدت الملحدة بذكر هذا (٢)
البلاغت بالعاا لتسترسل العامة وهو محال في محال سمي بالعربية هوسا
وهذيانا ، وسمي باليونانية سفسطة يعنون خذلانا ، وقال ابو حامد
الغزالي ان هذا الاشكال لا يتضح بالدليل وانما يروى منه القليل
ويشفي العليل ما يفيض من نفحات رحمة الله على القلوب ويشرق عليها
من نـوره حـتى اذا انشرحت الصدور وصقلت القلوب تجلت فيها
الحقائق مبادي وغايات وسوابـق ولواحق ، قـال الامام الحافظ وهذه
* قاصمة * اعظم من الاولى فانها صدرت عمن اشتهر في العلم
وقد انحط عن المرتبة العلى الى السفلى (٣) وتخرج عن زمرة العقلاء
ولا ينجى منها الا ان تفهموا * عاصمة * ان هذه كلمة صدرت

(١) الاقرب من الحق
(٢) لعله البلاغة .... لتستتر عند العامة
(٣) كذا بالاصل

مناحي صوفية لانها تعتقد ان المعقول فوق المحسوس وانا وان كنا في عالم الحس ابدانا ، فنحن فى عالم العقل قلوبا والقلوب لا تزال تقطع بينها وبين الابدان العلائق ، وتحسم المقاطع ، حتي لا تبقى بينها وبين البدن علاقة ، ولا يزال الروح بكده (٢) يترقى من درجة الى درجة في المعاوف (٣) ويتطلع من برج الي برج حتى تنتهي الى حيث خرجت وترجع من حيث جاءت . وهذا الكلام كله بناء منهم لامر (٤) الباطن ، على عقائد اختيارية (٥) ركبوها بزعمهم على قواعد عقلية واسكتوا عنهم المعارضين وسكنوا قلوب الشادين بما رووه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، وهذا الحديث ليس له اصل فى الدين ولا يدخل في منزلة من منازل السقيم فكيف الصحيح من المسلمين ، ولكنه جزء من خطبة عظم بها الخطب ، وصار به الناس البا على الب ، وقد كنت فاوضته فى امثالها واشرت بلمحة من الامساك عن الحديث الا ما صح على قدر منزلتي منه ويقول لي

(٢ ؛ ٣ ؛ ٤ ؛ ٦) اقرب ما يظهر تحت المحق

(٥) او اختبارية وهو اقرب

بضاعتي فى الحديث مزجاة ، ولقد اخذ معى في ذلك ابو بكر الفهرى عند انكفائي من العراق فاعاينته بذلك من قوله فلم يعذره كما لم اعذره وليس يخفى على ذي لب يتوقف هاهنا قليلا بنفسه (١) ولا يعجل بالحو قلة فقد امتلات من هذا الكلام كل حو صلة . ولنتعرض ألدليل ، وان كان ليس بموضع دليل ولكن هاهنا « نكتة بديعة » استفدناها في « نزهة المناظر وتحفة الخواطر » وهى ان الحقائق تارة تنكشف بالدليل من الاشكال وتارة تنكشف

دلالة الالفاظ على المعانى

فان الشيء قد ٢ فليبادر بكشف غريبه واتخذ هذا

٢ اذا ناظرت وفي الاسترشاد اذا ارشدت وبعد هذه المقدمة نقول : ان غلاة الصوفية ودعاة الباطنيه يتشبهون بالمبتدعة في تعلقهم بمشتبهات الايات والآثار على محكماتها فيخترعون احاديث او تخترع لهم على قالب اغراضهم ينسبونها الى النبى ويتعلقون بها علينا ، فمنها حديث الناس نيام وليس بخبر وانما هو مثل ضربه

---

(١) في الاصل بدون نقط واين فاعل يخفى ؟

(٢) بياضات بالاصل

الحكيم فضل الآخرة على الدنيا فاما اولا فانما على
ان ما في الآخرة ليس على حقائق ما فى الدنياوانما فى الدنيا من الآخرة
اسما لا معانى حتى نسبوا ذلك الى ابن عباس من الصدر الاول ليرتبوا
عليه ان امور الاخرة انما هى اسماء لا اشتراك بينها وبين
معانى الدنيا فى الوجود نسبتها لما فى الدنيا كنسبة البحر في المنام الاسد
والجزار و يختم — كتب الملك — الى الملك والشيع ملك
الموت الفجر في رمضان فى الدنيا بل هذ من
ذينك . ولهذه الامثال والاخبار معاني صائبة وفي منهج ائرة
« صفة الجنة » وذلك ان البنية في الدنيا مبتدأة بترتيب وفى
الاخرة منشاة دفعة في كرة ، وهى في الديا تستحيا الآخرة
تثبت وفى الدنيا تفنى وفي الاخرة تدوم وفى الدنيا . في
الاخرة لا تنحصر وفي الدنيا نافعة من وجه ضارة ودة
من نوع مذمومة من غيره محبوبة في حال مكرو هى
فى الاخرة متجددة كل صفة على (١) مقابلتها وهكذ ون
الكل كاملا صدر عن كامل لا نقص فيه الا عن كا لا

---

(١) في الاصل بلا نقط

الحق من الاولية والتقدس عن الحدث وجواز تطرق الا فات والنقص لا سيما وقد علم بالدليل كل عاقل ان الدنيا حقيقة على ما هى عليه والاخرة حقيقة على ما هى عليه وليس ما يستغرب بينهما من التباين وهما مخلوقتان باغرب من التفاوت الذى بين الخالق والمخاوق فى الذات والصفات ، ولكل واحد من هذين القسمين الاعلى الا شرف والاسفل الادنى حقائق (١) وما بينهما من التفاوت لم تبطل حقيقة الاكمل حقيقة الا نقص بل وجبت لكل واحد صفاته . « تمثيل من دليل » قد ارسل الله الرسل الى الخلق على اختلاف اطوارهم فى ازمانهم فما قال احد منهم انا في غير حقيقة ، ولا كانوا ينفون الحقائق عن اقوال المرسل فى دعاوي التوسط . وهم متفقون على اقرار الحقائق فى نصابها . واتيانها من بابها ، وانما قابلوا ادلة الرسل بالشبهات ، وجروا فى ميدان النظر والدلالات . فعاند من عاند . وسدد من سدد . « توجيه » ويحتمل ان يكون ابو حامد قد بني هذا على مذهب الصوفية فى ان العلم من ثمرات العمل . وهو وان كان قلب القوس فليس فى اول رتبة . وانما يكون ذلك

---

(١) لعل الاصل ومع ما بينهما

دعوي في النظريات او في الزيادة على مقتضى الادلة . وربما شبهوا في ذلك بقوله واتقوا الله ويعلمكم الله فافاد هذا الظاهر ان العلم ثمرة التقوى التي هي اصل الاعمال ومزجه (١) جميعها او كلها واثروا ذلك عن مالك رضي الله عنه اسكاتا لنا واعتضادا لامامة (٢) علينا من قوله : ليس العلم بكثرة الرواية . وانما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء قال القاضي ابو بكر : وهذا مقطع شريف ليس من غرضهم في شيء وانما له حقيقة معلومة وهي ان العبد اذا واضب الطاعات ونبذ المعاصي لم يكن ذلك الا باستمرار عليه واستدامة نيته فان العمل بالقصد والقصد يرتبط بالعلم فانهما اخوان فاذا دام العمل الصالح دل على دوام العلم واذا علم ولم يعمل او شك ان يذهب العلم ويكون نقصان العمل علامة على نقصان العلم او ذهابه ، فان قيل وكيف يذهب العلم بذهاب العمل والعلم اصل والعمل فرع عليه والفرع هو الذي يذهب بذهاب الاصل قلت عنه جوابان احدهما انا نمثل لكم ما يحققه فنقول انك ترى الغصن في الشجرة الناضرة ذابلا

---

(١) لعل الاصل ومرجع

(٢) لعل الاصل بامامته

فتستدل به على نقصان مادة الاصل (١) « التي كانت عنده باري »
ولولا نضوب المادة وهي الاصل من الاصل لما ذوى الغصن في الشجرة الناضرة فكان ذهاب الفرع لذهاب الاصل وعلامة عليه.
الثاني وهو ـ التحقيق ـ ان التقوى والعلم جميعا من جملة الاعمال وكلاهما من الاعمال القلبية وتنفرد التقوى بقسم منها وهو من عمل الجوارح . وهي ماخوذة من الوقاية وهي الحجاب الموضوع دون المكروه فاذا اتقيت الله بقلبك اولا كما يجب كان ذلك تعليما منه لك بوضع الحجب التي تقيك عذابه ، ووقاية العلم به للعذاب قبل وقاية العمل له للعذاب فاذا نقص العمل كان لنقصان العلم ضرورة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اخبر به انه لا يقدم على الزنا الا بعد فوات جزء من العلم ، وقد بيناه في قانون التاويل وشرح الصحيحين . وورد الحديث الصحيح : تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فاي قلب اشربها نكتت فيه نكتة سوداء فيصير اسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما اشرب من هواه . وهذا تنبيه بالغ ونص فيما

(١) هذا اقرب مايظهر من المحو

اردناه للخصم دافــع . مزيد تحقيق ولا ينكر احد من الاسلاميين لا من الفقهاء ولا مـن المتكلمين ان صفاء القلب وطهارته مقصود شرعى انما المستنكر صفاء يوجب تجلي العلوم فيه بذاته اذ هـو مقابل له فى اصل الخلقة ، وانـما الحق ان القلب بمداومة الطاعات ، والفكـرة في ملكـوت الارض والسموات يكـون ذلك من ادامة المعرفة عاما على النجاة ويكـون عمارة للبدن بالطاعات ، وقد قام الدليل العقلي على ان العلم هو من العمل قبل العمل وكـذلك قام الدليل الشرعى وشهدت له التجربة على انه انما تخشى الله من عباده العلماء ، وكل من علم ان ملكـوت الله في ارضه وسمائه الذى فيها بدنه (١) وحملته عـن مخلوقاته لم يصرفه الا فـي طاعته فان قصر فبفوات (٢) عمله بما قصر فيه وعمـا قصر عنه وعمـا قصر به وهذا كاف في الـغرض ، تكملة فنرجع الي المـراجعة مع القول الاول للقوم الاولين فنقول لهم هـذا التشكيك والخيلات الا تردونه الى الشهوات في الفرج والبطن والمعاش فى قوام الات الحياة فتدخلون

(١) كـذا بالاصل وتامل ولعله منها

(٢) لعله علمه

فيها التشكيك وتردون اليها الخيال والاختبال ، ولا يكون عندكم فيها فرق بين النظر والاهمال ، ولا بين الحلو والمر والمستقذر والمستخبث ، فان لم ينقادوا اليه نبذناهم في يم الاعتراض ، ان لم يكن بنا قدرة على القيام فيهم بالواجب والانتهاض . فان قيل قد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن شرح الصدر قال هو نور يقذفه الله في القلوب قيل له وما علامته قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود . وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق من ظلمة ثم رش عليهم من نوره فليركب عليهما . قلنا هذان حديثان موضوعان لااصل لهما ، ياليتك لم تصل عليه ثم تنسب الكذب (١) عليه ، وما انت في ذلك الا كمن يحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد كان كذا وهو كاذب ، فياليته لم يعظمه ولم يكذب فيما يقرن بتعظيمه من حديث . اما ان الحديث الاول له معنى صحيح في الدين ، فان هجر الدنيا يدل على خلو القلب من حبها ، واما الحديث الثاني ففاسد المعنى لااثر له في الشريعة ولا مبني ، ونعوذ بالله من الغرور والغرور انما خلق الانسان من طين ثم نفخ فيه من

---

(١) لعله اليه

روحه ، والذى يعقل هو الطين باقران الروح فان قيل فقد قال الله سبحانه وغرتهم الحياة الدنيا . فان كان لها حقيقة فليس فيها غرور قلنا وليس عندكم قول ولا رب ولا دليل ولا اعتراض فما لكم تدخلون دارا لستم مقرين بانكم فيها ثم تطمعون ان تتصرفوا بمنافعها، لا تتمكنون من ذلك انصرفوا صاغرين؛ وانقلبوا خاسئين. فان قيل ايها المرشد ان قال المسترشد هذا اخرجت من الدار من ليس منها فما الجواب عن هذا لمن هو من اهلها . قلنا الدنيا حقيقة بذاتها غرارة بمثا لها فانها موجودة حقيقة فانية حقيقة منقضية حقيقة ؛ فهي اذا نظرها القاصر السؤال المغلوب بالشهوات المنهمك في اللذات ركن اليها غرورا ، واذا نظرها العالم بفنائها وانها طريق لا ماوى اتخذها لذلك مسلكا ، فنال من بغيته دركا ، على ما بيناه آنفا . فان قيل والشريعة مملوءة منه قلنا نحن لم ننكر الا على تركيب الفاظ عربية او شرعية على معان صابية ونسبتها الى النبي وهذا هو الكذب معتمدا ولا سيما اذا افرغت على قالب تبني عليه اغراض مقصودة في محل معروفة ؛ فاما تنوير القلوب فهذا امر شرعى . قد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

في مظان الاجابة من آخر الليل وعند الخلوة على ما روى فى الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ى دعائه حينئذ : اللهم اجعل في
قلبي نورا وفي نفس نـورا وفى لساني نورا وفي بصرى نورا وفي
شعرى نورا وفى بشرى نورا وفى مخى نـورا وفي عظمى نـورا
وفي لحمى نـورا وفى يمينى نـورا وفى يسارى نورا وفوقي نـورا
وتحتي نورا واما منى نورا وخلفى نورا وفي قبرى نورا وعند لقائك
نورا وعلى الصراط نورا واجعلني نورا واجعل لي نورا واعطنى
نورا واعظم لي نورا ، فهذه ثلاثـة وعشرون ، منها فى صحيح مسلم
سبع عشرة دعوة والباقى صحت من طرق والخير كله نور والشر
كله ظلمة حقيقة لامجازا واخص ان العلم نـور والجهل ظلمة
والسرور نور والغم ظلمة . والحديث الذى ذكرتموه رواه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو ان الله خلق الخلق فى ظلمة فالـقى عليهم من
نوره فمـن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك
اقول جف القلم على علم الله . وهـذا الحديث حسن الاسناد لم يبلغ
درجة الصحة ولكن يشهد له ظاهر القرآن لقوله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا فالمراد بالحديث انه خلقهم في ظلمة

لا من ظلمة ، المعنى خلقهم جهالا وضرب الجهل مثلا الظلمة ثم القى عليهم من نوره فاستنار به من هداه وهو عبارة عن العلم الذي خلقه الله لمن يشاء والقبول الذى يهبه لمن يريد . — تخييل — قالوا ليس عندنا معنى يوثق به اذ الحسن خائن الا ترى انك لواخذت قبسا من نار ثم حركته بسرعة حـركة مستقيمة على وضع الخط المستقيم لرايته خطا مستقيما ولو حركته دورية لصار كرة وقد تاتي بالحـركة على صفة تكون قـوسا من دائرة ، تختلف عليه المرائى وهو نقطة واحدة ولو كانت له حقيقة ثابتة لما اختلف باختلاف الطوارى عـلى الذات من خارج — قلنا — هذا ايراد للحقائق بانها خيالات وبيانه ان القبس الذى ذكروه له حقيقة مشاهدة وله اذا سكن صورة واذا تحرك صورة فتختلف عليه الصور بالحركات والسكون وحقيقته واحدة وهذه حقيقة الحقيقة ؛ الا ترى ان الانسان له حقيقة وتختلف عليه الصور فتارة يكون ناطقا وساكتا وقائما وقاعدا الى غير ذلك من حالاتـه وتصرفاته ولا تتغير له حقيقة باختلافها عليه بل له حقيقة دائمة ابـدا لاتتغير ولهذه الصفات حقائق في ذواتها على تغييرها معلومـة محققة وكل بذاته متحيز وفي سبيل العرفان سائر وكذلك الاجسام كلها والعالم باسره .

الموقف الثانى

ذهبت طائفة الى ان تحقيق العلوم في مواقعها واعترفت بتعلقها بمعلوماتها ولكنها ذهبت الى ان الادلة وان كانت تفيدها وتقتضيها ولكن رحمة الله ولطفه اذا فاض على العبد جاءه به من العرفان مايستغرق مقتضى الادلة من البيان وهذا نحو مما تقدم ولكن تعلقت به طائفه جليلة كالحارث ابن اسد المحاسبي اولا وابى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ثانيا وبين الرجلين طوائف لايحصون كثرة من مشهور ومذكور وهذان العالمان سلكا طريقا متوسطة بين الغلو والتقصير ونجمت فى آثارهما امم انتسبت الى الصوفية وكان منها من غلا وطفف وكاد الشريعة وحرف وقالوا كما تقدم لاينال العلم الا بطهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق بينه وبين البدن وحسم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والاقبال على الله بالكليه علما دائما وعملا مستمرا حتى تكشف له الغيوب ويرى الملائكة ويسمع اقوالا ويطلع على ارواح الانبياء ويسمع كلامهم ، وهذا ووراء هذا غلو ينتهي الى القول بمشاهدة الله ، يدخلونه في باب الكرامات اذ كان من المجوزات . — قاصمه — ولقد

فاوضت فيها ابا حامد الغزالي حين لقائي له بمدرسة السلام في جمادى الآخرة سنة تسعين واربعمائة وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية من سنة ست وثمانين الى ذالك الوقت نحوا من خمسة اعوام وتجرد لها واصطحب مع العزلة ونبذ كل فرقة فتفرغ لي بسبب بيناه في كتاب ترتيب الرحلة ، فقرات عليه جملة من كتبه وسمعت كتابه الذي سماه الاحياء لعلوم الدين فسالته سؤال المسترشد عن عقيدته المستكشف عن طريقته لاقف من سر تلك الرموز التي اوما اليها في كتبه على موقف تام المعرفه ، وطفق يجاوبني مجاوبة الناهج لطريق التسديد للمريد ، لعظيم مرتبته ، وسمو منزلته ، وما ثبت له في النفوس من تكرمته ، فقال لي من لفظه ، وكتبه لي بخطه : ان القلب اذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس ، وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق ، وهذه امور لا تدرك الا بالتجربة لها عند اربابها ؛ بالكون معهم : والصحبة لهم ، ويرشد اليه طريق من النظر وهو ان القلب جوهر صقيل مستعد لتجلي المعلومات فيه عند مقابلتها عريا عن الحجب كالمرءاة في تراءي المحسوسات عند زوال الحجب من صداء لائط ، او ستر من ثوب او حائط ؛ لكنه بتراكم الافات عليه يصدا حتى لا ينجلي

فيه شيء او ينجلي معلوم دون معلـوم بحسب مواراة الحجاب لـه من ازورار اوكثافة او شفف فتتخيل فيها مخيلة غير متجلية كانـه ينظر مـن وراء شف ، الاتـرى الى النائم اذا افلت قبله مـن يد الحواس وانفك من اسرها كيف تتجلى لـه الحقائق تارة بعينها واخرى بمثالها . قال لي وقد (١) تقوى النفس ويصفو القلب حتى تؤثر في العوالم ، فان للنفس قوة تاثير به موجودة ولكن كما قلنا ما يتوارد عليها من شعوب البدن وعلائق الشهوات يحول بينها وبين تاثيرها حتى لايبقى لها تاثير الافي محلها وهو البدن خاصة كالرجل يمشي فى الارض على عرض شبر ولو عـلا جـدارا مرتفعا عرضه ذراع مااستطاع ان يبسط خطاه عليه ، يتوهم سقوطه عنه ، فـاذا استشعرت ذلك النفس واستقرت عليه انفعل البدن لها وسقط مسرعا . وقد تقوى على اكثر من ذلك فيكـون تاثيرها في غير محلها مـن جنسها كما ينظر الراءي الى جسم حسن فيقع في قبله استحسانه فاذا نطق بذلك عليه تاثر بذلك الجسم فليط (١) به او هلك في ذاته .

---

(١) خ تقوى

(١) تعلق به اذى

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر ، وقد تزيد قوتها (٢) بصفاتها واستعدادها فتعتقد انزال الغيث وانبات النبات ونحو ذلك من معجزات خارقات للعادات ؛ فاذا نطقت به كان على نحوه ، وهذه نفوس الانبياء : وهى الايات التي تايدت بها احوالهم ، — عاصمة — قال القاضى ابو بكر فلما وعيت هذا سماعا وكتابة عنه وقراءة رجعت اليه متاملا بصادق البصيرة وعرضته على قواعد النظر في المعقول والمنقول ونظرت فى افراده ثم (٣) جمعه فرايت انه لايخفي على ناظر ان النفس موجودة والبدن موجود والروح والنفس والقلب والحياة الفاظ واردة فى الشرع منطلقة فى لسان العرب على معان قد عرفوها ، اذ لايصح ان يخاطبوا بما لم يفهموا ولا ان يعبروا بما لم يعلموا ، وهى بينة عند الطوائف كلها عاقلوها ومتشرعوها ، فاما البدن فمحسوس واما القلب فمشاهد فى بعض الاحوال ولكن عند التعطل عن عمله وعند الانفصال عن محله ، واما الروح فمعقولة ، واما النفس فاختلفوا فنهم من جعلها

(٢) او بصفاتها ؟

(٣) اوجمعته ؟

الدم فتكون جسما محسوسا ، ومنهم من جعلها معقولة (١) بمنزلة الروح وحين دارت هذه الالفاظ على السنة الانبياء والحكماء المتأقفين عنهم دارت على رسم التوارد ، فقد يعبر بالروح عن القلب والنفس وعن القلب بهما وعن النفس بالروح وعن الروح والحياة بهما ؛ وقد يتعدى بهذه الالفاظ الى غير العقلاء بل الى غير الاحياء فتجعل في كل شيء فيقال لكل شيء قلب ونفس وروح وحياة استعارة ، فمن لم يعقل وجه الاستعمال تاه في مجاهل لاعمارة بعدها ؛ ومن اراد ان (٢) يلتبس بها وجد مجالا مشكلا للتلبيس لكثرة الاستعمال ، والمعلوم في الجملة انه خلق اخر غير البدن ، كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فبين ان الجسم خلق والذي فيه خلق اخر مجاور له مغاير ، وانت ترى في الجملة ان للبدن صفات هي القدرة والعلم والكلام والارادة والحياة والسمع والبصر . فهذه

---

(١) خ بمعنى

(٢) لعله يلبس

الصفات السبع هى عماد التقدير والتفكير والايجاد والتصرف ، وليس يمكن ان يقال فى الحياة اكثر مـن انها صفة بها يستعد المحـل لقبول الصفات الست وهى الـروح وهى النفس . وارادت طائفة التشغيب ان تفرد الروح ببيان ؛ وتخصه بنوع من البرهان ؛ حتى انتهى بهم القول ان يقولوا : وما الانسان . لقد اخبرنى ابـو سعيد الزنجانى بالمسجد الاقصى طهره الله عـن الاستاذ ابي المظفر شاهفوران اعرابيا دخل البصرة فراى حلقة المتكلمين فقصد اليها يظن انها حلقة ذكـر فوجدهم يتكلمون في حقيقة الانسان وقـد كان عند نفسه معلوما فلما راى اهل تلك الحلقة قد ادخلـوا في (١) مباداة مـن (٢) بديد ، واكثروا فيه من المراجعة والترديد ؛ قام وهو ينشد

ان كنت ادرى فعلى بدنه ❀ من كثرة التخليط في من انه

واحتاج شيخ السنة (١) وصاحبه لسان الامـة ، ومن دارت عليهم من طبقتهم الملة ؛ من اعيان السنة الجلة ، ان يعقدوا في ذلك ابوابا ،

---

(١) كذا بالاصل

(٢) او بريد ؟

(١) لعله صاحبه

ويجمعوه فى ذلك كتابا ؛ فاحسنوا عن الحق (١) منابا . فان الملحدة ادخلت هذه الالفاظ في باب الاشكال تشغيبا وتلبيسا . والامر فيها بشهادة الله قريب جدا . — فان قيل — كيف تقرب البعيد الذى شهد الله ببعده . ولم يجعل لاحد فيه سبيلا من بعده . فقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا . — قلنا — قد تكلمنا على هذه الاية فى انوار الفجر وشرح الصحيحين بما لبابه : ان احدا من المسلمين لم يسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح لعلمهم بها وذكرهم لها في كتابه الذى جاء به اليهم وما كان لياتي بمجهول . ولو جاء به ماقبله الاعداء منه . وقد كانوا يترصدون وجها من الظن (٢) • فكيف اذا وجدوه ياتي بما لا يعلم • ويتكلم بما لا يفهم • وانما جاءت اليهود بعنادها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عنها بظنة (٣) وعادة (٤) لم تزل تتظاهر بفسادها • مقصدها ان يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم هى كذا

---

(١) اي نيابة ويحتمل الرسم متانا اي ممانتة .

(٢) خ النقص

(٤٣) هذا اقرب مايفهم من الرسم بدون نقط

فيراجعونه فيه ويجادلونه عليها فامره الله ان يردعهم عنها صيانة له عن تشغيبهم بما لا يعلمونه ولا يفتقرون اليه ولا يحتاجونه «١» حتى قالت جماعة انه كان من وصفه في التوراة انه لا يجيب عن هذا السؤال وهذا وان لم يرد في الصحيح فليس يبعد لانه من صفاة العقلاء فكيف بالانبياء ان لا يتكلموا في فضول · ولا يخوضوا في غير تحصيل ، ولا يجوز هذا مع من يقصد التشغيب والتضليل . وانت تري ماانتهى الفضول بعلمائنا في تعرضهم لحد العلم ان بلغ القول فيه مع الخصوم الى عشرين عبارة ليس منها حرف يصح وانما هي خيالات والعلم لا يقتنص بشبكة الحد ، واذا لم يعلم العلم فماذا يطلب او الى اي شيء وراءه يتطلع ؛ وانما انشا هذا حثالة المعتزلة وكلهم حثالة لاضمارهم الالحاد قصد ايقاع التشكيك والالباس على الخلق في الحقائق ليتذرعوا بهذه الطريقة الى مقصدهم الفاسد وجعلوا يفيضون في الاعتقاد والعلم حتى انشوا كلاما يملا الفضاء حقه ان يقابل بالاعراض وقد اشرنا اليه في التمحيص وغيره . — قال القاضي — ابو بكر واذا انتهى النظر الى هذا المقام فنقول انك ايها المرء بعد لم تثبت لك معرفة النفس

(١) خ يحاجونه

والروح والقلب على ماتزعم ولا استقرت عندك حقيقة لذلك كله ، تريد ان تركب عليه انه يعلم المخلوقات ؛ ويوثر في الارضين والسموات . لقد ابعدت مرماك ؛ حققه على مايجب ، وبعد فركب عليه ماتركب . — وما الاشارة — بتجرد النفس والقلب عن علائق المحسوسات ، لترتقي الى المعقولات ، فعسى ان يكون ذلك اذا مات ، فامامع الحياة فيبعد ذلك ويستحيل عادة ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح انه ليغان على قلبي فاتوب مائة مرة فكيف يصح ان يدعى عاقل فكيف عالم قلبا لايدركه غين ؛ ولا تتطرق اليه غفلة حتى يترقى الى حالة الفناء حتى يفنى عن نفسه فلا يرى اهلا ولا حالا (١) وقد حف بالنبى الازواج وخالطهن بالوطي وكيف يدعى احد قطع علائق ربطها الله قبل ان ياذن بحلها ، وكان النبي يشدها ويحث علي النكاح وعلى انتقاء الابكار ؛ لاعلى انتفاء (٢) الانكار (٣) ؛ واي نفس تكون ذلك او اي قلب والنبى عليه السلام لم يرد الصحابه الى مازعموا من

---

(١) لعله مالا

(٣٢) كذا بالاصل

الطريقة ، وانما ردهم الي الفاظ القرءان وما كان معهم عليه حتى استاثر الله به . — واما قوله — ان ذالك ينال بالتجربة معهم والصحبة لهم فان التعرض للتجربة انما يكون فى الممكن فيحك مايمكن (١) فى مدق التجربة ؛ واما الذى لم يثبت بدليل ولا سبقت به عادة فكيف يتعرض له بتجربة والصحابة لم يسلكوا طريقه ولا نظروا تحقيقه ، والذى يدل على بعده الحديث الصحيح واللفظ لمسلم ان حنظلة الأسدي وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكرنا بالنار قال فجئت الى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المراة قال فخرجت فلقيني ابو بكر رضي الله عنه فقال كيف انت ياحنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ماتقول قال تكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كانا راى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات ، فنسينا كثيرا قال ابو بكر والله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر فدخلنا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة فقال رسول الله

---

(١) في الاصل مندق

صلى الله عليه وسلم وماذاك قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا راى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو تدومون على ماتكونون عندى فى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة . فتفطن الصحابة لتغير القلب عنده مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم عن الحالة التي يكون معه عليها ، وسالوا النبي عن ذلك فاخبرهم ان تلك الحالة لو دامت لصافحتهم الملائكة معاينة وذلك ممنوع من الله للخلق فما يفضى اليه ممنوع والا فلم لم يحضهم عليه ، وهل كان فوق منزلة الخلفاء منزلة يرتقى اليها وما كلمهم ملك ولا صافحهم . — واما قوله — بمقدمة نوع من النظر وهو النظر فى حقيقة القلب فليس له حقيقة الا التى لليد وكلاهما وتمرة وهل هما الا جسم مركب من لحم اومن لحم وعظم وعصب . — فان — قال — اكشف لي عن حقيقة القلب — قيل — له واكشف عن حقيقة اليد ولعلك تظنها الجارحة المشاهدة ؛ لقد قصر نظرك ان او قفته عليها ، هيهات بك هى معنى وراء ذلك ، فانك تشاهدها مصرفة مقدرة موجدة

منيلة معينة (١) تارة (٢) وصاحبها قائم (٣) الفيالا (٤) كالحرقة المالقالا فلو رمت انت وصاحب وصاحب الجيم في طبه وطابن (٥) فى سبيعتها والفاء (٦) في الاهيته ان يذكر في ذلك حرفا يقيد عليا لم يستطيعولا؛ ولولا التطويل لسردت عليكم فى ذلك مناظرات من نزهة المناظر وتحفة الخواطر تعجبون منها فانظروها فيها. — واما قوله — ان القلب مستعد بذاته لتعلم المعلومات فهذا لايجوز فى صفة الاله فكيف ان يجعل ذلك للقلب ، لايصح ان يجعل شيء يعلم بذاته لامن قديم ولامن محدث وهذا شيء اصلوه ليركبوا عليه انكار الصفات انما اليد والقلب موجود ان خلقهما الله ويخلق فيهما على الترتيب والتدريج ما شاء ولكل واحد مجراه الذى جعل لـه ليس لواحد منهما صفة الا ان الله يخلق فيهما مايشاء اولا يخلق . == واما المرءاة == فلا يصح التمثيل بها في هذه القضية وانا اعلم قصدهم (٧) فيها واعتقادهم فى حقيقتها فانهم بنوها على ان الادراك فيها انما يكون بانعكاس الاشعة على

---

(١) محو بالاصل

٢، ٣، ٤، ٥، ٦ كلها كذا بالاصل

(٧) خ بسرهم

زوايا (١) في مزايا وذلك مذكور في كتب المناظرة وخاصة المنسوبة الى بني الهيثم ، وانما يذكرونها جبها للناس وتشكيكه لهم وسكوتنا الى ان علماءنا قداحتجوا بها وعولوا في روية الباري عليها وانه مرئي في غير جهه ونحن الان لانفتقر اليها فلا نسلمها ولا نخوض معهم فيها وانا اعلمكم انهم اذا اجتمعوا مع إخوانهم المعتزلة فذكروا انا نحتج في مسالة رويه الباري في غير جهة بمسالة المرءاة ضحكوا منا وفكهوا بنا وحكموا بالجهالة علينا . ولقد مشيت يوماً بعسقلان الي محرس باب غزة وقد كان القاضي حامد المعتزلي الحنفي ورد علينا بها فاجتمع عليه الشيعة والقدرية واهل السنة على طريقتهم في قصد الواردين المتحلين بالعلم والمنتسبين اليه وكان بيني وبينه معرفة في المسجد الاقصى فقال له احد اصحابه هل تحكم بكفر الاشعرية في قولهم ان الباري يرى قال له القاضي حامد لانحكم بكفرهم لانهم يقولون انه يرى في غير جهة ويذكرون مالا يعقل ومن قال مالا يعقل لايكفر . وفي هذا الكلام نظر ياتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما ذكرته لكم لتعلموا قدرنا عندهم ، واولا انكم لم تتمرنوا بالهندسة

(١) او في مرايا

لا ريتكم من خطاهم فى المرآة مالا يخفى على من تعلق بشىء من الطريقة . ولقد قلت يوما لبعض حذاقهم وقد تفاوضنا فى المناظر بسبب القول فى روية الله عز وجل على اتصال الاشعة وانعكاسها بصقالة الاجسام فقلت له فهذا الماء الصقيل اذا نظرت اليه رايت نفسك معكوسا فيه وانت مستقيم عليه فاذا كان الادراك فى الصقيل لا يكون الا بانعكاس الشعاع فهذا ايضا انعكاس فى انعكاس فكيف التقيا فى خط وانحرفا فى زاوية : فبهت ، وجرى من الكلام . فلا فائدة لكم في ذلك لانه ليس من النابه (١) فانزلوا معهم الى القلب محل العلم ، فمن اين تقولون انه صقيل واصقالته تجلت المعلومات فيه فلا تجدون شيئا يعول عليه ، انما البارى يخلق فى القلب ادراك العلوم ابتداء وترتبه (٢) فيجرى التدبير فيها والتقدير والتفكير على نظام فذلك النظام المستقيم الجاري على القوام والتقويم سماه سبحانه شرحا تارة وتنويرا اخرى تعليما منه لخلقه (٣) حتى لم يتات منه لهم

---

(١) او البابه

(٢) خ يركبه

(٣) حن

نظام في الافعال المحسوسة الا بانوار الله ؛ (١) النور المحسوس والنور المعقول ، فاعرفه واعترف به ، واقدره قدره ، وانسبه الى نسبته ، وانزله فى منزلته ؛ لاتعديه عن محله ؛ - واما دعواهم - روية الملائكة والانبياء وسماع كلامهم فذلك ممكن للكافر والمؤمن اما روية الكافر فعقوبة ؛ وحجبه «٢» ويلا وفتنة ، وما روية المؤمن له (٣) فكرامة ؛ ولو كان رؤيتهم للملائكة كما يقولون لصفاء القلب الصقيل «٤» فيتجلون فيها لاقتصر رؤيتهم على القلب الصقيل ولم يرهم قلب اصداء قد تراكم بالرين ، وهذا مما يمنعونه سرا : ولا يقدرون (٥) عليه جهرا ، لانهم يتظاهرون بالاسلام . - فاما الفلاسفة - فنعوه وسياتى الكلام معهم في طريقتهم في الادلة ، وعقيدتهم فى الملة ، ان شاء الله ، وقد سمعت الصحابة كلام الملائكة وسمعها من لم يؤمن ورءآها فى صورة الادمي ؛ ورءاها فى صورة

---

(١) خ بزيادة : فالله

(٢) لعل الصواب ويل

(٣) اي لما ذكر

(٤) عليه شبه تشطيب في الاصل

(٥) هذا اقرب مايظهر

النمل ، ولم يكونوا من صفاء القلب وقطع العلائق بحيث يشترطون في رؤيتهم ، وان كانوا من تقوى الاله وفضل المعرفة باوفى مرتبة . فهذه دعاوى باطلة لااصل لها فى منقول ولا معقول ، ـ واما قولهم ـ ان النفس توثر في ذاتها حتى تترقى الى العوالم فيبعد ان يتخيل هذا عاقل فكيف عالم . انه ليس لشئ تاثير ولا منع ولا توليد لما ثبت من الادلة فى موضعه بانه لاخالق الا الله ولا يخرج من العدم الى الوجود شيء الا بقدرته وقد دللنا على ذلك في موضعه . ـ واعطف ـ على شيخنا بالكلام ، دون غيره من الانام . لما بيني وبينه من مجلس ومقام ، فاقول سبحان الله هل اخذنا عنك فى كتاب ، وقيدنا على كل باب ، الا ان الله منفرد بالايجاد ؛ متوحد بالاستبداد ، وان ماسواه لاينسب اليه فعل ، ولا يناط به حادث ، واين ماسردت في مناجاة النملة والقلم ، حتى انتهيت الى المنهج الامم ، واين التبري من الوقوف على تلك المنازل فى النوازل ، والترقى على تلك الدرجات في المدارج . حتى انتهيت الى بحبوحة القدس . والان ترد التاثير الى النفس . هيهات ان مايخلقه الله فى يدن العائن هو كما يخلقه الله فى بدن المسحور كما يخلقه في بدن

المضروب والمقتول كما يخلق حركة الخاتم بحركة اليد . اين ماقيدت بعد ان انفردت فى الاقتصاد والمستصفي وما رويت عن امام الحرمين في مدارك العقول مما قيدناه فى انفراد الباري بالايجاد وحده ؛ وكل مخلوق محل لمجاري مقادير الله ، — فان قلت — ان النفس توثر ذلك عند تعلق القصد منها اليه — قلنا — هذا لايصح من اوجه — الاول — ان هذا مما يجب ان يثبت اولا مشاهدة او لخبر صدق يوجب العلم وحينئذ ينسب الى الله ايجادا بالقدرة الاولية فى الاصل وتجعل النفس وما تعلقت به محلا لمجارى مخلوقات الله . — الثاني — انه وان كان انكشفت له المعلومات • واتضحت له المعقولات واستبصر بالحقائق والكائنات • فليس فى قوة القلب تاثير فى الايجاد وانما غايته الادراك والكشف فاما تعديه الي الايجاد فلا يصح بحال . ـ الثالث ـ انك قد قلت وجدنا بالتجربة فهذا عمر قد قال ياسارية للجبل وهذا الاوزاعى قال لرجل يعظه لواطعت الله وقلت لهذا الجبل ادن لجاءك فتدكدك الجبل وسعى حتى دنامن الاوزاعى فقال له اثبك عني انما هو مثل ضربته لصاحبى هذا • ـ قلنا ـ هذا الان قول فى كرامات الاولياء وهى اصل الدين • وعمدة من عمد المسلمين •

لاينكرها الاجاهل • اتفق عليها العلماء واختلفوا هل هى خرق عادة او اجابة دعوة • ونحن الان لانخوض فى النظر فيها فانها تجوز بخرق العادة على شروطها التي بيناها فى امالينا • ولكنها اذا جرت لاتجرى بتاثر نفس ؛ وانما يسئل العبد الصالح ربه فيجيب دعاءه فى مطلبه • ويكشف له بالمعرفة عن خفايا جهله . وهذا من الجائز القليل الوقوع • لكن الناس قد اكثروا فيه الرواية • ودعت طوائف كثيرة لهذه المنزلة • فاحدث الاكثار من ذلك انكارا واستبعادا فى اكثر نفوس الخلق — واما اضطراب الجبل — فلا يلتفت الى روايته وانما اضطرب الجبل بمكه والمدنية لمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وهذا باب اخر لاينتفع به قائله مما نحن بسبيله • وقد بيناه فى موضعه بدليله ـ قال القاضي ابوبكر رحمه الله ـ والذي قيدت عنه (١) وعن غيره قبله سماعا ورواية ان النبوة ليست بصفة ذاتيه للنبي وانما هى عبارة عن قول الله تعالى بلغ الي خلقي كلامى وهذا مما لا يصل اليه احد بعمل ولو كان اوفر من عمل الملائكة والادميين وانما ياتى موهبة من الله وهذه الموهبة التي ليس لاحد فيها حيلة

---

(١) اي الغزالي

عليه (١) دليل من الله وهى خرق العوائد وتاثيرات في العالم من فعل الله تشهد بصدق الرسول فلا يصح ان تكون شهادة فنوردها في غير محلها ولا تكون من فعل احد غير الفاعل المطلق بالحقيقة وقد قيدنا عنه ان ذلك من قوى النفس بالتاثر فى الاجسام العلوية وانما ذلك مما لا ينكر ان يكون للانبياء قال وانما ينكر اقتصارهم عليه ، ومنع قلب العصى ثعبانا . قال القاضي ابوبكر وانا اقول انى لا انكره ولكن اقول هذا التاثير للنفوس وانما هو مما يخلقه الله بقدرته وارادته للنبي مع التحدي ليكون معجزة اومع عدم التحدى فيكون اية وكرامة فاما ان يجرى على حكم النفوس مجرى الاشياء المعتادة والتاثرات المتعارفة فلا . وستري ذلك في الاملاء على التهافت ان شاء الله تعالى . وبعد النظر الطويل الذى هذه اشارته خرجت عن هذه الغمرة التى اوجبها استرسال مثله فى هذه الالفاظ القلقة التي لا تصح ان تكون فيها اذن لاحد ليذكرها فضلا عن ان يحققها ويسطرها وهى اخلاط غالبة على الفوائد ؛ ومعانى حائدة عن سنن السداد

---

(١) لعله عليها اي الموهبة

الموقف الثالث

قالت طائفة لامعلوم الا المحسوس المدرك من الحواس او ما يظهر في النفس ابتداء مما لاريبة فيه كجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ؛ فاما هذه المعارف التي تدعى ويتعرض لها بالاكتساب والفكر في تفاصيل طرقها حتى تحصل فليس وراءها طائل لاختلاطها وتشابهها وعدم الوصول اليها ومتى رايت نظارين (١) اتفقا اود ليلان وقف بك على منتهى . بل ترجع تارة وتشك اخرى ، وهذا مما لايوثق به ولا سيما اذا تعارضت الطرق او حمل معنى على معنى ؛ الا ترى ان الحذاء او حذا نعلا على مثال ثم حذا على ذلك الثاني ثالثا وتمادي كذلك الي سبعة امثلة فانك اذا ركبت السابع على الاول لم تجدلا على مثاله ؛ وهذا نظر في المحسوسات ولكنه لما بعد اضطرب فكيف فيما يخرج عن (٢) الحس — عاصمة — قال القاضي ابوبكر قال لي ابو على الحضرمي بالثغر ليس هذا مذهبا لاحد وانما اوردته

---

(١) لعل صواب العبارة كذا : نظرين اتفقا او دليلا

(٢) خ عن سبيل

الملحدة من (١) الحرمية والباطنية تشكيكا وتشغيبا والا فهم مقطوعون في اول كرة بالطريقة التى افتتح بها العلماء تصانيفهم ونقول لهم بعد ذلك هذا الكلام تطردونه في الاعمال والعقائد او تقصرونه فان طردوه في الاعمال والتصرفات وطلب المعاش فكلها نظرى لاضرورة فيه قطعا. اوقصروه على الاعتقادات الباطنه قيل لهم الاعمال التي سلمتم جريان النظر فيها انما ترتبط بالعقائد لانها تنعقد اولا ثم ترتب بالنظر، ثم يبرز العمل ماانعقد من ذلك واستقر، فدل ذلك على صحه النظر، فاذا صح النظر فيها لافادته دل على صحة النظر في الاعتقاد وحده — فان قيل — علمنا صحة النظر في الاعمال بالعثور على المقصود قطعا او بالخطا فيه قطعا. — قلنا — عنه جوابان — احدهما — أن الذي قدم النظر في الاعتقاد اولا هو رجاء الحصول كذلك في مسئلتنا ثم يكون بعد ذلك العثور على شيء او عدمه (٢) نظر اخر (٣) الثانى انا كذلك نعلم العثور على المطلوب بالنظر في باب الاعتقاد او السقوط عنه وليس يلزم ان

(١) او الخزمية او الحزمية

(٢) (٣) بياض بالاصل

يستوى النظر (١) فى الاعمال فان منها مايبدو قريبا ومنها مايبعد ومنها مايقع العثور فيه على المطلوب ومنها مايخطئى ويعلم انه من تقصيره ومنها مايشكل عليه فيتوقف ولا يعترض ذلك على اصل النظر في الاعمال بالابطال . ـ وقد يقال ـ انتم انما مقصدكم (٢) النظر حتى لا يكون ابتلاء ولا وضيفة ولا يقبل مـن نبي قول لانـكم لم تقدروا على تحقيق ذلك فنبذتموه . فانت كما قلت لمن حظر (٣) اذا نظرت في الكيمياء عمرك وقد سمعت بعدها او فقدها فلم يقطعك ذلك عنها وكذلك انت الذى خرجت تطلب الكنوز فى القبور وفي المواضع التي ترجوها فيها اولا تـرجوها . ويأتيك المنجم فيقول لـك ربعت هذه البقعة فاقتضت الطوالع ان فيها مالا فغدوت تفنى قلبك وبدنك فيها ومالك . باى محسوس ادركت ذلك ، هل فعلته الا بنظر اصله طمع . فكيف من ينظر اوليتك ومن اوّلك او اخرك ومن صورك وقدرك . وهذا الغرض لاتحقره فانا قد ردنا به عن الباطل مـن

---

(١) بها مش الاصل هكذا : (والعقائد كما لم يلزم ان يستوي النظر في الاعمال) ولعل الصواب في العقائد

(٢) لعل الاصل طرح النظر .

(٣) هكذا بالاصل وتامل .

اعتقدلا • وافهموا انكم اذا اردتم ان توقنوا مشككا وتدلوا حائرا
لم يكن فيه شيء انجع من اخده من بابه ، وهذه سيرة الله فى ادلته مع
اوليائه لاعدائه ، وسنة انبائه في ابنائه : ـ واما ـ مسألة الحذاء فقد
وقع الخطا فيها بتقصير الحذاء فى ضبط المثال اولا ، فلوارتبط لتحصيله
ولم يعجل فى تفصيله لكان السابع كالاول وقد جربناه فوجدناه ،
ولكنه اذا حذا قصر فلا يظهر التقصير فى الاول لخفائه ولا الثاني
حتى اذا ائتلف الخطا على المخطى فيه جاء محسوسا : كالجوهر فانه اذا
ائتلف صار محسوسا ولو فككت الجسم لانتهى الى حد يفوت
الالات حتى ينتهى الى حد يفوت الحس وهو معقول حتى ينتهى
الى حد تقف التجربة عنده عقلا بالدليل حسب مابيناه في كتب
الاصول . ـ قال القاضي ـ وقد راى هؤلاء المحرومون ان النظر فى
علم الكم متفاوت فى الجلا والخفا حتى لقد بينت لبعضهم فى طريق
الجدال تارة والارشاد اخرى اذا قال الرجل اثنين فى اثنين كم يكون
مجموعها فيقال اربعة فيعيد السؤال عليه في الاربعة فيقول له ستة عشر
ثم يعيد حتي ينتهى الى اعداد مركبة يفتقر فيها الى اعمال الفكر
وربما لم يصب فيها الا بعد لاي . وكذلك لو قال اربعة ونصف

ونصف وثمن ، ثم يقول لـه اربعة ونصف ونصف وثمن وربع ثلاثة اجزاء من ثمانية وتسعين راى نفسه فى اشكال طـويل ولكنه يبرز الوجه فيه التفكير ، واذا دخـل فى استخراج المعلـوم من المجهول افتقر الى نظر (١) ويتركه حتي اذا احتاج الى قسمة حقل اودار علي فرائض مختلفة لجا الى سوالا واستغاث بغيره وبذل له مالـه ونزل الى الدنية من الجهل والاستجداء الى من هو دونه فان كان ذلك محتاجا ظهر عليه بما له واشترى منه عمله وان كان غنيا ترفع عنه حتي يخضع له . — فان قال — هذا وان كان كـذلك فانه يفضى الى يقين — قلنا له — كـذلك النظر فى العقائد الدينية يفضى الي يقين ـ فان قال ـ فلما اختلف الخلق فيه ـ قلنا ـ ليس خلاف مـن خالف فى الحق مبطلا له فانما علينا ان نعرض عليه الفصول في الوصول حتى يقف على فائدة الدليل ، ونحن نقرب لكـم ـ فنقول ـ ان معظم اختلاف النظار بالحقيقة في العقائد ليس لاختلافهم في القواعد ؛ وانما ذلك لعسر الطريق وكثرة العوائق وكلال الخاطـر وضعف المنة وقلة الرغبة واحتقار الفائدة ، واحدى هـذه تبطل الارض . وان الله

---

(١) خطويل فيضجره ذلك

شاء ببالغ حكمته ونافذ قدرته ان يجعل الخلق فريقين كما بينا ويقسمهم الي الهدى والضلال وقسم علمه فيهم الي الجلي الطريق والخفي الطريق ووضعه درجات ليظهر شرف علمه ولينزل كل احد منه في درجة حتي يتفاضل الخلق كما كتبه لهم واراده منهم والا فاي دليل لم يوصل الي مدلول ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . وبالنظر في التفصيل ، يبين التحصيل ؛ وهذا كله مجاهدة على الدين وحيل في هدم قواعد الشرائع من الاباحية والتعطيلية .

الموقف الرابع

قالت طائفة العلم صحيح ولا يخلق المرء به بل يستفيده بالتعلم والعلم لا يحصل الا لمتعلم وهو طالب العلم ولا يصح ان يطلب الا من اهله وليس له اهل الا المعصوم الذي لا يجوز عليه الخطا ولا يشك فيما يلقنه وهو الامام المعصوم وفى كل وقت يتناقلون العلم من معصوم الي معصوم ويتوارثونه من امام الي امام . ـ قال الامام ابوبكر ـ وهذه اول بدعة لقيت فى رحلتي فاني خرجت من بلادى على الفطرة فلم الق فى طريقي الامن كان على سنن الهدى يغبطني تديني ويزيدني في يقيني حتى بلغت بلاد هذه الطائفة وزرت بها قبر عمرو ففجئتني من

اقوالهم ماقاله (١) عمار المذكور عمرو

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه ❀ ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

فلا بد ان يلقى له الدهر سبة ❀ اذا ذكرت امثالها تملا الفما

كلمات غرارة خاتمتها نبذ الشريعة والحقيقة والاسترسال على الاباحة. فلو فجئتنى ببدعة مشتبهة كالقول بخلق القران ونفي الصفات والارجاء لم آمن باغواء الشيطان وانتدابه ، ان يولجني فى بابه : فلما رايت هذه الحماقات اقمت على حذر بن عاصمة وقلت الحمد لله الذي اعذر وانذر ؛ وثبت وبصر ، وهذه ارض ينبغي ان يشد الي الانتصام فيها الحزام ، ويفض عن غرر هذه العورات الختام ، وترددت فيها على اقوام لم يكن عندهم الا العقائد السليمة (٢) مع مقدمات من الادلة لتحصين العقائد عن سورة شبهة فلبثت فيهم ثمانية اشهر لم يبق باطل الا سمعته ، ولا كفر الا شوفهت به ووعيته ؛ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ولم يدعوا للرحمن ولدا ، ولكنهم جاءوا باعظم من ذلك كفرا وعندا مع انهماك في

(١) فى نسخة زيادة فى قبل عمار وتامل التركيب

(٢) هذا اقرب مايظهر من الاصل ، وهى غير ماسمعه مما ذكره بعد

الكفر واستهتار ، وانحلال عن ربقة الديانة والمروءة والحشمة وخلع العذار ، فسبحان الممهل لهم من ملك جبار ؛ ثم خرجت عنهم الي الشام فوردت البيت المقدس طهره الله فالفيت فيه ثمانية وعشرين حلقة ومدرستان احداهما للشافعية بباب الاسباط والاخرى للحنفية بازاء قمامة تعرف بمدرسة ابي عقبة وكان فيه من رؤساء العلماء ورؤس المبتدعة على اختلاف طبقاتهم كثير ، ومن احبار اليهود والنصارى والسمرة (١) جمل لاتحصى فاوفيت على المقصد من طريقه ، ووعيت العلم بتحقيقه ونظرت الى كل طائفة بنا ظر (٢) رأسها وناظرتها بحضرة شيخنا ابى بكر الفهرى رحمه الله وغيره من مشيخة اهل السنة ثم نزلت الى الساحل لاغراض نصصتها في كتاب ترتيب الرحلة ، وكان الساحل المذكور مملوءا من هذه النحل الملحدية ؛ والمذاهب الباطنية والامامية فطوفت فى مدن الساحل لاجل تلك الاغراض الدينية نحوا من خمسة اشهر ونزلت عكا منها . وكان راس الامامية بها حينئذ ابو الفتح العكى وبها من اهل السنة شيخ يقال

(١) او السحرة ؟

(٢) هذا معدوم في الاصل ونبه على وجوده في نسخة بالها مش

لـه الفقيه الديبقي فاجتمعت بابي الفتح فى مجلسه وانا ابن العشرين فلما رآنى صغير السن كثير العلم غزير القول مصيب القصد منطقا (١) منذ لقا متدربا ولع بي . وفيهم لعمر الله وان كانوا على مذهب باطل انطباع وانصاف ، واقرار للرجل بفضله اذا ظهر واعتراف ، فكان لايفارقنى ؛ ويسارعنى فى السؤال والجدال ولا يفاترنى ، فتكلمت على ابطال مذهب الامامية والقول بالتعليم من الامام المعصوم بما يطول ذكره في هذا العصر. — ومن جملة كلامنا فيها — انهم يقولون ان لله فيعباده اسرارا وله فيهم احكام والعقل لا يستقل بدركها ولا يقوى على نيل الحقيقة من دين ارتباك الشبه فلا يعرف ذلك الا من قبل امام معصوم . وهذا مما ينبغي ان يعلموا انه راجع الى القول بالحلول وانما عرجوا عنه ليبعدوا منه وهم عليه محاقون واليه راجعون . — قلت لهم — بعد ان فهمت امرهم وتحققت مقصدهم ووعيت عن بعضهم انه يورده بعبارة اخرى فيقول ان الله امر بالحق وعلم الصدق علي يد مبلغ معصوم وهو النبي والا يكن الامر على هذا فقد زلقنا عن درج الحق الي الباطل وعن منزلة اليقين الى الشك وعن حال

(١) لعله منطيقا .

الثقة الى الارتياب -- فقلت — امات الامام المبلغ عن الله لاول ما امره بالتبليغ ام هو مخلد فقال لي مات ، وليس هذا بمذهبه ، ولكنه يسير معى به ؛ وانما حقيقة مذهبه ان الله سبحانه يحل في كل معصوم فيبلغ عنه فالمبلغ هو الله لكن بواسطه حلوله فى آدمي ؛ فقلت هل خلفه احد قال خلفه وصيه علي ، قلت له فهل قضى بالحق وانفذه ام لا قال لم يتمكن لغلبة المعاند . قلت فهل انفذه حين قدر ، قال منعته التقية ولم تفارقه من يوم العهد الى يوم الموت الا انها كانت تقوى تارة وتضعف اخرى فلما ولى بقيت من التقية بقية فلم يمكن الا المداراة للاصحاب ، لئلا ينفتح عليه من الاختلال ابـواب . — قلت لـه — وهذه المداراة هى حق ام لا قال باطل اباحته الضرورة — قلت — فاين العصمة ، قال انما تتعين العصمة مع القدرة ـ قلت ـ فمن بعده الى الان وجدوا القدرة ام لا ، قـال لا . ـ قلت ـ فالـدين مهمل والحق مجهول مخمل . قال سيظهر ـ قلت ـ بمن ، قال بالامام المنتظر ـ قلت ـ لعله الدجال ؛ قال (١) فما بقي احد الا ضحك وقطعنا الكلام على غرض مني لاني خفت ان افحمه فينتقم مني في بلاده ـ قلت ـ ومن العجب

---

(١) اي ابن العربي

مافى هذا الكلام ان الامام اذا او عز الى من لاقدرة له فقد ضيع فلا عصمة له ، واعجب منه ان الباري على مذهبه اذا علم انه لاعلم الا بالمعلم وارسله عاجزا مضعوفا لا يمكنه ان يقول ماعلم فكانه ماعلمه وما بعثه وهذا عجز منه وجور لاسيما على مذهبهم فراوا من الكلام مالم يمكنهم ان يقوموا معه بقائمة . وخرج البحث وشاع به الحديث فاراد رءيس الباطنية المشهور (١) بالاسما علية ان يجتمع معى فجاءني ابو الفتح الى مجلس الفقيه الديبقي وقال لي ان رءيس الاسما علية رغب في الكلام معك فقلت انا مشغول فقال هاهنا موضع قريب قد جاء اليه وهو محرس الطبرانيين مسجد فى قصر على البحر شامخ البنا مشيد البنا ، وتحامل على فقمت مابين حشمة وحسبة . وللمحرس المذكور رائعة فقطعتها ودخلنا قصر المحرس وصعدنا إليه فوجدتهم قد اجتمعوا فى زاوية المحوس الشرقية فرايت النكر في وجوههم فسلمت ثم قصدت جهة المحراب فركعت عنده ركعتين لاعمل لي فيه (٢) الا تدبير القول معهم والخلاص منهم فلعمري (٣) الذي قضى

(١) الصواب المشهورة

(٢) لعله فيهما

(٣) الصواب فلعمر

علي بالاقبال الى ان احدثكم ان كنت رجوت الخروج من ذلك المجلس ابدا . ولقد كنت انظر الي البحر يضرب في حجارة سود محددة تحت طاقات المحرس فاقول هذا قبري الذي يقذفونني فيه ، وانشد في سري

الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا ❀ سوى البحر قبرا وسوى الموت اكفان

وهى كانت الشدة الرابعة من شدائد عمري التي انقذني الله منها ، فلما سلمت استقبلتهم وسالتهم عن احوالهم عادة ؛ وقد اجتمعت الى نفسي وقلت اهون ميتة واشرفها في اكرم موطن اناضل فيه عن الدين واكون قيم المسلمين . فقال لي ابو الفتح واشار الى فتى حسن الوجه هذا سيد الطائفة ومقدمها فدعوت له وسكت فبدانى وبدرنى وقال قد بلغتني مجالسك ، وانتهى الى كلامك ، وانت تقول قال الله وفعل الله ؛ فاي شيء هو الله الذى تدعو اليه ، وتكثر من ذكره ، اخبرني وبين لي واخرج عن هذه المخرقة التي جازت لك على هذه الطائفة الضعيفة ، وقد احتد نفسا ، واحتدم جلدا ، وامتلا حنقا وغيظا ، وجثا على ركبته ، كما عامت بقوله (١) ولم اشك انه لايتم الكلام الا وقد اختطفنى اصحابه قبل الجواب ، وعمدت بتوفيق الله

(١) خ عاث بقوله

الي كنانتي واستخرجت منها سهما صائبا كان من عددى فضربت به حبة قلبه فسقط لليدين وللفم ؛ ولم يبق له كلمة تجرى على القلم ، — وشرح ذلك — ان الامام ابا بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلي الحافظ الجرجاني قال كنت ابغض الناس فيمن يقرا علم الكلام . وذلك لانه كان معرقا (١) في علم الحديث (٢) عرفا فيه . قال فدخلت يوما الرى فعمدت الي جامعها فدخلته واستقبلت سارية اركع عندها واذا فيما يجاورنى رجلان وهما يتذاكران علم الكلام فتطيرت بهما وقلت اول مادخلت هذه البلد سمعت فيها ماأكره وجعلت اخفف الصلاة حتى ابعد منهما فعلق بي من قولهما ان هؤلاء الباطنية اسخف خلق الله عقولا ، وينبغي للنحرير ان لايتكلف لهم دليلا ، ولكن يطالبهم بلم ؟ فلا قبل لهم بها ولا معدل معهم عنها وسلمت مسرعا وشاء الله بعد ذلك ان يكون رجل من الاسماعلية ولفهم القرامطة يلقون الامر الي معرفيهم (٣) فكشف القناع في الالحاد وجعل يكاتب

---

(١) او مغرقا

(٢) كذا بالاصل ولعله عاما

(٣) كذا بالاصل

وشمكير الامير يدعوه الي الالحاد ويقول لـه انى لااقبل دين محمد الا بالمعجزة فان اظهرتموها رجعنا اليكم وانجرت الحال الي ان اختاروا رجـلا منهم جلدا له دهاء ومنة فورد على وشمكير رسولا فقال له انك امير ومن شان الامراء والملوك ان تتخصص عن العوام ولا تقلد فى عقيدتها وانما حقهم ان يفحصوا عن البراهين فقال له وشمكير اخترو ا (١) رجلا من اهل مملكتي ولا انتدب للمناظرة بنفسى فيناظره بين يدى فقال له الملحد اخترت ابا بكر الاسماعيلي لعلمه بانه ليس من اهل علم التوحيد وانما كان اماما في الحديث ولكن كان وشمكير يعتقد فيه انه اعلم اهل الارض بانواع العلوم فقال له وشمكير تيك (٢) مـرد اى رجل جيد فـارسل الملك الى ابي بكر الاسماعيلي بجرجان ليرحل اليه الى غزنة حتى يناظر الاسماعيلي لما كان يسمع من ذكره وامامته فى الحديث والملك بعاميته يعتقد انه قائم على كل عـلم وانه ليس فوقه احد ولا وراءه مطلب فلم يبق احد من العلماء الايئس من الدين وقال سيبهت الاسماعيلي الكافر مذهبا، الاسماعيلي الحافظ نسبا،

(١) الصواب اختارا واختاروا

(٢) كلمة فارسية

ولم يمكنهم ان يقولوا للملك لا علم عنده لئلا يتهمهم بالحسد فلجؤوا الى الله ان ينصر دينه وعولوا عليه . -- قال الاسماعيلي — فلما جاءني البريد واخذت في المسير وتدانت الدار قلت انا لله وكيف اناظر فيما لا ادري واتكلم بما لا اعلم هل اتبرا الى الملك اولا وارشده الي من يحسن الجدل ويعلم حجج الله في خلقه على صحة دينه وندمت على ماسلف من عمري ولم انظر في شيء من علم الكلام ثم اذكرني الله ماكنت سمعته من كلام الرجالين بجامع الري فقويت نفسي وعولت على ان اجعل ذلك عمدتي وبلغت البلد وتلقاني الملك واستراح ثم جمع الخلق وحضر الاسماعيلي المذهب مع الاسماعيلي النسب وقال الملك للاسماعيلي الباطني اذكر قولك يسمعه الامام فلما اخذ في ذكره واستوفاه قال له الاسماعيلي الحافظ لم . فلما سمعها الملحد قال هذا امام قد عرف مقالتي فبهت فقال له الملك « اذ انا شمنسد ورخين » (١) ورجع الي اصحابه وهو يشير الى الاسماعيلي وهو يقول « اجو مردد انشمند » (٢) وروى انه قال « باكشخان خوستي كه » (٣) فرد مناظره وطرده . — قال الاسماعيلي — وخرجت من ذلك اليوم

---

(١) و (٢) و (٣) كلمات فارسية

وامرت بقراءة علم الكلام ، وتحققت انه عمدة من عمد الاسلام .
— قال القاضي ابوبكر — وحين انتهى بي الامر الى المقام المتقدم
قلت ان كان في الاجل شيء فهذا شبيه بيوم الاسماعيلى فرددت وجهى
الي ابى الفتح الامامي وقلت له لقد كنت فى لاشيء ولو خرجت
من عكا قبل ان اجتمع بهذا العالم مارحلت الي غربنا عن نادرة الايام
انظر الى حذقه بالكلام ومعرفته قال لي اى شيء هو الله ولا يسل
يتمثل هذه الامثله ولكن بقيت هاهنا نكتة لابد ان ناخذها اليوم عنه
وتكون ضيافتنا عنده . لم قلت اى شيء هو الله فاقتصرت من
حروف الاستفهام على اى وتركت الهمزة وهل وكيف واين وكم وما
وهى ايضا من ثوانى حروف الاستفهام وعدلت عن الام من حروفه
فهذا سؤال ثان عن حكمة ثانية . ولاى معنيان فى الاستفهام فاى
المعنيين قصدت بها ولم سالت بحرف يحتمل (١) ولم تسل بحرف مصرح
(٢) بمعنى واحد هل ذلك وقع منك بغير علم ولا تحصيل ولا قصد
لحكمة ام لحكمة فبينها لنا . فما هو الا ان افتتحت هذا الكلام
واسحنفرت (٣) فيه وهو يتغير حتى اصفر اخرا كما اسود اولا من

---

(١) او محتمل (٢) او يصرح (٣) او اسحنفزت

الحقد ومات قبل ان يموت ورجع احد اصحابه الذي كان عن يمينه الى آخر كان الى جنبه وقال لـه والله ماهذا الصبي الابحر زاخر في العلم مارأينا مثله قط وهم ماراوا قط احـدا به رمق لان الدولة لهم . ولولا مكاننا مـن رفعة الدولة ملك الشام فان والي عكا كان يحكمنا (١) لانا جلبنا اليه كتابه بان يبالغ فى برنا وينتهى الى الغاية فى محارمتنا (٢) ماخلصت منهم فى العادة ابدا وحين سمعت تلك الكـلمة من اعظامي طلبت ماامامي وقلت هذا مجلس عظيم وكلام طويل يبين (٣) انه يفتقر الى تفصيل ولكن نتواعد الى يوم اخر وقمت وخرجت فقاموا كلهم معي وقالوا لي لابد ان تبقى قليلا فقلت لا واسرعت حافيا فلما جئت الـدرابزين لم انزل على الدرج ووثبت ـفي وسط القصر وخرجت على الباب الى الزائقة اعدو حتي اشرفت على قارعة الطريق وبقيت هنالك مبشرا نفسي بالحياة حتى خرجوا بعدى واخـرجوا الى لالكتى (٤) فلبستها ومشيت معهم متضاحكا ووعدوني بمجالس فلم اف لهم الى ان خـرجت عنهم وخفت وفاتي فى وفائي وفي ترتيب

---

(١) لعله يحترمنا (٢) لعله في مكارمتنا (٣) لعله نبين

(٤) شيء كالنعل

الرحلة بقية الحديث — قال القاضي ابو بكـر — وقد كان قال لي اصحابنا النصيرية (١) بالمسجد الاقصى ان شيخنا ابا الفتح نصر ابن ابراهيم المقدسى اجتمع برئيس من الشيعة فشكا اليه فساد الخلق وان هذا الامر لايصح الا بخروج الامام المنتظر فقال له نصر هل لخروجه ميقات معلوم ام لا. قال الشيعي نعم لخروجه ميقات ، قال له ابو الفتح نصر معلوم هو او مجهول قال الشيعى معلوم ؛ قال نصر ومتى يكون ، قال له الشيعى اذا فسد الخلق قال له ابو الفتح نصر فلم تحبسونه عن الخلق وقد فسد جميعهم الا انتم فلو فسدتم لخرج فاسرعوا به واطلقوه من سجنه او نحو هذا وعجلوا بالرجوع الى مذهبنا فبهت . واظن انه سمعها من شيخه ابي الفتح سليمان بن ايوب الرازي الامام الزاهد .—تكملة—وقولهم ان العقول نقصر فلا بد من معلم . صحيح . وقولهم ان المعلم يكون معصوما ، صحيح . ولكن هذا المعلم الاول الواسطة بين الله وبين الخلق ، ويجوز ان يكون واحدا ويجوز ان يكون الفا وقد بعث الله واحدا واثنين وثلاثا فاما من ياخذ عن هذه الوسائط فلا يلزم ان يكون معصوما ، فما دليلكم عليه ولا

---

(١) لعله النصرية نسبة الى الى ابى الفتح لا نهم تلامذته

كلام لهـم بعد هذا يحكى . -- قال القاضى ابـوبكر -- وجدت مجالس سوى هذا بيانها فى موضعها . منها انه لما شاع في البلدة المذكورة ذكرى ، واستفاض امرى ، وتفاقم عليهم خطبي ، وكان بها امير من امراء الشيعة له باع في الجـدال ، ويميل مع التشيع الى الاعتزال ، ودعا الي البدعة والضلال ؛ فلما سمع بذكرى ترصد الاجتماع بي فلم يبق الا يوم التبريز للخروج الي طبرية فنزل في رحلي على سيف كبكبته فجزعنا لعمر الله حين حل بنا لان الامر لهـم والدولة دولتهم والبلاد بلادهم ؛ فلما استوى به الدست فاتحناه بالقول وفي القوم بشهادة الله وان خالفونا فى العقيدة بـر في اللقاء وحلاوة في المنطق واحتمال كثير . فقال لي بلغنى انك جادلت اصحابنا هاهنا وسمعت بانفصالك فاردت لقاءك لاعـلم ماعندك واطلع قـدرك . فتراجعت الي نفسي ووطنتها على ماعسى ان يلقا (١) من المكروه فى ذات الله . وكان يكلمنى بكلام عذب والنكراء على وجناته باديه . فقلت له قد كان بعض مابلغ الامير وهو مشكور على اهتباله وبره ، ومثله عرف لكل احد مبلغ قـدره ، ولـو ارسل الي مشيت اليه مبادرا متشرفا بلقائه

---

(١) الصواب تلقى او يلقاني

مستسعدا برؤيته فقال مادليلك على ان الله تعالى عالم بعلم فقوي قلبي وحضر لبي واستنفرت وقلت مثل الامير في منصبة وفهمه لايرضا بهذا فقال لي وما هو قلت حكمت علي باني اقول ان الله عالم بعلم ولم يسمع [١] ذلك مني ولا شهدت بذلك عندك علي (٢) ولو سمعته فمن ادب الجدال السؤال اولا عن المذهب ثم بعد ذلك عن الدليل على صحته . فقال لي قد علمت بالسماع المتواتر انك اشعري . قلت هذان وهمان احدهما ان الخبر المتواتر لايوجب عندك شيئا وهو مذهب الامامية. الثاني انك اذا سمعت اني اشعرى كيف حكمت باني مقلد له في جميع قوله وهل انا الاناظر من النظار ادين بالاختيار واتصرف في الاصول بمقتضى الدليل ، فبان سمعت انى ناظرت فى مسائل على مذهب الاشعري حكمت فيما لم تسمع بما سمعت ، اي نوع هذا من النظر ، مثلك لايرضى به فى جلالة منصبه فصرف وجهة الي ابي الفتح شيخ الامامية بها وهو كان جليسي ومناظرى ايام كوني بها فى كل وقت فساره فاخذت من تحريك شفتيه انه قال له هذا صبي

---

(١) او تسمع

(٢) اي بينة

لا يطاق فلما فهمتها استرسلت استرسالا، وافضت في الكلام ادلالا؛ فقلت وكان من حق الامير ان يقبل على مسائله المختصة به ولا يسلني اولا عن مسلة ليست له وانما هي من مسائل المعتز له فاردت ان تجادلني بكلامهم وان تقاومني بحجاجهم وتركت مايختص بك دونهم كمسلة عصمة الامام وكونه المرجوع اليه والمحكوم في الدين بقوله فهلا بدات بها واظهرت علمك فيها وفخرت على قومك بالكلام عليها. (١) فلما رءى الشدة في الحدة وقد تحلقت علينا الاجناد والعسكرية (٢) وستوفت القافلة وخاف الظهور عليه حل حبوة الجدال ولاطف في الكلام والاسترسال، ودعا مقدم القافلة فقال له انظر من معك واقدر قدر صاحبك ولا تصل الي الا بكتابه شاكرا والا فلا ترجع الى البلد فشكرناه ودعونا له وقام فحسن (٣) ركابه، وخاب ايابه؛ وانصرف في كبكبته؛ وقد عصمنا الله من سطوته، وخرجت عن عكا الى طبرية على حوزان والبنينية (٤) وعدلت عن بصرى الى

---

(١) هذا ماظهر من البياض
٢) اعل الاصل واستوقف
٣) و (٤) كذا بالاصل

دمشق لوجوه بيناها فى كتاب ترتيب الرحلة . فمن هناك اشرق (١) الحق بنوره واتصل المسير الى دار السلام فالفيت بها من رؤساء العلم ورؤسه واشياخ الملة واحبارها مايملا الخافقين فقلت هـذه ضالتي التي كنت انشد وكان فيها قاضيان عظيمان دينا فى الظاهر ابو اليمن الحنفي وابو سعد الهروى فجالستهما وسمعت كلامهما واذا بهما على هذا المذهب واحدهما وان كان يلوح فابو سعد كان يصرح ولم يكن يظن عندى من مذهب القوم واغراضهم علما . وفشا ذلك في خراسان من لدن موت ابن الفتح الملك العادل وقتل التاجيه لخواجا بزرك (٢) المقلب بنظام الملك وزير ابى الفتح (٣) تاج الملك وزير خاتون باطنيا وتحزبت الباطنية الى قلعة اصبهان وثارت فى الجبل حتى بلغت همدان يدعوا الى الجدال فارسل الملك الى الغزالي فصنف له كتابا سماه « حجة الحق » في الرد على الباطنية بالعجمية وكلفه الخليفة ان يضع له في ذلك شيئا فارسل اليه كتابا سماه « فضائح الباطنية

(١) خ عاينت
(٢) هذا كلمات العجمية
(٣) بياض لعله وكان

وفضائل المستظهرية » في كشف اعوارهم وهتك استارهم وتبيين عوارهم، برع فيه وان كان القاضي ابوبكر قد سبقه اليه ولكن اجاد هذا في الترتيب فنوظروا فى ذلك ونزلوا الاطائفة بددهم الجبل حتي استنزلوا بالحيل وتفرقوا فى البلاد ايادى سبا ووقعت الى العراق منهم طائفة فلقطوا بها لقط الطائر حب السمسم وعقد لهم مجاس وقرروا فيه فنهم من انكر ومنهم من اعترف واستمر ومنهم من تاب واستغفر فقال الشافعية تقبل توبتهم وقال الحنفية لاتقبل لهم توبة وجرى في ذلك كلام بين ابي بكر الشاشى الشافعي وبين الشريف ابى طالب الزينبي الحنفي ورحل المنشور بصورة المجلس الي الخليفة احمد المستظهر بالله رحمة الله فوقع يقتلون دون قبول توبتهم حسبما رءاه امام دار الهجرة مالك فانهم اخبث الطوائف مقالة واسخفها حجة ودلالة اليس شاعرهم الذى يقول :

حل برقادة المسيح ❀ حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذوى البرايا ❀ فكل خلق سواه ريح

وهو القائل مخبرا عن صاحب مظلته :

امديرها من حيث دار الظل ما ❀ زاحمت تحت ركابه جبريلا

وماذا يستبقي مـن هؤلاء . فكانت اول مسالة حكم فيها بمذهب مالك بمدينة السلام بعد احوال واعوام وكانت بعدها اخرى نثبتها في موضعها . وهذا الذي احتج به الخليفة عليهم هو الذي اشرت به عنه من قولهم ان الله يحل فى كل رسول وامام ويشافه الخالق وعيسى من محاله ومحمد وعلى عندهم وكل علوى مثلهم يحل الالاه فيهم الى سخافات وراءها تهتكات لاينبغي ذكرها ولولا ان الله سبحانه ذكر المقالة الفاسدة تحذيرا عنها واقامة للدليل عليها ماقلنا هذا ابدا ولا رضينا بذكره . وما ضل من اقتدى ولا قصر من ناضل عن دين الله بالهدى . ولقد اخبرني من اثقه غير واحد ان قاضي همدان كان باطنيا وانه كان ان سمع عن سني قال لباطني ارفعه في الدعوة فاذا رفعه اليه ودخل داره امر بقتله ورمي في مغواة فطاب ذلك الرجل (١) له خبر ابدا وفشت الغيلة فيهم حتى قام شيخنا ابو المظفر ابن رجا المهداني الشافعي خطيب اصفهان على المنبر وخطب مؤيد اللدين ومحرشا للموحدين ومستنجدا لهم على مايفعل باهل السنة من المومنين وقال في خطبته مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون وسل سيفه على المنبر ونزل

(١) بياض بالاصل لعله فلا يوجد

فقتل الباطنية فما بقي منهم في ذلك اليوم باصفهان الامن خفي امره او اخفى نفسه وطهرها الله منهم الى انكفائي عن العراق — قال القاضي ابوبكر — وكان قد ظهرت لهم فى القراطيس الملقاة عندهم جملة ارتفع الى الخليفة بعضها من مقالاتهم قرطاس فيه ان الحق مطلوب كل عاقل وطريق تحصيله ابدا معلوم وهو انه رفيق الوحدة والباطل حيث الكثرة وهذا ينقاب عليهم فيقال لهم الحق حيث الكثرة والباطل حيث الوحدة ويد الله مع الجماعة والحق ماكثرت الشهود عليه وبعد ان تقلبه عليهم لايكون لهم كلام به احتفال اذ ما كان (١) اوله ليس له ثبات فاخره شر من اوله . — جواب آخر — يقال لهم بم عرفتم ان الحق في الوحدة ابقول الامام ام بالتجربة او بالنظر وليس لهم عن هذا جواب به احتفال وكنا نورده الا انا كرهنا التطويل ورجونا (٢) عليكم به . — جواب آخر — هذا يبطل كل حقيقة فان قائلا لو قال ان السموات سبع وقال آخر ان السموات واحدة لقلنا يلزمكم ان تقولوا ان السماء واحدة لان الحق في الوحدة

---

(١) هذا اقرب ماظهر من البياض

(٢) كذا بالاصل

وكذلك لو قال قائل الامام واحد هـو الحق فمن قال انهم ائمة فهو باطل لان الحق في الوحدة وهـذه مسكتة لهم وقد جربناها — قرطاس — قالوا انما ينتقل الي البدل مع عدم الاصل كالتيمم والنظر بدل من الخبر فان كلام الله هو الاصل فهو خلق الانسان وعلمه البيان والامام هو خليفته ومع وجود الخليفة الذي يبين بقوله لا ينتقل الى النظر — قال القاضي ابوبكر — هذه كلمات خبيثة ملفقة من جزء عشر العشر فيه طيب لكنه قرن الى باطـل خبيث مبطل للكل . كلام الله هو الكل ولكن لا يبلغ الى كلام الله الا واسطته . وقد قال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان العاقل لا يصح ان يدرك بذاته كل العلوم حتى يبعث الله من يرشده وهو (١) وقولهم ان خليفة الله هو الذى يبلغ عنه (٢) الخليفة هو النبي الذى سن ثم استاثر الله به ولا معصوم بعده لكن العلم فى ذاته معصوم فاذا اخذ عن المعصوم قطعا فحسن وان اخذ عن غير معصوم وعيته وسبرته بالقانون الذى بينه المعصوم وافرغته في قالب العلم المعصوم فهو ينبيك عن قراره ومنته بذلك على

(١) بياض ولعله المعصوم
(٢) بياض قدر كلمة

غرارة فلا يصح لهم هذا الكلام بحال لاسيما وهم يقولون ان المعصوم غائب (١) قد بث الدعاة يقال لهم ومعلمنا محمد قد بث الدعاة فان قيل نحن اذا اختلفنا فى شيء رددناه الى امامنا المعصوم الذى اكمل لنا التعليم وقال لنا عن مرسله العظيم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ويقال لهم ولعل معلمكم الغائب قد مات وليس لهم بعد هذا الا (٢) مايحكى . ـ قاصمة ـ وكان هذا الداء في الاسلام لوجهين احدهما ان المجوس هم الذين اقاموا بين اظهر الاسلام المسلمين [٣] بالجزية وعندهم هذا العقد الخبيث فهم بالمنافثة للمسلمين يبثونه فيهم فيشككون (٤) بتشكيكهم ويريدون (٥) اليهم كما ان لمقام النصارى بين اظهرنا ترددت نحلتهم عندنا وعلمناها وكانوا مغمورين بالحق مقهورين الى ان انشا الله بني

---

(١) بياض لعله وهو
(٢) لعل الصواب حذف الا
(٣) لعل الاصل والمسلمين
(٤) لعله فيتشككون
(٥) كذا بالاصل

برمك يحي بن خالد ومحمد بن خالد فملك الوالي امر الدين اباهما وجعل الخلافة بيديهما فكان محمد بن خالد حاجبها ثم كان وزيرها وصاحب امرها كله يحي بن خالد ثم ابنه جعفر بن يحي وكانوا باطنية يعتقدون راي الفلاسفة فكادوا الدين واحيوا المجوسية واتخذوا البخور فى المساجد وانما كانت تطيب بالخلوق فزادوا التجمير ليعمروها بالنار منقولة حتى يجعلوها عند الانس بها ثابتة وتمكن العجم من افساد دولة العرب والملحدة من الملة والعبيد من الاحرار وقد كانوا يضمرون لنا حقدا ويمتطرون (١) افسادها وقتا فانتقوا كل ضيق العطن مخلوع الرسن واظهروا الاراء الفلسفية وجلبوا الناس الى انفسهم بعظيم العطاء وسعة الامصار والتمكن من الملك والادناء من مقار العز فنفقت بعد كسادها وعادت بعد نفادها ولحظوا الخلق بعين التنفير لياخذوا من يوافقهم على هذا النظير (٢) فاعتاموا منهم من لا يهدي ولا يهتدى . عن المرء لا تسل وسل عن قرينه . فكل قرين بالمقارن يقتدى . وعقدوا مجلسا للضلال باسم الهدى ونصبوا على الاسلام لذلك موعدا يحضر فيه من ينتحل علم الكلام من اصحابهم المتدينين

---

(١) لعله وينتظرون (٢) خ النكير

للطعن على الاسلام اولى عقائد فاسدة ونحل مضالة وكان من رؤس مجلسهم وممن اختاروا للعون على ضلالتهم اربعة عشر ثمانية من المعتزلة ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف وابراهيم بن سيار النظام البصريان وبشر بن المعتمر البغدادى وجعفر بن حرب وجعفر ابن بشر وثمامة بن اشرس ومنهم الصباح بن الوليد المرجى شيخهم في زمانه ومنهم ابو ملك الحضرمي شيخ الشروية ومن الامامية هشام بن الحكم الحرار (١) الكوفي وصاحبه السكاك وصاحباه على بن مقسم وعلى بن منصور وابراهيم بن ملك رجل من اهل البصرة يتفقه في ظاهر امره ويصر في الباطل (٢) على امر عظيم والموبذان قاضي المجوس وكان هذا الموبذان المذكور خالصة القوم وعيبتهم وشمارهم ومن ذكرناه سواه دثارهم . ولقد تكلموا فى بعض مجالسهم في العشق فقالوا الفاظا صاغوها على مناقضة الشريعة حتى قال ابو الهذيل فيه انه يختم على النواظر ويطبع على الافئدة ويتعدى فى الاجساد ويسرعه [٣] فى الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متنق (٤) الاوهام وقال بقيتهم نحوه وقال الموبذان انه نار تاجج في تامور القلب بين الجوانح واللب

(١) او الجرار (٢) لعله الباطن (٣) كذا بالاصل (٤) لعله متفرق

فيوجد بوجود الاشخاص والتحام الاجرام لان منشاه عن حركات حيوانية وعلل هيولانية وتصرفه الاستقصات لانها تولده والنجوم تنتجه والاسرار العلوية تصوره وهو من كرم العناصر وتداعى الضمائر واتفاق الاهواء ولا يكون الا من اعتدال الصورة وذكاء الفطنة وصفاء المزاج واستواء التركيب والتاليف . — عاصمة — قال القاضي ابوبكر فهانتم اولاء ترون ماياتون به من القحة والتهتك وتقتحمون (١) في البطالات من الترهات والانهماك في الضلالات . ويقال لهم ماعارضهم به من قابل فاسدا بفاسد وهو باب من الجدل وطريق من طرق الحق في مقابلة الفاسد بالفاسد وهو باب من النظر قاطع بالخصم قاصم لظهره . انكم لم تعلموا للعشق حقيقة انما هو معنى يهوى على مهبط الصب من قيضب الغرب (٢) فينزل بلاعج الحب من تيقب القلب فيذهل اللب ويعظم الكرب فقربه البعد وحياته القرب ليس من مزاج الاسطقس ولا من مملكته ولا من تاثر الكواكب ولا افلاكها وانما هو علوي على العلويات بريئى من الهيولات ومعنى اذا وقع احرق اقطار السموات فنزل على غير ميقات لايتعلق بالاشباح ولا

---

(١) لعله ويقتحمون (٢) او القرب

يمترج بالحركات ولا يدكه عالم الحواس ولا يعد فى تصرفات الامزجة ولا يلحقه تاليف لانه فرد لفرد يحرك الا فلاك ولا تحركه

ازمر (١) على البوق ان صاحوا بشبوط ❀ وقابل القوم تخليطا بتخليط
صوت بصوت وخير الصوت افهمه ❀ فاسمع نها هو افراط بتفريط

وقد ذكر الاستاذ المعظم ابو المظفر طاهر بن محمد الاسفرايني شاهفور ان هذه المشيخة الركيكة اجتمعوا مع نفر من اصحابهم فى مجلس لهم للخوض في الباطل وتكلموا فى مسالة مايصح وصف الباري بالقدرة عليه فزعمت ان الظلم مقدور لله لكنه لايفعله لان وقوعه منه يدل على حدوثه فقيل لهم مادل على حدوثه لم يوصف بالقدرة عليه كالموت والحركات . فقال النظام لايقدر الله على مالو وقع منه كان ظلما وجورا والمعنى فيه انه لو قدر عليه لم يدر لعله قد جار او كذب فيما مضى او يجور ويكذب في المستقبل او قد جار الآن في بعض اطراف الارض ولم يكن لنا من جوره وكذبه امان الا من جهة حسن الظن به فاما دليل يومننا من وقوع ذلك منه فلا سبيل اليه . فقال له الاسواري يلزمك على هذا الاعتلال ان لا

(١) هذا اقرب ما يفهم من الاصل

يكـون قادر على ماعلم انه لايفعله واخبرنا به لايفعله لانه لو قدر على ذلك لم نامن وقوعه منه فيما مضى او في المستقبل . قال له النظام هذا لازم فما قـولك فيه فقال انا اسوي بينهما فاقول انه لايقدر على فعل ماعلم انه لايفعله ولا على مالو فعله لكان ظالما منه . فقال النظام للاسواري قولك هذا الحاد وكفر . وقال ابو الهـذيل للاسواري ما تقول فى فرعون ومن علم الله سبحانه منهم انهم لايؤمنون هل كانوا قادرين على الايمان ام لا فـان زعمت انهم كانوا قادرين عليه فما يؤمنك من ان يكون قد وقع من بعضهم ماعلم الله انه لايفعله واخبر عنه بانه لايفعله على قول (١) اعتلالك واعتلال النظام فى انكار كما قدرة الله على الظلم والكذب . فقالا هذا لازم لك فما جوابك عنه . فقال انا اقول ان الله تعالى قادر على ان يظلم ويكذب وعـلى ماعلم انه لايفعله . فقالا له ارايت لو فعل الظلم والكذب كيف كان حال الدلائل التي دلت على ان الله لايظلم ولا يكذب . فقال هـذا محال . فقالا له كيف يكون المحال مقدورا لله تعالى ولم احلت وقوع ذلك منه مع كونه مقدورا له . فقال لانه لايقع الا عن آفة تدخل عليه

---

(١) او قوله . لان الاعتلال يقود الى ماذكر

ومحال دخول الافات على الله تعالى . فقالا له ومحال ايضا ان يكون قادرا على مالا يقع عنه الا عن آفة تدخل عليه فبهت . فقال لهم بشر بن المعتمر كل ماانتم فيه تخليط فقالوا لـه فما تقول انت اتقول ان الله قادر على ان يعذب الطفل الذى لاذنب له ام لايقدر عليه فقال اقول بانه قادر على ذلك فقالوا لـه ارايت لو فعل ماقدر عليه مـن تعذيب الطفل لا عن ذنب ماكانت حالة الدلائل التي دلت على انه لايظلم فقال لو عذب الطفل ظالما له فـي تعذيبه لكان الطفل بالغا عاقلا عاصيا مستحقا العقاب الذى اصابه وكانت الدلائل بحالها في دلالتها على عدل الله تعالى فقالوا سخنت عينك كيف يكـون عادلا بفعل ما هو ظلم فقال لهم المرار (١) انكم اكثرتم على استاذي بشر منكـرا عظيما وقد يغلط الاستاذ فقال لـه بشر كيف تقول انت قال اقول ان الله عز وجل قادر على الظلم والكذب ولو فعل ذلك لكان الها ظالما كاذبا فقالوا له هل كان مستحقا للعبادة ام لا فان استحقها فالعبادة شكر المعبود والظالم يستحق الذم لا الشكر وان لم يستحق العبادة فكيف يكون من لا يستحقها الاها فقال لهم الا انا نقول انه قادر

---

(١) لعله الحرار او الجرار المتقدم.

على ان يظلم ويكـذب ولو ظلم وكذب كان صادقا عادلا . فقال له الاسكافى كيف ينقلب الظلم عدلا والكـذب صدقا فقالوا لـه كيف تقول انت فى هذا فقال اقول لو فعل الجور والكـذب ماكان العقل موجودا وما كـان ذلك واقعا (١) لمجنون او منقوص فقال له جعفر بن حرب انك (٢) تقول ان الله يقدر على ظلم المجانين ولا يقدر على (٣) العقلاء . فافترق يومئذ القوم علي انقطاع كل واحد وعجزه عن الانفصال عما الزم علي مذهبه . فلما انتهت نوبة الاعتزال الى الجبائى وابنه امسكا عن الجواب فى هذه المسئلة . وذكر بعض اصحاب ابي هاشم فى هذه المسـلة فى كتابه فقال من قال له هل يصح وقوع مايقدر الله عليه من الظلم والكذب قلنا له لايصح وقوع ذلك منه ماكان قادرا عليه لان القدرة علي المحال محال . فان قـال افيجوز وقوعه منه قلنا لايجوز وقوعه منه لعلمه بقبحه وغناه عنه . فان قال اخبرونا لو وقع مقدوره من الظلم والكذب كيف كان يكون حاله في نفسه هل كان يدل وقوع الظلم والكذب منه على جهله

---

(١) لعل الا سقطت هنا (٢) خ انا

(٣) خ ظلم العقلاء

او حاجته قلنا ذلك محال لانا قد علمناه عالما غنيا . فان قال لو وقع منه الظلم والكذب هل يجوز ان يقال ان ذلك لايدل على جهله او حاجته قلنا لايقال ذلك لانا قد علمنا دلالة الظلم على جهل فاعله او حاجته ، فان قال مابكم لاتجيبون عن سؤال من سالكم (١) والكذب منه على جهل فاعله او حاجته باثبات ولا نفي قلنا كذلك تقول فهؤلاء دعاة قدرية عصرنا وقد اقروا بعجزهم وعجز اسلافهم عن الجواب فى هذه المسئلة واو وفقوا للصواب فيها لرجعوا الى قول اصحابنا وان الله تعالى قادر على كل مقدور ولو وقع كل مقدور منه لم يكن ظلما منه واحالوا قدرته على كذب يصير به كاذبا كما احال اصحابنا ولتخلصوا عن الالزام من الوجوه التي حكيناها واعتذر الجبائي في امتناعه عن الجواب في هذه المسئلة بنعم او بلا فذكر مثل هذا السؤال في النبي فقال اخبرونا عن قولكم في النبي لو فعل ظلما او كذب كيف يكون حاله وزعم ان الجواب في ذلك غير ممكن وهذا ظن منه وجواب اصحابنا فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما عن الكذب والظلم ولم يكن قادرا عليهما ولا ان يقع منه مالا يقدر عليه . والمعتزلة كلهم غير النظام والاسواري قد وصفوا الله تعالى

---

١) لعل هنا سقطا والاصل عن دلاله الظلم والكذب .

بالقدرة على الظلم والكذب ثم عجزوا عن اظهار حكمه ان لو فعل مقدورا منهما — قال القاضي ابـو بكر رضي الله عنه — فقد بينت لك احوال هذه الطائفه الركيكة اذا هزلوا تساخفوا وتهتكوا واذا جدوا تحيروا وتخاذلوا ثم انشات البرامكة طامة عظيمة بان كلفوا الاجناد (١) ايضا ترجمة كتبهم طبا وطبيعية بالعربية فتولى ذلك يهودي اونصراني او ملحد لاراس مال له في الاسلام فمزج ماقل من الطب بالفاظ وعقائد تتعلق بالالحـاد وتعارض الشريعة في فـروعها واصولها ليتوهم (٢) [من ترجمت له هذه الامـم الفاضلة التي تولت هذه العلوم العربية كانت على هذه النحل] فطمحت نفوسهم الى معرفة تفاصيلها فاجتمعوا وجمعوا آراءهم كما كانت اغراضهم ولم يقدموا قاضيا في البلادالا ان يكون على هذه العقيدة ولا اميرا ولا كاتبا الا وهو فيها ولاينظم في سلك الخاصة الامن كان قائلا بها ولا يتوسع في العطا الا لامثالهم وقد فتن الناس في دينهم وخلا ابن برمك شرا طويلا فكـادوا على

---

(١) هكذا بالاصل ٢) كذا بالاصل ولعل الصواب هكذا : من ترجمت له بالعربية ان هذه الامم الفاضلة التي تولت هذه العلوم كانت على هذه النحل .

الملك في سعيهم واعدوا على الدين داء دخيلا وعم الباطل وظهرت الزندقة وثارت البدع وتوجهت المطالبة على البرامكة الذين كانوا يعضدون القضاة والامراء والعمال والقائلين بذلك فلما لم يمكن مطالبتهم بهذه المعاني عند الخلافة لتعذر الطريق الى ذلك من اقامة البينة وتحصيل الشهادة على وصف العدالة (١) امكانه تدرع الناس الى المطالبة من جهة الدولة والحريم وكانت الملة على الذهاب فانهم كانوا قد بثوا الدعاة في آفاق الارض على وجه يطول شرحه فتدارك الله الملة بان سخر الملك لهدمهم فتقطعوا ايادي سبا وتفرقوا شذر مذر وقد ملؤوا الارض من الباطل واستخلفوا شياطين الانس على اضلال الخلق من فيلسوف واديب حتى لم يبق بيت الا وفيه من كتب الاباطيل مابين ناظر فيها حتى يعلم المراد منها او مختار مايصلح منها وتارك ماسواه اوراد عليه ليلا يتعلق بموحد فيختل عقده او يتزلزل . واستمر ما اورثوا من تركتهم وارثوا من نارهم وصار باطلهم ينمي نمو الخضاب في اليد ليتحقق الوعد الصادق في فساد الزمان وذهاب الاديان . — عاصمة — ولم يتعرض لحماية الدين الا آحاد اختارهم الله

---

(١) بياض لعله ولعدم او نحوه

له ونصبهم للذب عنه فاولهم ابو الحسن الاشعري، وعارضه ابن ورقا
امير البصرة فقام به وجرت بينهما حروب جدال مذكـورة وتواتر
بعده الاصحاب في الاحقاب على الاعقاب فحفظ الله دينه على من اراد
هدايته فلم يبق وجه من البيان الا اوضحوه ولا سبيل من الادلة الا
نهجوها وانتدب (١) الى كتاب الله فشرحه في خمس ٠٠ائة مجلد وسماه
بالمختزن فمنه اخذ الناس كتبهم ومنه اخـذ عبد الجبار الهمداني كتابه
في تفسير القرءان الذي سماه بالمحيط في مائة سفر قراته في خزانة
المدرسة النظامية بمدينة السلام وانتدب له الصاحب ابن عباد فبذل
فيه عشرة آلاف دينار للخازن في دار الخلافة والقا النار في الخزانة
واحترقت الكتب وكانت تلك نسخة واحدة لم يكن غيرها ففقدت
من ايدي الناس الا انى رايت الاستاذ الزاهد الامام ابا بكر ابن
فورك يحكى عنه فلا ادري وقع على بعضه ام اخذه من افواه الرجل
(٢) فعليكم بكتب القوم (٣) فهي الشفاء من الداء العياء . وكانت
هذه الطائفة الثائرة في هذه الدولة القوية المسماة بالبرمكية قد سمت

---

(١) يعني الاشعري (٢) لعل الصواب الرجال (٣) يعني بهم المذكورين قبل من الاشعري واصحابه

فى كيد الاسلام كما بينا واصطنعت من ذكرنا وتكاثرت فربت في حجرها طوائف كابن المقفع وابن الراوندى والجاحظ المعتزلي وكثير من امثالهم قد استسنوا في الستر انه لامدرك الا المعقول وانها تغني عن الرسل ولامدرك فى عقد او قول او عمل الا والعقل مستقل به. وقسموا المدارك اربعة . — المدرك الاول — معرفة الموجودات كالسماء وما اشتملت عليها من افلاك دائرات وكواكب نيرات والارض وما كان فيها من معدن ونبات وعددوا مركبات وبسائط مفردات وهى الماء والهواء والتراب والنار ، والمعادن واجتماعها مزاجا ؛ وافتراقها تعددا وازدواجا ، على الجملة فى كلها وعلى التفصيل فى النظر في الانسان وتركيبه وما يختلف عليه من احواله ، والمطر وما يرتبط به . — المدرك الثانى — سموه ماوراء الطبيعة وهو النظر فى الصانع ماهو وما هو عليه وكيف نشات الموجودات عنه وترتبت منه — المدرك الثالث — النظر فى المصالح العامة التي تقوم بالقانون الانسانى فى خلقة وخلقه مما يتعلق بصفاته وتكرماته ودناءاته (١) وساقوا ذلك كله على تدبير فى النظر سموه السياسة وادب النفس

(١) زادفي خ وشهواته

وغير ذلك (١) ومهد واقبل ذلك داه طريقا الى تحصيل هذه المدارك بالعقول سموه المنطق مهدوا فيه بزعمهم انواع الادلة وشروط النظر مستوفي بتفهيم المفردات منه ثم وجه التركيب عليه وقسموه ثمانية اقسام وكانت هذه امورا تكلمت فيها الاوائل عند دروس الشرائع وفترات الرسل وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق فارسل فيهم جنود الضلالات بهذه المقالات. وعند مابعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على درس من الملل وانطماس من السبل وفترة من الرسل باظهر الايات وظهرت له الف من المعجزات حسب ما امليناها في كتاب انوار الفجر من مجالس الذكر فانقذ الله به الخلائق من الهلكة واعلابه من الاسلام الكلمة واكمل به علينا النعمة ثم استاثر به وما زالت الحال تنقص حسب مااوعز به حتى آلت الحال الى ما آلت اليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد كما نفذ ابتداؤه فصار عند الخلق بهذه المعاني . — قاصمه — لم تبق لهم قائمة ومن اغرب مادسوه الينا على لحم الخنزير وانه يناسب لحم بني آدم فصار بذلك اعدل اللحوم .

— عاصمة — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه يالله (٢) وذهاب

---

(١) لم يذكر المدرك الرابع فلعل طريق المدارك وهو المنطق عده رابعا لها (٢) لعل الاصل من

العقول الى ذهاب الاديان . يترجم اليهودي والنصراني والملحد عن رجل يسمى جالينوس لا ندري من هو ولا علي اي ملة كان الاماحكوا عنه من انفسهم وترجموه باختيارهم فيجعلوا اصلا ماترجمه في الاعتقاد والعمل وهبك انا سمعنا ذلك من راس الاطباء يقال لهم بم علمتم ان لحم الخنزير اعدل اللحوم . بشعره اذ مسخ ، او بلونه اذا سلخ ، ام بطعمه اذا طبخ ، ام بشحمه اذا سلخ واي مناسبة بينه وبين الانسان الامن جهة الحيوانية وذلك يشترك معه فيه (١) مع الثور والقرد هذا على رجلين وذلك على اربع وانت ترى لحم ذوات الاربع كيف تختلف مراتبها ويتبين (٢) بعضها عن بعض في طبائعها وكذلك مايمشى على بطنه من الحيوان تختلف مرتبتهم وتتباين اكثر من تباين ذوات الاربع وتبعد عن ذوات الاربع ابعادا عظيمة وان لحوم ذوات الاربع عندهم لتتباين فى طبائعها ومنافعها ومضارها على انها ذوات اوبار واشعار . فما تقرب (٣) من الخنزير من يمشى على رجليه . هل هو الارادة منهم لاحياء دينهم وعضد لنحلتهم . هلا قالوا ان لحم القرد اشبه بلحم الانسان لحدة ذهنه وعظيم فهمه . وان كل حيوان نسج بطبعه

(١) لعل مع زائدة (٢) او يتميز او يتباين (٣) او يقرب

الا الادمى والقرد . اولست تراه يصرف انامله تصرف الانسان وهل الاخلاق عندهم الا آثار الخلقة ، والحركات الا امارات الطبيعة فاين هم عن هذا معرضون ، قاتلهم الله انى يوفكون ؛ ونصر هذه الطائفة العمياء من اصحابنا ومن اهل جلدتنا فانهم عن هذا غافلون . — مزيد بيان — ان البارى في مخلوقاته يفعل مايريد ويغاير في مخلوقاته بين الاجناس والانواع خلق الحيوان على انواع كما خلق النبات على انواع صارت بعدها اجناسا فمن الحيوان ماش على رجلين ومنهم على اربع ومنهم على بطنه . والاصل ماء ، وليقل قائلهم ماشاء ،(١) فليلزمه ذلك قرط اذن وطوق جيد ووشاح خصر وخدم قدم وسوار ساعد وقد جعل تعالى كل الحيوان بلسان واحد وجعل للحية لسانين وكذلك كل حيوان اذا قطعت له رجل تدرج على الاخرى الا النعام وجميع الحيوان له كرش ورئة الا الفرس وكذلك الحوت ليست له رئة وجميع حوت الماء له لسان وحوت البحر له لسانان وجميع بني آدم والقرد فانها فى الايدى وجميع الحيوان اذا نام اغلق عينيه الا الارنب ومن اغرب ماقالوا عن الذئب انه يغلق عينه الواحدة ينام بها

(١). او فيلزمه

ويفتح الاخرى يحرس بها فاذا مضى نصف الليل داول بينهما وقالوا
ان الاسد يفترس كل شيء الا المراة الحائض اذا رءيت اليه اعرض
عنها والنطف تختلف بقاؤها في الارحام مع اتحاد الحيوانية والتوليد
فاقله شهران واكثره للفيل سبع سنين الى اشياء غريبة ثم قلبوها وما
عقلوها ولا ردوا الى المشيئة والاثار امرها ولا جواب لهم عنها . قال
القاضي ابوبكر رضي الله عنه -- عاصمة -- وقد جاء الله كما قدمنا
بطائفة تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله وتاييده للرد عليهم ممن تقدمنا
ذكره من اعيان الائمة الا انهم لم يكلموهم بلغتهم ولا ردوا عليهم
بطريقتهم وانما ردوا عليهم وعلى اخوانهم من المبتدعة بما ذكر الله في
كتابه وعلمه لنا على لسان رسوله فلما لم يفهموا تلك الاغراض بما
استولى على قلوبهم من صدإ الباطل طفقوا يهزؤن من تلك العبارات
ويطعنون على تلك الدلالات وينسبون قائلها الى الجهالات ويضحكون
مع اقرانهم في الخلوات . فانتدب للرد عليهم بلغتهم ومكاشفتهم
بسلاحهم والنقض عليهم بادلتهم ابو حامد الغزالي فاجاد فيما افاد
وابدع في ذلك كما اراد الله واراد وبلغ في فضيحتهم المراد
فافسد قولهم من قولهم وذبحهم بمداهم فكان من جيد ما

وغير ذلك ومهدوا (١) قبل ذلك كله طريقا الى تحصيل هذه المدارك بالعقول سموه المنطق مهدوا فيه بزعمهم انواع الادلة وشروط النظر مستوفى بتفهيم المفردات منه ثم وجه التركيب عليه وقسموه ثمانية اقسام وكانت هذه امورا تكلمت فيها الاوائل عند دروس الشرائع وفترات الرسل وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق فارسل فيهم جنود الضلالات بهذه المقالات . وعند مابعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على درس من الملل وانطماس من السبل وفترة من الرسل باظهر الايات وظهرت له الف من المعجزات حسب ما امليناها فى كتاب انوار الفجر من مجالس الذكر فانقذ الله به الخلائق من الهلكة واعلى به من الاسلام الكلمة واكمل به علينا النعمة ثم استاثر به وما زالت الحال تنقص حسب ماوعز به حتى آلت الحال الى ما آلت اليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد كما نفذ ابتداؤه فصار عند الخلق بهذه المعاني . — قاصمة — لم تبق لهم قائمة ومن اغرب مادسوه الينا على لحم الخنزير وانه يناسب لحم بني آدم فصار بذلك اعدل اللحوم .

— عاصمة — قال ابوبكر رضى الله عنه يالله (٢) وذهاب العقول الى

(١) لم يذكر المدرك الرابع فلعل طريق المدارك وهو المنطق عد رابعها (٢) اعل الاصل من

ذهاب الاديان! يترجم اليهودى والنصرانى والملحد عن رجل يسمى جالينوس لاندرى من هو ولا على اى ملة كان الاماحكوا عنه من انفسهم وترجموه باختيارهم فيجعل اصلا ماترجمه في الاعتقاد والعمل وهبك انا سمعنا ذلك من راس الاطباء يقال لهم! بم علمتم ان لحم الخنزير اعدل اللحوم . بشعره اذ مسخ ؛ او بلونه اذا سلخ، ام بطعمه اذا طبخ ، ام بشحمه اذا سلخ واي مناسبة بينه وبين الانسان الا من جهة الحيوانية وذلك يشترك معه فيه (١) مع الثور والقرد وهذا على رجلين وذلك على اربع وانت ترى لحم ذوات الاربع كيف تختلف مراتبها ويتبين (٢) بعضها عن بعض في طبائعها وكذلك ما يمشى على بطنه من الحيوان تختلف مرتبتهم وتتباين اكثر من تباين ذوات الاربع وتبعد عن ذوات الاربع ابعادا عظيمة وان لحوم ذوات الاربع عندهم لتتباين في طبائعها ومنافعها ومضارها على انها ذوات او باروا شمار . فما نقرب (٣) من الخنزير من يمشي على رجليه . هل هو الا ارادة منهم لاحياء دينهم وعضد لنحلتهم . هلا قالوا ان لحم القرد اشبه بلحم الانسان لحدة ذهنه وعظيم فهمه . وان كل حيوان نسج

---

(١) لعل مع زايدة «٢» او يتميز او يباين [٣] او يقرب

بطبعه الا الادمى والقرد . او لست تراه يصرف انـامله تصرف الانسان وهل الاخلاق عندهم الا آثار الخلقة . والحركات الا امارات الطبيعة فاين هم عن هذا معرضون ، قاتلهم الله انى يوفكون ، ونصر هذه الطائفة العمياء من اصحابنا ومن اهل جلدتنا فانهم عـن هذا غافلون . — مزيد بيان — ان البارى فى مخلوقاته يفعل مايريد ويغاير فى مخلوقاته بين الاجناس والانواع خلق الحيوان على انواع كما خلق النبات على انواع صارت بعدها اجناسا فمن الحيوان ماش على رجلين ومنهم على اربع ومنهم على بطنه . والاصل ماء ، وليقل قائلهم ما شاء . (١) فليلزمه ذلك قرط اذن وطوق جيد ووشاح خصر وخدم قدم وسوار ساعد وقد جعل تعالى كل الحيوان بلسان واحد وجعل للحية لسانين وكذلك كل حيران اذا قطعت له رجل تدرج على الاخرى الا النعام وجميع الحيوان له كرش ورئة الا الفرس وكذلك الحوت ليست له رئة وجميع حوت الماء لـه لسان وحوت البحر له لسانان وجميع بني آدم ركبهم في ارجلهم والبهائم ركبها فى ايديها وقالوا ان جميع بهائم الوحش كـفوفها في ارجلها الا ابن آدم والقرد

---

[١] اوفيلزمه

فانها في الايدى وجميع الحيوان اذا نام اغلق عينيه الا الارنب ومن
اغرب ماقالوا عن الذيب انه يغلق عينه الواحدة ينام بها ويفتح الاخرى
يحرس بها فاذا مضى نصف الليل داول بينهما وقالوا ان الاسد
يفترس كل شيء الا المراة الحائض اذا رميت اليه اعرض عنها والنطف
تختلف بقاوها فى الارحام مع اتحاد الحيوانية والتوليد فاقله شهران
واكثره للفيل سبع سنين الي اشياء غريبة هم نقلوها وما عقلوها ولا
ردوا الي المشيئة والاثار امرها ولا جواب لهم عنها . قال القاضى
ابوبكر رضى الله عنه —عاصمة— وقد جاء الله كما قدمنا بطائفة
تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله وتاييده للرد عليهم ممن قدمنا ذكره
من اعيان الائمة الا انهم لم يكلموهم بلغتهم ولا ردوا عليهم بطريقتهم
وانما ردوا عليهم وعلى اخوانهم من المبتدعة بما ذكر الله فى كتابه
وعلمه لنا على لسان رسوله فلما لم يفهموا تلك الاغراض بما استولي على
قلوبهم من صدإ الباطل طفقوا يهزؤن من تلك العبارات ويطعنون
على تلك الدلالات وينسبون قائلها الي الجهالات ويضحكون مع
اقرانهم فى الخلوات . فانتدب للرد عليهم بلغتهم ومكافحتهم بسلاحهم
والنقض عليهم بادلتهم ابو حامد الغزالي فاجاد فيما افاد وابدع فى

ذلك كما اراد الله واراد وبلغ في فضيحتهم المراد فافسد قولهم من قولهم وذبحهم بمداهم فكان من جيدما اتاه (١) واحسن ماروواه ورواه ـ وافرد فيما يختصون به دون مشاركة اهل البدع لهم كتابا سماه تهافت الفلاسفة ظهر (٢) فيه منته ، وصحت في درجة العلم منزلته ، وابدع في استخراج الادلة من القران على رسم الترتيب في الوزن الذي شرطوه على قوانين خمسة بديعة في كتاب سماه القسطاس ماشاء ـ واخذ في معيار العلم عليهم طريق المنطق فرتبه بالامثلة الفقهية والكلامية حتى محافيه رسم الفلاسفة ولم يترك لهم مثالا ولا ممثلا واخرجه خالصا عن دسائسهم بيدانه ادخل فيه اغراضا صوفية فيها غلو وافراط ، وتدال (٣) علي الشرع وانبساط ـ وقد كان تعرض سخيف من بادية بلدنا يعرف بابن حزم حين طالع شيئا من كلام الكندي الى ان يصنف في المنطق فجاء بما يشبه عقله ويشاكل قدره ـ وكان ابوحامد تاجا في هامة الليالي ، وعقدا في لبة المعالي ، حتي اوغل في التصوف واكثر معهم التصرف ، فخرج على الحقيقة ؛ وحاد في اكثر احواله عن الطريقة ؛ وجاء بالفاظ لاتطاق ، ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق

(١) او بناه (٢) الاولي ظهرت (٣) كذا بالاصل

فكان علماء بغداد يقولون لقد اصابت الاسلام فيه عين فاذا ذكروه جعلوه فى حيز العدم ، وقرعوا عليه السن من ندم ، وقاموا فى التاسف عليه على قدم . فان لقيته لقيت رجلا قد علا في نفسه؛ ابن وقته لا يبالي بغده ولا امسه . فواحسرتاه عليه اي شخص افسد من ذاته ، واي علم خلط وخلط فيه مفرداته . ماذا الام من المحامد ، وكم حايد عنه وحامد . وكان من ترجم عن الفلاسفة ترتيب الادلة الذي سموه حد المنطق قد ضرب فيه الامثلة الهندسية والطبائعية والالاهية ليتدرب القارى بذكرها ويانس بتكرارها ويطمح الى مطالعتها ويتشرف (١) ويستعد لاعتقادها حتى يعلمها وهى في كل ذلك تسدك (٢) بقلبه ويطمح اليها بطرفه ويتعلق منها بـامنيته فتزل بها (٣) القدم . وعلى كل حال فالذى اراه لكم على الاطلاق ان تقتصروا على كتب علمائنا الاشعرية وعلى العبارات الاسلامية والادلة القرءانية وانتم في غنا عن ذلك كله . وخذوا في ذلك مني نصيحة مشحونة بنكت من الادلة وهى ان الله سبحانه رد على الكفار على اختلاف اصنافهم من ملحدة وعبدة او ثان واهل كتاب وطبيعة وصباة وشركة (٤) ويهودية بكلامه وساق

[١] اويتشدن (٢) او تندك (٣) خ به (٤) لعل الصواب شركية

انضل سياق ادلته وجاء بها في احكم نظام وابدع ترتيب فعلى ذلك فعولوا فن اباحامد وغيره وان كان لبس للحال معهم لبوسها ؛ واخذ نعيمها ورفض بوسها واحيا ارواحها ونفوسها ، فليس كل قلب يحتمله وقل وجود نفس تستقل به فهو وان كان سبيلا للعلم ولكنه مشحون بالغرر والشرع قد نهى عنه والعقل يستحث عن الانكفاف والهروب منه ـ اما ان الرجل اذا وجد من نفسه منة او تفرس فيه الشيخ المعلم له ذلك فلا بد من توقيفه على ماخذ الادلة واتساعه في درجات العلم وتمكنه من بحبوحات المعارف حتي يكون مستقلا باعباء الشريعة مطيقا علي حمل اثقالها بصيرا بالنضال عنها والذب عن حرماتها اذا احتيج اليه فيها. — واما اصحاب الطبيعة — فقصتهم بديعة ؛ وذلك ان القدرية لما كانت تدين دينها وتنشر عقيدتها وكان الجاحظ المفترى علي جهالته وثمامة بن اشرس علي خساسته وابن المقفع علي فهاهته وابن الراوندى على حماقته ومن تابع كل واحد منهم في صفاته تسترت بالاسلام ولبست جلدته لستر عورتها في مخالفته وجعلت تعتال (١) الدين بمعان ترهب (٢) بها علي العامة وتاخذها من ظواهر

---

[١] الظاهر تغتال (٢) او تذهب

الالفاظ وتدس مذاهبها في عقائدها كانها تعضد الاسلام تتعلق فى ذلك بايات متشابهات واحاديث مشكلات فتركت المحكم وراء ظهرها لان ارباب الطبيعة يدعون ان النشأ في هذا العالم على التركيب انما هو من تاثير البسائط في الاصل (١) وينشا مركب عن مركب هكذا على الترتيب وذلك لانهم رأوا تركيب الكون فى الموجودات المشاهدات واحدا بعد واحد فنسبوا الثاني الى الاول وعلقوا اللاحق بالسابق والحقوا المتقدم (٢) المتاخر وجعلوه منه باقترانه به في الوجود وارتباطه معه فى التواصل وذهلوا عن المنشيء الحقيقي فكانت بصائرهم عبيدا لابصارهم وجدا لهم اقوى من ابصارهم وتخيلت المعتزلة ومن دان دينها من القدرية فقالوا ان الثاني يكون عن الاول برسم التولد . قال القاضي ابوبكر هذه لفظة اخترعها لهم الجاحظ المفترى مستفادة من الولادة وهي خروج الشيء من الشيء وكان هذا لما نشا عن هذا ولم يقولوا انشاه احترازا من المشاركة مع المنشيء المنفرد سبحنه فقالوا انشا (٣) عنه وعبروا عنه بالتولد تحسينا له واخراجا له بزعمهم من حيز المجهول الى حيز المعلوم . فاما الفلاسفة فبنوه على

---

(١) خ في الارض (٢) اي المتقدم بالمتاخر (٣) اما نشا واما انشئ

اصلهم فى ان الفَاعل لا يفتقر فى كونه فاعلا الى حياة وقدرة وارادة بل يكون شيء عن شيء بامور باردة ورتب فاسدة حتى ان بعضهم يقول في تحقيقه حين ظهر له ان شيئا من الكوائن لا بدله من مكون انِ الافلاك تتحرك بعشق بعضها لبعض اذالمحرك منها واحد للاخر حتى ينتهي الى فلك الاخير فيقول انه تحرك بعشقه للاخير فهي حركة(١) عشقه ففر هؤلاء من هذه المقالة لا شنوعتها وقالوا نشأ هذا عن هذا وعبروا عنه بالتولد تحسينا له كما قدمنا ، وعلى قاعدة الفلاسفة قعدوا وحول دائرتهم دوروا ولكن قاعـدتهم انهرت بهم ودائرتهم ظنت(٢) عليهم وقد تمهدت القواعد الشرعية والعقلية فى اثبات الصانع وانا امهد لكم طريقين [٣] — الطريق (٤) الاول — ان الخاطر اذا جال فيه ان التكوينات فى عالم الكون والفساد فى محاط فلك القمر يترتب فى الوجود من ذواتها بطبعها او مـن ذات اخرى بطبعها فيها وانطباع هذه لها حتى ينتهى الى المراد (٥) فاحضر بذهنك وردها الى ماقبلها حتى تنتهي معهم الى موقف اول لاسابق له فان اراد ان يتمادى قيل له قف ياسيار قد سال بك التيار وان كنت تمشي فى

(١) كذا بالاصل [٢] او كانت [٣] اوطريقتين (٤) خ الطريقة الاولى (٥) او فاحصر

معقول فلا تمده الى تعطيل وتتيه فى التضليل وتقع فى غير معقول بالتسلسل الى ماليس بمحصول . واذا وقف الخاطر او المناظر ولا بد له من ذلك قبل لهما او لاحدهما هذا المنتهى في النظر المبتدا فى الكون كيف يكون هذا عنه صادرا يكون على وجه صدور الفعل المفعول من الفاعل المعقول ذى القدرة والحياة والعلم والارادة والتدبير والتقدير ، او صدور حركة الخاتم عن حركة اليد . فان اوقفوه على فاعل بتلك الصفات فقد وقعت دائرة النظر على قطب التوحيد وان هم قالوا انه يصدر عنه صدور كوكة الخاتم عن حركة اليد فيلزمهم ان لايصدر عن الاول الاثان يماثله وهكذا الى الاخر فمن اين ينشا التغير وياتي الضد عن الضد والمختلف عن المتفق والعدد عن المفرد . وعلى هذه القاعدة فى دلالة الصانع نبه الله سبحانه بقوله « وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسق بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون . » فنبه بهذه الاية فى الاحرف اليسيرة على المعاني العظيمة بالادلة المعدودة بانك تنظر الى الارض مابين سهل وحزن وحجر وتراب لدن انواع مختلفة وارواح مفترقة زرع ونبات

واشجار اشتات اصل كل شيء منها واحد. ينظر الى الجنة التي تنبت عنها ذات اجزاء متساوية فاذا تزايدت للنبات تزايلت عن تلك الصفات وانقسمت الى عرق يعلوه قشر (١) يتراقا الى غصن ينتهي الى عذق ينقسم الى ورق وزهر وثمر. الارض واحدة والماء واحد والجنة واحدة وكل ماينشا عنها لا يماثلها ولا يماثل في نفسه. بل لكل واحدة هيئة مخصوصة ولون مخصوص وطعم مخصوص. والماء الذي شانه الرسوب يصعد الى الجميع ويجرى فيه حتى يسيل على جميع جوانبه ونواحيه. فيايها الحاضر والناظر، اين الفاظك الرائقة، وحكمتك الفائقة ابن لي هذه الاختلافات كيف تعدد (٢) والطبع واحد دون شروط الفاعل المتصف بالفعل (٣) حقيقة، هيهات ها انا معك دائر فقل ماانت قائل وصر الى ماانت صائر، وابن لي كيف دارت عليك الدوائر، وخذلتك الصبائع، فما لك من قوة ولا ناصر. ودعنى من نويبغة اذا وقف على هذا زوى حاجبه وادار قرنيه وفرق كالمبتسم بين شفتيه فليخرج مايصدر؛ وليذكر ماشاء ان يذكر، فهذه الطريقة لازمة له فلا مبرح له عنها ولا محيص منها — الطريقة الثانية

---

(١) او يترقي (٢) اي تتعدد (٣) خ بالصنع

لاخلاف بينهم ان النيرات السبعة فى الافلاك السبعة هى الفاعلة المدبرة ولكل واحد منها جزء ينفرد به ولكنهم جعلوا الادمي بينهم عضين وقسموه عليهم واعطوا لكل واحد منها جزءا من الادمي وشهرا من ايام تربيته وحينا . فيقال لهم ليس هذا معلوم (١) ضرورة فيتفق العقلاء عليه ولا وجدنا نظرا يوصل اليه ولا روينا خبرا يدل عليه ، هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . وكل ماذكروه فقد تقدم ذكرا بطالهٔ

— مضايقة — اذا قلتم ان الكون والفساد فى مقعر فلك القمر فمن اين يصل عنها تاثر مافوقها من باقي الصانعين ولا يخلو ان يكون فلك القمر محيطا بهذا العالم او يكتنف (٢) بعضه ويبقي البعض فى خلاء عنه وايها قلتم فلا مخرج لكم منه . ان قلتم انه محيط به وان هذا العالم فى محاطه كالدرة في الدرج فمن يجمع بينه وبين تاثر مافوقه وبينهما حجابه وحجب غيره ان كانوا على مثاله ومحال وصول التاثير عندكم من وراء حجاب يملا الفم ذكره فكيف قدره . وان قلتم انه لايحيط فلك القمر بهذا العالم فما يخرج عن محاذاة فلك القمر هل يحيط به خلاء اوله محيط اخر سواه ، فان قلتم يحيط به خلاء فلعدم ليس

---

(١) يقرا بالاضافة (٢) او ويكن

بمحيط ولا محاط به ولاهو طريق لشيء ولا عليه طريق لا محسوسا ولا معقولا . وان قلتم ان هناك محيطا به فعينوه . فان قلتم انه يحيط به الذى فوقه قلنا لكم وما حكم الفلك الثانى آ الاحاطة بجميع فلك القمر او بعضه فان قلتم بجميعه فما هذا التحكم او ما دلكم عليه . وان قلتم انه اكبر منه قيل لكم وقد يكون الشيأن عظيمين متقاويين فى حيزين مختلفين وان قلتم انه يحيط ببعضه فهل يقابل المحيط منه للمحيط من فلك القمر او يقابل الخالى من احاطته فان قابل الخالى فلم لا يصل تاثر الثانى او الثالث الى هذا الموثر دون ترتيب مع هذا الموثر الاول حتى يتعارضا فيما فعل كل واحد منهما فيفسد التدبير ويختل النظام . وقد جعلتك على هذا الاصل فخذه بكل فصل وادره بجميع وجوهه فليس لهم عنه محيص(١) وقد قلت في هذا المعنى لبعض اصحابنا ابياتا توحيدية

كن للاله كما كان الك ولا تهتبل . بمدار الفلك
فان الاله قد احكمت معاليه من عال او من ملك
ومن ذل او عز فى موطن ومن عاش فى نعمة اوهلك
فلا ترج ذلك من غيره ودع عنك من شك اوخذلك

---

(١) خ مناص .

وخل المضلين فى غيهم وقل للكواكب من اصلك

وانت تغور وانت تمور فمن غاص منك ومن بدلك

ولو فلك دار من ذاته اقام اذ شاءه او سلك

وان لم يكن ذاك من طوقه فانى يقال له ذاك لك

فليس المدبر الا الذى تغاير عنك وما شاكلك

فيا يها الندب ما اعقلك ويا يها الفدم ما اغفلك

امن كان عن صونه عاجزا اترجوه للغير ما اجهلك

تنبه فقد بان وجه الدليل وقد آن ان(٢) تعرف من دل لك

— تنزيل — لما تعلقت القدرية بدليل الفاسفية في هذه المسالة والفيناها تحتها نزلنا فى الكلام معها وهتكنا سترها ، وفصل القول معهم فى التوليد معلوم وقد طوله القاضي والشيخ ابو الحسن لكن بمناقضات لا بدلالات فانه اسخف من ان يدل على فساده ، وانما اراد هؤلاء العلماء انهم لم يوفوا به وانهم يناقضوا فيه فشانكم واياه ، واما نحن فنورد عليهم طريقة قريبة المرام ضابطة لشعب الكلام فنقول قد حررناها قبل هذ بنصها فى غير ما املاء حتي يكون

---

(٢) الصواب اسقاط ان للوزن

التكرار لتوكيد الالفاظ والمعاني ، فذلك اضبط لها ؛ واول من يؤثر عنه هذا المذهب معمر القدري والجاحظ المفتري وقد قام بحمد الله وتوفيقه الدليل على ان الله وحده خالق الاجسام والاعراض وتبين ان العبد مكتسب غير فاعل فاذا ثبت استحالة الفعل من الحي العالم الذي يقبل الامر والنهي فاستحالته من الموات اثبت ، ولان الاحراق الكائن مع اتصال النار بالاجسام المحترقة فعل محكم ان اضيف اليها بطل الاستدلال بالفعل المحكم على الحياة والعلم نعم وعلى الوجوب وانقلبت الحقائق وبطلت الادلة ، ولان النار (١) وان احرقت بذاتها وجب ان تحرق كل ما يتصل بها من حر (٢) وبارد ورطب ويابس فان كانت تحرق بصفة لها وهي الحرارة فلا يخلو ان تنتقل الى المحترق وذلك باطل لاستحالة بقاء العرض فضلا عن انتقاله او تحرق الحرارة وهي قائمة بالنار وهي مع ذلك محال شنيع وهي تجرد (٣) الاحكام للمحال والمعاني القائمة فمحال آخر فيبيض عمر ببياض زيد ويسود بكر بسواد خالد ، فان قيل اين المشاهدة تريد ان تشكك الخلق قلنا المشاهدة وجود الاحراق فاما

---

(١) لعل الاولى بسقوط الواو (٢) الاولى حار [٣] او تجدد

نسبته الى النار فدعوى ، فان قيل وجدنا النسبة عربية شرعية قلنا اضاف الله تعالى المعاني الى الاسباب عند وجودها على حكم اللغة العربية ، والحقيقة وراء ذلك ، والذى يكشف الغطاء معهم في ذلك ان يقال لهم ليس لكم عمدة الا اقتران الوجودين وهو ايصال النار بالاجسام ووجود الاحراق حينئذ فبجهلكم بحقيقة الفاعل القادر اضفتموه الى الجماد ولم يراقبوا ان يقولوا ان جمادا فاعل قوى محكم فيلزمكم مثله فى الاقترانات الموجودات فى العالم كلها • واوفقها حجة واضحها محجة الاب والام يتولد بينهما الولد فاذا اودع الاب النطفة فى الرحم اقترن بذلك اختلاف الاوصاف على النطفة وانسلاك الروح فيها والقوى المحركة والمدركة ولا يقال انها موجودة به ولا مضافة اليه وان اقترن ذلك به بل يحيلونها على الاول بواسطة وبغير واسطة من اسماء يسمونها ملائكة وماذا يقولون فيها من البهتان وينصرهون(١) به من الطغيان وذلك يلزمهم فيمن غمض عينيه فلم ير شيئا ففتح عينيه فادرك الالوان فيقول ان فتح البصر ولد ادراك الالوان في العينين وكذلك فى نور الشمس مثله و فى اقترانات لا تحصى

(١) كذا بالاصل

كثيرة فبطل هذا التعلق جملة ولكنهم لما راوها الفاظا اعتادوها سدكت بقلوبهم حتى لم يستطيعوا ان ينزعوها عنها وقد استوفينا ذلك في كتب الاصول وهذه نبذة منه — التفات — ونعود الى القول مع من انتدبنا اليه فنقول واما المتالهة منهم فهم اعظم الطوائف فليقة وارداهم طريقة لا يعقد (١) معهم على قول ولا يستقر معهم من التحقيق على منزل ومال الحاصل من تخليطهم الى قدم العالم الذي ينبنى على عدم الصانع ويعتقدون استحالة الفنا الذى بنوه على انكار الحشر والنشر والثواب والعقاب ومنهم من يذكر الصانع والحشر والثواب اسماء لا مسميات لها كما قال الشاعر

اجتروزور على نار مضرمة   اوفى نعيم اركب اوعلى قدم (٢)

اسماء منقبة في غير مرتبه   كالشي يخبر عنه وهو في العدم

واذا نظرت الى كلامهم في ذلك كان لك معهم طريقان احدهما التعلق بما لم يطردوه على اصلهم ولا وفوا بعهده المعقول فيه وهى مناقضة عائدة على اصل من اصول علومهم الضرورية بالبطلان وذلك انهم يقولون هذه الهيئة لا نفاد ولا انقضا ولا استحالة ولا تغير بافلاكها

---

(١) هذا اقرب مايظهر من الاصل (٢) كذا بالاصل ولم افهمه

وصفاتها وحركاتها واقسامها فيقال لهم فاذا كانت حركة القمر في فلكه لانهاية لها وحركة زحل لا نهاية لها فلا يصح ان تنسب احداهما الى الاخرى لان مالايتناهى لاينسب مما (١) لايتناهي فان نسبوا فقد خرجوا عن المعقول ولا بد لهم من ذلك وان لم ينسبوا فقد ابطلوا مذهبهم وتدبيرهم ونسبة شيء الى شيء منها اوبها — الثانى — ان يقال لهم كل ما كان له اول جاز ان يكون له اخر لانه لايصح ان يوجد لنفسه وما اوجده غيره جاز ان يعدمه . ولما وقف النظر الى هذا الموضع الذي لابد منه انكروا العدم وفى الاول (٢) وانكروا الاعدام وجوزوا وجود شيء من شيء واحالوا عدمه منه او من غيره وكان فى ذلك كلام طويل ليس هذا موضعه هذا القول يسكتهم عنه ويجديهم (٣) معكم . ومن الغريب ان صاحب الجيم عندهم قال لو كانت الشمس فانية لادركها الذبول بطول الفنا فيقال له هذا فاسد على مذهبك وعلى طريق الحق . اما فساد ذلك على مذهبك فالذبول عندك انما يكون بنضب المادة ولعل مادة الشمس لم تنضب واما على مذهبنا فلان العدم انما يكون عن قطع الاعراض وذلك مبين

(١) لعل الاولى لما (٢) لعل الصواب سقوط الواو (٣) هذا اقرب مايظهر

على التحقيق فى كتب الاصول بجميع وجوهه ـ وقد قال ابـو الحسن معرفة الصانع ضرورة وتحقيقه انه ان كان العالم صنعة فهي صادرة عن صانع قطعا ضرورة المعنى واللفظ واما الفناء الذي احالوه فمشاهـد فى بعض العالم وهو معلوم فيما لم يشاهد بالدليل المتقدم حسبما سطر فى كتب الاصول واما انكار الحشر فشاهد [١] فى اشادة النبات بعد الاستحصاد وهم يقولون هذا فى عالم الكون والفساد ـ قلنا عنه جوابان ـ احدهما ـ انه اذا ثبت وجود الاعادة للفاني كجريان العادة فيه على وجه لايلزم ان تكون تلك العادة واجبة الا على تقدير ان يكون الفعل من تلك الاسباب وقد بينا فساده فلم يبق الا انه يعيده الفاعل متي شاء كما اخبر . وقد قالوا ان الصفة تعود على التفصيل والجملة بعد الدورة العظمى وذلك لاثنتين وسبعين الفا دوريا في نقطتي الحمل والجدي فيقال لهم فهل تعود بصفتها على الجملة والتفصيل او بالبعض فان قيل تعود بالكل قلنا فلم لانذكر انفسنا كما كنا وان قيل تعود بالبعض لانا قد فاتنا ذكر ذلك فينا قلنا فالذي فوت الذكر لتلك الصفة يفوت منها غيره ويعدمها ويوخرها ويغيرها ويبطل بهذا وجوب نسبة شيء من

---

(١) لعل الاولى فمشاهد٠

ذلك الى حركات الفلك او الى ماينسب اليه لان اختلال دقيقة منها يوجب اختلال الجميع . فان قالوا فقد رويتم ان الله لما خلق آدم استخرج منه نسم بنيه فقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم اوجدهم فلم يذكروا . قلنا نحن نقول ان الباري هـو خالق الخلق وصفاتهم من حركة وسكون وعلم وذهول وما شاء او جد واعاد وما لم يشا اخبر عنه فآمنا به وهذا لازم لكم ساقط عنا كما بيناه وكذلك معرفة الثواب والعقاب معلوم من جهة الخبر وقـد شبب (١) بعض الفلاسفة بانه مدرك بالعقل فى تخليط تكدر (٢) بالقدرية — وهلة -- وقد كان ابو حامد الغزالى يميل الى ذلك ويستطرفه قلت له مامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف ورايت الجنه فتناولت منها عنقودا فلو اخذته لاكلتم منه مابقيت الدنيا . كيف يكون صفة دوام اكله ووجوده هل كان كلما اكل منه جزء خلفه آخر واذا فنيت حبة اينعت اخرى . فقال وكتب بخطه ثمار الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة والمعنى فى الحديث ان ثمار الجنة اذا تعلقت بها آمال الناظرين او قابلتها ابصارهم حدثت امثالها فى نفوسهم حدوث امثال المراي في

---

(١) و (٢) كذا بالاصل

المرءات واعيان المراى لم تتبدل ذواتها ولا رامت مكانها . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه — تذكرة — ولم تتفق لي مراجعة وهذا مما لا اقول به اعتقادا ولا نرضاه دينا فانه لا يشهد له عقل ولم يرد به نقل . فان قيل فهذا النائم ياكل حتي يشبع قلت له يانائم دعني من النائم ولا تحمل الحقيقة على المجاز ولا ترد النوم الى اليقظة وسنتكلم على الرؤيا فى موضعها وقد سبق منا امثالها ولا سيما فى محاسن الانسان (١) ومن اعظم ماتسكتهم به ان تقول لهم انا نرى الله فى المنام آدميا اكذلك هو فيبهتوا وهذا امر صحيح وذلك ان الامور المنقولة اما ان تعلم مشاهدة او يهجم عليها العقل بالتفاق او يعلم بالدليل من تمثيل او تنظير وهو لا يقول بقياس فى العقليات وان قال به فبمقدمتين تنتجان مطلوبا صحيحا وهذا مما لم يعول فيه الا على الدعوى والتمثيل بالمرآة التي لا تقوم على ساق — معادة — وقد بينا ان قولهم الاصلي ان كل شيء من ذاته بالابتداء والانتهاء وبالتفصيل وبتفصيل التفصيل من ابتداء الوجود الى منتهاه بطبيعته كل ذلك دائر على الحركات كائن عنها على جبر وانطباع فيتحرك المتحرك بتوابعه وذلك موجود فى المحرك

(١) خ الاحسان

الاول — عاصمة — قلنا هذا فاسد من ثمانية اوجه الاول ان قولهم ان كل شيء من ذاته يريدون به طبيعة كما صرحوا او غير ذلك فان ارادوا غير ذلك وليس عندهم فليبرزوه وان ارادوا بالطبع فما معناه اذ ليس يرجع الا الى العادة ان هذا وجد بعد هذا فقالوا انه وجد عنه وبه ولا نسلم لهم ذلك ولا يدلون عليه ابدا . وان قالوا به فانا نقول لهم ان كان يفعل شيئا بطبعه فمع الاتصال فهو المشاهد واما مع الانفصال فدعوى لا تثبت ابدا . من حرك الثاني للاول وليس متصلا وهكذا الى اخر الصفقة حتى اضطروا الى ان يقولوا انه يتحرك الثاني بعشقه للاول فيحكيه . قلنا له فاذا عشقه فمن الفاعل ومن المفعول ومن الواطئ ومن الموطوء والعشق هو معنى تطلع النفس الى اللذة وليس من شرطها تساوي الافعال بل ربما كان الاختلاف فيها شرطا فانظروا الى هذا الخباط الذي يذكر في معنى بيان الحقائق والادلة الثالث ان الفاعل ان كان يحرك فيحرك الكل وانتظم التدبير بالحركة فمن اين جاء السكون فان قال من قطب الدائرة لم نسلم لهم ان فيها ساكنا ولو سلم فالحركة هي الفاعلة عندهم فما للسكون والدخول فيه وللعول (١)

---

(١) لعله يريد التعويل

على القطب فمن القطب ونحن عندهم اهل القطب فما لنا فى حركة دائمة ليس فينا من السكون شيء . الرابع انه ان كان المحرك الاول يفعل بطبيعة فكيف نشا عن الطبع الواحد اربع مختلفة ولا ينشا عن الشيء الا مثله فان اشاروا الى الامتزاج قيل لهم وليس في الاول امتزاج وهو انما يفعل بذاته فمن اين جاء المزاج الخامس ان المحرك الاول ان كان لحركته ابتداء فاندفعت فلم تفرقت الكوائن ولم يكن عنها فى حالة واحدة مايقتضيه الطبع وتوجبه الهيئة والتدبير فى فعل تتركب عليه افعال ، فان كان فعله على الترتيب فلم كان مختلفا كما تقدم ، ومن اين جاء التعارض والتمانع والتضاد بين الكوائن والاصل واحد . السادس . ويرجع الى الاول اذا كانت الحركة صدرت عنها الحركات فلم افترقت فى الافلاك الى مستقلة واجعة الى مستقيمة ومعوجه ، ان كانت هذه الاسماء على الحقيقه فهي خلاف فاعلها وان كانت مجازا لا حقيقة فلم ركبتم عليها الحوادث . السابع . ان الاسلاميين من الفلاسفة قد حكموا عن افلاطن وارسطوطاليس باستحالة الايثار وان صانعا موثرا لايتصور وهو احد اصول الالحاد الاربعة وهو الاول الان معهم فانا نقول لهم زعمتم ان صدور الاشياء عن ذاته

صدور العلة عن المعلول . والدليل القاطع عن استحالة ذلك ان العقل يقضي قطعا ان الدقنين الجائز ورودها على المحل على التعاقب فورود احداهما يستحيل ان يكون بغير سبب يعين احد الجائزين ولا يجوز ان يضاف ذلك الى القدرة لان نسبتهما اليها واحدة وكذلك الحياة والعلم مثلهما (١) فلا بد من سبب معقول يضاف له التخصيص يجده المرء في نفسه ضرورة . وقد ضرب العلماء لذلك مثالا يقطع بصحة ذلك وهو ان رجلا ينتهي ا كلا وبين يديه تمرتان متساويتان في القدر بالحزر والكون وحسن المنظر وحيزهما منه واحد لئلا يتكلف لاحدهما مزيد حركة فيمد يده ويأخذ احداهما فيعلم قطعا انه لم يأخذ بحياته ولا بعلمه ولا بقدرته فان النسبة لذلك واحدة قطعا فلم يبق الا الاحالة باحدهما على سبب معقول شانه تمييز الشيء عن مثله . وقد سماه العلماء ارادة وجرى في السنتهم وتابعتموهم انتم عليه وان لم تبينوا حقيقة (٢) ومن انكر هذا سقطت مكالمته . ولم يوضع هذا كله لمخذول متحامق : وانما وضع لمستبصر مسترشد ينظر فيه نظر المتثبت لنفسه . وهذا السبب يصحبه سبب شانه كشف الحقائق

---

(١) لعله مثلها (٢) عله حقيقته

والاطلاع عليها وليس من شانه ان يتقدم عليها ويستحيل ان يتاخر عنها ، يقومان بمحل قامت به صفة هى الحياة بها صلح المحل لتقوم به الصفات وهم لا ينكرونها بيد انهم يخلطون فيها فعندهم من جهة ان الافلاك حية وعندهم من جهة اخرى ان الحياة لا تقوم الا بمحل فيه بلة ورطوبة ؛ وطائفة اخرى تزعم ان العلم والايجاد لا يفتقر الى الحياة وهم لا يبالون بذلك كله وانما ياخذون السبيل الى الالحاد كيف اطردت لهم ، والعمدة فى ذلك ان يقال اجمع العقلاء على ان الميت لا يعقل لمواتيه وقد كان يعقل فى حال حياته ولا يصح ان يضاف ذلك الى شرط سوى الحياة لان كل صفة نضيفها اليه يستحيل ان نضيفها الى الميت فكل صفة نذكرها هى مساوية لهذه فى اشتراط وجود الحياة لها ، واما دعواهم ان الافلاك حية فلا يقام عليه دليل ابدا وهو غير مشاهد وليس لهم الا حركتها وليس من شرط الحركة الحياة فان الميت يتحرك والخطب معهم طويل بتخليطهم لمن لا يعلم تفاصيل الكلام ومن يعلمه يقطعهم فى الحال وقد اندرج الوجه الثامن فى هذا الكلام ـ عاصمة ـ واعظم الخطب انكارهم العلم اصلا وهم لا يحتاجون اليه بزعمهم فان ما يصدر بالطبع لا بالوضع

لا يفتقر الى قدرة ولا الى علم والقول فى القدرة اقرب منه فى العلم لان الا نه (١) فى العجز معقولة مشاهدة والعلم وان كان اظهر فهو خفى عن المشاهدة ولكن اتقانه المتعلق بـه يظهره قطعا وهذه الصفات الاربعة ثابتـة للصانـع قطعا وهى القدرة والعلم والارادة والحياة . ومنهم من يقر بالعلم لكن يدعون انـه على وجوه منهم من يقول انه حادث ويفتقر الى علم يحدث به ولا موجود محدث اقوى احتياجا الي العلم من الملم، ومنهم من يقول انه عالم بالجمل لا بالتفصيل لانه عندهم احدث الاصول بعلم ثم رتب عليه الحوادث المتعلق بعضها ببعض الكائن بعضها عن بعض فلا يخلقها ولا يعلمها، — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه وهذا من العجب ولولا انه علمها على التفصيل ماخلقها من يعلمها على التفصيل ويوجدها على الاحكام والترتيب فاذا اقروا بذلك فقد اقروا بانه يعلمها على التفصيل، وانما العجب كل العجب من كلمات صدرت عن الامـام ابي المعالي فادحة تحوم او تشف على ان علم الباري لا يتعلق بالمعلومات على التفصيل ونصها : قال « اذا تعلق علم الباري بجواهر لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الاحاد

(١) خ من

مع نفي النهايــة فان ما يحيــل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم فان قالوا ان الباري تعالى عالم بما لا ينتهى على التفصيل سفهنا عقولهم » وقد بسطنا القول على هذا الكلام في كتاب التمحيص بما فيه بلاغ فلينظر هنا لك بمقدماتــه ولواحقه ، والمقدار الذي يعرفــك الان بكنهه ويعطيك فائدة ما سطرناه هنالك منه على الاختصار ايراد بعض ما استطر هنالك من الفصول بلفظه الذي وقع الاملاء به ، اعلموا وفقكم الله ان المعلومات من جهة الكون تنقسم الى واجب وجائز ومستحيل والواجب على قسمين واجب مطلق وهو الله وحده وصفاته وواجب من وجه وهو ما خلقــه الله تعالي من اصول العالم كالجواهر والاجسام والاعراض فهذه مما يجب كونها على هذه الصفة فلا يتصور خروج الجوهر عن كونه جوهرا ولا العرض عن كونه عرضا ولا خروج الجسم عن كونه جسما ومن اصول هذه الاصول ان الجوهر لا يخلو عن عرض وان العرض لا يصح وجوده دون ما يقوم بــه من جوهر او جسم وهذا كله متفق عليه بين العقلاء ومعلوم عندهم قطعا قبل النظر ومنه ما هو معلوم بنظر ويتركب عليه وجود الاكوان والالوان بالجواهر

والاجسام على البدل والانفراد حسب نسبة كل واحد منهما الى الآخر من ضد او خلاف ويتركب عليه بعد ذلك النظر فى احكام جميعه بالنسبة الى نسب نشأت عنه والى كيفية هى عليه والى تركيب في وجود او عدم او صفة فناء او بقاء او الى حال تركيب واستحالة يكون بعده نظر في انحصار الاعراض الى الالوان واكوان وانحصار الاكوان الى حركة وسكون وانحصار الالوان الى احمر واسود وما بينهما من واسطة ترجع اليهما اوتقف بينهما ، واعظم من ذلك — القول فى انحصار العالم الى الموجودات على ترتيبها وتدبيرها ما بين وجود وعدم وبقاء وفناء وتكليف واعفاء وتعجيل وامهال ودنيا وآخرة وثواب وعقاب فى عموم ذلك ، ومن هذا المتقدم اصل متفق عليه بين منزلتي النفي والاثبات والوجودوالعدم والحركه والسكون فرعا (١) عليه ، ومنه متفق عليه بين اهل الملل ومنه متفق عليه بين اهل السنة ، ومن جملة المتفق عليه مما تقدم ان الجوهر لا يخلو عن حركة او سكون وعجبا لبعض علمائنا فانه استدل عليه ، ولئن احتاج الى دليل لم يثبت لنا شيء من بعده ؛ ومن

(١) كذا بالاصل

المختلف فيه القول في وجود لون خلاف ما شاهدناه فمن قائل ان الالوان منحصرة ومن قائل انها غير منحصرة ومن واقف ، وفي حديث المعراج حتى بلغت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي ، وقد تكلمنا عليه في شرح الحديث ، ومسئلة الانحصار هذه مسألة مشكلة فان العلم الذي به ادرك المرء انقسام الموجودات الى جواهر واعراض به ادرك ان موجودا ليس بجوهر ولا عرض ولا نعلمه وان جهات المخلوق ستة لا سابع لها وان الكون من حركة وسكون لا ثالث لهما وان السواد والحمرة لا غاية وراءها وان كان بينهما وسائط وان العلم لا تعلق له بالعدم المحض وانما يتعلق بمعدوم مقدر فان قدرت عالما آخر وامكننا فهمه فقدر موجودا ليس بجوهر ولا ولا عرض وكونا ليس بحركة ولا سكون ولونا ليس بحمرة ولا سواد وجهة سابعة لمخلوق فان وجب ان ينحصر ذلك في المعلوم فلا تسأل عما وراءه بنفي او اثبات وقد بسطناه في موضعه . قال القاضي ابو بكر قال ابن الجويني والدليل على انها منحصرة انها لو كانت غير منحصرة لتعلق العلم بها باحاد لا تتناهى على التفصيل وذلك محال . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه هذا كلام محذوف لان قوله

لو كانت غير منحصرة مقدمة واحدة لا تنتج شيئا باتفاق من العقلاء فلا يصح ان يرتب عليها قوله لتعلق العلم بها باحاد لا تتناهى على التفصيل حتى يقول هى منحصرة ولا بد ان تكون معلومة ذات الحكم على المجهول بحصره او عدمه محال : واذا كانت معلومة فلا بد ان يتعلق بها العلم على التفصيل والتفصيل هو الحصر فـآل نـفى الحصر الى اثباته فبطل في نفسه وهذا هو برهان الخلف • قال ابن الجويني فان قالت الجهلة الباري عالم بما لا ينتهى على التفصيل سفهنا عقولهم • قال القاضي ابو بكر رضي الله يريد ان التفصيل كما قدمنا يقتضي الحصر والنهاية فكيف يضاف اليه ما لا يقتضي النهاية والحصر فان كان للتفصيل عند احد معنى غير الحصر والتناهى فليركب عليه ما يليق به • وقد قدمنا ان لفظ الجملة والتفصيل ليس شرعيا • قال ابن الجويني اذا تعلق علم الله بجواهر لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها في غير فرض تفصيل الاحاد مع نـفى النهاية فان ما يحيل دخول مالا يتناهى فى الوجود يحيل وقوع تقديرات غـير متناهية فى العلم قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه اما قول الجوني (١)

(١) كـذا بالاصل

ايضا(١) وان قالوا ان الباري عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم فهو عبارة عن انه(٢) كلام متناقض غير معقول لما بينا من ان التفصيل عنده يقتضي الحصر وما لا يتناهى ينفيه فتناقضا والجمع بينهما في الاخبار سفه في العقل • وكذلك كل من جمع بين متناقضين ولذلك سفهنا عقل ابي هاشم وسلبناه دينه في تصويره عن الجملة الجامعة بين المتناقضين : قول القائل محمد ومسيلمة صادقان او كاذبان فانه لا يصح الاخبار عنه بكل واحد من الخبرين لانه جمع في المخبر عنه بين متناقضين كما لو قلت الانسان والحجر حيوانان ام(٣) مواتان • واما قوله ان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم فانه كلام ناقص ايضا مفتقر الى تتميم وحينئذ يصلح للتعلم والتعليم فانه كلام ناقص لان قوله ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يعني به في زمان متناه والا فدوران الافلاك عند الفلاسفة لا نهاية لها ونعيم الجنة عند الموحدين لا نهاية له وكل واحد منهما يوجد متماديا عند من يرى الاول على الحقيقة من (٤) الثاني ولكن ذلك كله انما يحال الوجود فيه على ازمنته الآتية

---

(١) كذا بالاصل (٢) لعل قوله «عبارة عن انه» زائدة (٣) خ او (٤) او في

فيكون لكل موجودزمانه ، وقوله يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم يعني بقوله وقوع وجود وقوله تقديرات يريد تصوير وجودات غير متناهية يعني في زمان متناه وذلك مما لا يتعلق به علم لانه لا يتصور له ثبات. تعلق علم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال لانه يريد بالتفصيل الحصر والانتهاء ثم قال هذه الاجناس المختلفة التي فيها الكلام يستحيل استرسال العلم عليها لتباينها بالخواص وهذا كلام معلوم مفهوم وقوله تعلق العلم بها مع النهاية محال مبني على اصله في ان التفصيل هو الحصر والانتهاء قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه (١) من هذا كله ان هذه الالفاظ من الجملة والتفصيل والحصر الفاظ مولدة ركبت عليها المبتدعه علومها وخاض فيها علماؤنا معهم ولكل واحد فيها اصطلاح تركيب معنا على (٢) اسطلح عليه فيها ويختلف الاثنان في الوجه المصطلح عليه فيتباريان ويتعارضان ونحن اذاتكلمنا على ذلك قلنا دعونا من العبارات المحدثة الفاسدة البارى تعالى عالم بعلم لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء يعلم ما كان وما يكون ولا يقدر شيء الا وهو

---

(١) هنا كلمة معناها تحصل (٢) لعل لفظة ما سقطت هنا

عالم به نعم وقد كتبه فهذا عقد صحيح مدلول عليه فان قلتم على التفصيل يعلم او على الجملة قلنا لاندرك ماتريدون فان اردتم بقولكم على التفصيل انه لايخفى عليه شيء فذلك صحيح وان اردتم بالجملة انه يعلم شيئا ويخفى عليه ءاخر فلا يصح لان الدليل قد قام على انه لايخفى عليه شيء فانما نتكلم معكم في عموم علمه وخصوصه والجملة والتفصيل عبارات باردة لانلتفت لكم اليها ولا نبني عليها حكما ولا نصف الباري بشيء منها لا نفيا ولا اثباتا وانما نصفه بما وصف به نفسه ودل الدليل عليه من سعة علمه وتقدس ذاته وصفاته وانه لايخفى عليه شيء كان اولم يكن تقدم او تاخر فعلى هذا عولوا ودعوا بنيات الطرق والالفاظ المحدثة وخذوا ذات اليمين وهو ماكان عليه السلف المتقدمون من الصحابة والتابعين وقد بينا ذلك كله في كتب الاصول وهذه اشارة الى جملة نكتته عاصمة لكم في هذا الباب قاصمة لظهورهم وذلك انا نقول ان الفلاسفة على قسمين منهم من يقول ان الباري لايعلم الا نفسه ومنهم من يقول يعلم غيره ويلزمهم ان يقولوا انه لايعلم شيئا وقد رايت منهم من يقوله فاما من يقول انه يعلم نفسه ولا يعلم غيره فيقال لهم قولكم انه لايعلم غيره ماتعنون به اتريدون

لاستحالة ذلك فهو باطل او لانه لم يتفق فان كان لايعلم غيره لاستحالة
ذلك فهو باطل قطعا لان من يعلم نفسه يعلم غيره وان كان لانه لم
يتفق ذلك فالذي يوجبه ذلك للعبد عدم ارتباط كل واحد منها بصاحبه
والموجودات كلها مرتبطة بالاول فكيف يعلم منها واحدا دون غيره
هذا محال قطعا وان قالوا انه لايعلم شيئا فذلك من افسد دعوى فانها
اذا كانت عنه او بعضها فكيف يكون عنه ومنه وبه او منه او به او
عنه وهو لا يعلم ذلك وتصوره غير معقول وان قالوا انه يعلمها جملة ولا
يعلمها تفصيلا قلنا ان كان لا يعلمها تفصيلا فلايعلمها ايضا جملة لان كل جملة لها
تفصيل يكون عنها مرتبا اوفيها محكما اوبها مولدا فكيف كانت عنه كذلك
ولا يعلم بها كيف كان عنه مالم يعلم به على وجهه هذا لايتصور فان
قيل للاحاطة بها على التفصيل وهي لا تتناهى ولا يمكن تحصيلها
قلنا هذا الكلام باطلاقه تلبيس لانه يقال لهم قولكم لايمكن تحصيلها
لمن آ للذي كانت عنه او لغيره فان قلتم لغيره قلنا صدقتم فان الانسان
لايدرك الاشياء كلها على التفصيل انه ليس شيء منها عنه وانما يعلم
منها ماعلم وكانت عنه فمن ضرورة العالم ان يعلمها مايكون عنه
ولايستعظم علم ما لا يتناهى كما لايستعظم وجوده وقدر الوجود مقرونا

العلم وقدره من غير تعلم و بغير آفة نظرا عليهو بغير عدم يلحقه
او يسبقه ولم يجد له نظيرا فلم يلق منك نكير او الانسان على قصوره
يعلم ما كان و ما هو فيه و ما يكون باطراد العادة لكنني (١) اخبر
الصادق انها تكون لا تتغير وهو لم يجد ذلك ولا كان عنه فقدر
في الخالق المكون قل بواسطة او بغير واسطة علم ذلك كله على
الكمال و القوم في قصور من المعرفة عظيم وتخليط كثير وقد
فاوضتهم في الاقطار والامصار بنفسي وحضرت ذلك في مجالس
الايمة والجهابذة بالشام والعراق فما اثبت الله لهم قدما ولا رفع لهم قط
علما ولم يتكلموا على تقية الا بغاية الحمية وقوة الاعتقاد والنية والله
يعيذنا من حالهم ويريحهم وبال امر مآلهم بعزته قال القاضي ابو بكر
رضي الله عنه وقد تقدم من ذكرنا لقولهم في المفردات والبسايط
اشارة انبهكم فيها على نكتة فاوضت فيها عضماءهم فاضطررت
اكثرهم في النظر الى ان يقولوا ان البسيط المطلق لا يتحقق الا
في القول وذلك اني قلت له الاسطقصات التي كان ينبغي ان
يسكتوا عنها ما هي فذكرها قلت له الماء بسيط او مركب

---

(١) عبارة ممحوة بالاصل اصلها التي

فتفكر وقدر وعلم ما الزمته فقال مركب قلت له من الرطوبة والبرودة قال نعم قلت فالرطب المطلق مجردا والبارد المطلق مجردا لا ينضاف اليهما شيء ماهو وحينئذ يتحقق لك البسيط قال لي ذلك يكون في العدم قلت له الله اكبر العدم ليست له ذات تخبر عنها بما يعقل فيها وكذلك لو وضعت يدك معه في الافلاك فلكا فلكا اضطرتهم الادلة الى ان يقولوا ان احاد جميعها بسط في العدم فزحل الاهم الاعظم بارد يابس فقد كان كل واحد منهما بسيطا فمن جمع فيه الضدين ومن ركب المتناقضين فيالله وللعقول التي ذهبت في تضليل قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه واما النظر معهم في الايالة العائدة لمصلحة العالم الخاص من البدن والعالم العام الخلق فهو قانون علقوه من الشرائع السالفة مبدلا ورتبوه مشحونا سخافة وخالا اذا قرات لهم منه مسطورا رايته متهافتا منكورا اخبرني الفقيه الطرطوشي اخبرني الباجي انه كان يوما في باجة احمد بن هود ينتظر اذنه فجالسه ابنه الملقب بالمؤتمن وكان يتفلسف وجاذبه ذيل الحديث فقال له هل قرات ادب النفس لافلاطن قال له الباجي انما قرات ادب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو بكر

رضي الله عنه الذي رايت لا فلاطن زجر النفس وعن الباجي بقوله ادب النفس لمحمد ما تضمنت الشريعة من قرآن وسنة في هداية السنن وايضاح السنن والقوم كما ذكرنا لكم انما رتبوها مشارقة لقوانين الشرائع مركبة على الشهوات واللذات مقرونة بمكارم حسب ما تقتضيه الاهوية وتميل اليه النفوس من غير نظر فى العواقب الصحيحة المفيدة ولو كان على ما زعموا لكان الخلق عبثا ولما كانت الخلقة حكمة بما رتب عليه في الحشر من العاقبة قاصمة ونبعت طائفة كادت الدين وبهرجت على المسلمين وارادت التلفيق بين الفلسفة والملة وحاولت الجمع بين الشرع المنقول وقضيات العقول القاصرة عن غاية الدليل بذواتها وجزمت القول بانه لم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بها ولا دار الا حولها ورتب نظامه في سلكها ودار كلامه وعاه عليها وجعلت تتبع ذلك فصلا فصلا حتى عقدت ابوابا في شرح هذه المقاصد ومن اعظم ما انتدب الى ذلك القضاة الاربعة الذين لقبوا انفسهم اخوان الصفا فجمعوا الخمسين رسالة في كل علم رسالة ولم يبقوا من رسوم الاسلام اصلا الا عقدوا فيه فصلا وكانوا في علومهم مقدمين وعلى

الفصاحة مقتدرين و بدرك المدرك عارفين و بالدولة معتضدين ومن تمكن من تصريف لسانه و بنانه لاينبغي ان يستغرب ما جاء من بيانه فكم قائل من الحكماء

في فمي ماء وهل ينـ ❀ ـطق من في فيه ماء

وانما يقصر (١) بالقلوب الاسمية (٢) والالسنة اللوذعية والنفوس الاحوذية فاروواها (٣) بن انتقاد الحساد وتشنيع الاعادي (٤) فترى العالم صامتا وما به عمى ، متماوتا وانه لحي ، ولما تمكنت هذه الطائفة كما قلنا لم يبق من الحكم النبوية والاغراض الفلسفية بالادلة الجليلة والاشارات بعبارات غلاة الصوفية الا وقد رصت عليها بلية ودست فيها بلايا نوع (٥) بلية فاذا قرأها من ليس من اهلها هلك بها واذا قرأها عالم جردها عن فسادها واقاما من مايدها وعدلها عن حايدها وردها الى مالكها وواجدها عاصمة قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه ان الله تعالى وله الحمد انزل كتابه على نبيه نورا محكما هدى تبيانا لم يكن رموزا ولا كناية عمالا يتوصل به اليه

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) لعله الاصمعية (٣) لعله ما رواها اى ما كثر عليها (٤) خ الآحاد (٥) كذا بالاصل

سامعه ولا يعليه مخاطبه واقام عشرة اعوام او ثلاثة عشر عاما او خمسة عشر عاما يجادل بالحجة جميع الكفرة بالآت من آي القرآن حسب ما بيناه في انوار الفجر فما بقي نوع من الادلة ولا وجه من وجوه الحجج الا وجاء بها على اوضح منهج وتناولت كل حجة طائفة من الملحدة واصحاب الطبايع والصابئة بقدرها واليهود والنصارى والزايغين بقسطها على نحو ما قالت كل طائفة من الشرك ولو شاء ربنا لكفهم عن هذه المقالات واذ اطلقها على السنتهم فقد نص كيف تنقض اقوالهم حسب ما تقرر من الادلة ومن كيفية استعمالها في كتابه وعلى لسان رسوله وذلك كله بسابقة من المشيئة ووجوه من الحكمة ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فابان انه خلقهم للاختلاف وليرحم من شاء منهم فيخلصه عن شائبة الخلاف، وما استاثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم الا والدليل قد اتسق، والدين بالعلم قد استوسق، والحرس مبثوث على جوانب الملة لا يستطيع اخذ خرقتها لا في السماء يسلم ولا في الارض ينفق وان (١) اشتجر الخلق اشتجار اطباق الراس عقائد واعمالا، وتفرقوا تعصبا واختلالا، فمدت البدع

(١) لعله واذ . والعامل فيه هو خلع

اعناقها ، واطلقت المبطلات السنتها ، وكانت الامة على حاميتها والولاية على حمايتها .
خلع العذار الخلق في المعاصي واخذوا في طرف من البدعة . فلما جاء الوعد الصدق
بان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدا ولج في الدين لصوص من غير بابه
وتعلقوا باهابه ومشوا له الضرا واسر واحسوا في ارتقا وخاطبك كل واحد
منهم بلسان القرابة وهو من البعدا وعاملك بالخلة وهو
من الاعدا ، واتاك بالداء في صفة الدوا ، ولم يخل الله قط امته ، ولا ضيع
شريعته ، عن ذاب عن حرمها وحامل على مستقيمها ، كما اخبرنا ابو محمد جعفر
بن احمد بن الحسين بالمعلق من مدينة السلام تجاه دار الخلافة ثنا ابو بكر
احمد بن علي الحافظي ثنا ابو بكر احمد بن عمر (۱) ثنا جعفر بن محمد بن نصير
الخلدي نا خلف بن عمرو العسكري نا سعيد بن منصور نا عبد الرحمن بن
زياد نا شعبة عن معاوية بن قرة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يزال ناس من امتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ، قال القاضي
ابو بكر رضي الله عنه وبعد هذا فليس يخفي على ذي لب ان العقل والشرع
صنوان — منزلة الشرع من العقل — وقد قال بعضهم ان العقل مزكى الشرع
ولا يصح ان ياتي الشاهد بتجريح المزكى ولا بتكذيبه فان ذلك ابطال له .

(۱) هنا محو اقرب ما يظهر منه لفظ الدلال .

والحقيقة ان العقول على ثلاثة اقسام واجب وجائز ومستحيل فاما الواجب والمستحيل فلا يتعرض الشرع الى بيان حقيقتها واما قسم الجواز فان الشرع هو الذي يتصرف فيه بان يعين احدها لانه هو الذي اوعز به عالم الغيب والشهادة اما انه يذكر الواجب والمستحيل في معرض الادلة اذا كانا نظريين ويذكرها اذا كانا ضروريين تييد (١) لتوطيد القسمين النظريين عليها واذا لم يتناقضا لن يتنافيا فعلى اي وجه يجمع بينهما . اما انه جاءت ظواهر ضعفت بعض قدر الخلق عنها فوجد السبيل من كان له حرص على الزيغ عن الشريعة بها عاصمة وقد نزل القرآن بها وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وابلغ رسالة ربه فيها فلو كان عند من تقدم من السلف الصالح والطالح والكريم واللئيم والمؤمن والكافر منهم اجمعين من يشك فيها او يرى اشكالها لما وقف مومن في شك ، ولا سكت كافر عن طعن ، ولبادر الى الاعتراض مع ما كان في نفسه من عداوة الشرك . بل سلم جميعهم تسليم العالم بها على حالته في (٢) كفر او ايمان . وما اعترض كافر على الرسول الا في احاد يسيرة من الالفاظ لم يكن من باب الاخبار عن الله ولو كان عندهم فيها شبهة او للملحد بها متعلق لقام صاحبها يشدو بها ويشهرها ، او لصاحب طبيعة لقال انت تنسب الكل الى الله وهو قد رد الكل الى الطبيعة

---

(١) كذا بالاصل ولعل الاصل الحقيق تمهيدا (٢) او من

واحال على الاسباب والمسببات وربط الحوادث بحركات الافلاك ، او ليهودي او لنصراني لتبادروا من قريب وتناوشوا من بعيد متالبين عليه في كلامه . وقد جاءوه من الاطراف القاصية فناظرهم به . او لصاحب صنم لثاروا اليه يقولون له ربك بعين ويد ورجل وكف واصبع وساعد وجنب وياتي ويجيء ويضحك ويطا برجله ويمشي ويهرول وينزل ويحاضر ويمل مع من يمل ويعطي بيدين وآدم مخلوق على صورته باطنه بباطنه وظاهره بظاهره ، فما ينكر من عبادة من تكتنفه الافات . وياخذ كل واحد منهم في طريقه على مذهبه ويجادلوه بذلك كله او يدعيه كل واحد الى نفسه . ولكنهم علموا خلافه لهم اجمعين في المقاصد ، ومباينته لهم في الموارد ، رادا على جميعهم ، وانه لم ياتهم بمهم ولا كلمهم بتخليط ومحال وان معجزته ظاهرة ودليله على صدقه بين فلجوا الى الحرب والاحتماء بالطعن والضرب والانحياز الى دار غير داره او تمسك كل واحد ببلاده ، والاسلام يعلو ولا يعلى وكلمة الله لا بد ان تبلغ المنتهى . فلما درست الملة ونقصت الشريعة صارت هذه الطوائف عليه عزين ما بين مدعين وطاعنين وملبسين . ومنهم من ياتي بهيئة الناصر ومذهبه التخذيل ، وينتدب هاديا ومقصده التضليل . والحق قليل . ولم يات (١) احد فى كتاب الله ولا حديث النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة

---

(١) خ يلق

يردها العقل نعم ولا يخالفه في شق الا بلمة حتى يفتقر الى التميز بينهما والفصل لمجرد اختلافهما . فابت هذه الطائفة الركيكة الا ان يكون (١) بينهما النزاع ، وتنزل بزعمها في الفصل بينهما منزلة الانتفاع وهى لا تالوا في ذين . — قاصمة — وهى قاعدة قائمة . وليس الامر كما زعموا والحمد لله وسترى ذلك في اثناء الكلام عيانا وتحققه برهانا ان شاء الله . ومنهم من حملته القحة وعظيم التهتك مع التمكن من الهزء واللعب على التغلغل في الباطن فقالت ان نزول القرآن ليس على وضح تاويله تنزيله ، بل وراءه بحار علوم وكنايات عن اعراض كما قدمنا عنهم فيقولون ان البقرة لها معنى غير ما ظاهر (٢) من التنزيل وان العجل له معنى ايضا خلاف تنزيله اذ لا يصح ان يكون على تنزيله فان احدا من اصحاب موسى ما كان ليتخذ العجل المصاغ من الفضة الاها من دون الله يخور بحليه وجوهره اذ لا يخفى ذلك على من له ادنى مسكة من نظر ولذلك وجب ان يحال على معنى يمكن ان يقع فيه الاشتباه ويحصل معه الاشكال فيرتبك فيه من يرتبك به . وهذا مما فاوضتهم في انحائه مرارا ، ووجه الرد عليهم مشاهد ، فان جد هذا المعترض لي والمتكلم معنا كان يعبد حجرا ياتي به من الطريق . كما قال ابو رجا العطاردي في صحيح

---

(١) يوجد في الاصل بين لفظة يكون ولفظة النزاع هذه الجملة : تبرز فهما ولم يظهر لها معنى (٢) خ يظهر

البخاري قال كنا نعبد حجرا فاذا وجدنا حجرا هو خير منه القيناه واخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة الا نزعناه والقيناه . وكان يقول كنت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما ارعى الابل على اهلي فلما سمعنا بخروجه فررنا الى النار الى مسيلمة الكذاب وقد وقف على ذلك بعض الصحابة فاعتذر بانها كانت عقولا كادها باريها وليس عبادتهم العجل وقلبهم له الاها باغرب من قولكم انتم ما نزل الله قرآنا ، الى ما تدعونه علما وبيانا . ولولا انكم لا تحتملون ما اذكره عنهم ، ولا ينبغي ان يهاج به اهل هذه الاقطار لانهم لم يسمعوه لذكرت لكم من ذلك غريبا تفنون الدهر منه عجبا . وجملته انهم لا يذكرون في تاويل آي من القرآن ولا حديث عن الرسول معنى يرده الى غرضه الا قلبه (١) له في معنى آخر . حتى ان من اراد من الباطنية ان يرد جميع القرآن في علي فيرده الى العباس العباسية ويرده الى ابي بكر البكرية والى عثمان العثمانية ومن اراد من الاخوانية (٢) ان يرد الآيات والآثار الى افعال الكواكب وتاثيراتها وان ذلك عبارة عنها وردت

---

(١) قلبه اي غيره من الفرق المذكورة بعد (٢) اي اخوان الصفا

به الى غير ذلك (١) فان قال المبتدع او الملحد قد صح لي غرضي من ان الشرع لاتحصيل فيه . قلنا له لا يخلو ان تتشرع به (٢) وتقبله فما تدعي فيه نبطله عليك حتى اذا انتفيت منه وقلت ليس بشيء رجعت صاغرا بالدليل الى قيد آخر من النظر يفيدك بانه حق وهكذا هي حقيقة الملة : من اراد ان يدخل فيها داخله رد عنها اليها بادلتها في غرائب من النظر كلها قرءانية سنية حسب مابينها الله فى كتابه لاوليائه وحاج بها عن نفسه على اعدائه . وفى اثناء هذه العواصم سترون دستور ذلك وتتبينونه اذا لحظتموه بقلب شاهد، ونظر جاهد . والله اعلم — استدراج — ان المطلوب علمه ينقسم الى معدوم وموجود وفى ذلك كلام طويل بيننا وبينهم ولكننا نبني معهم على انا قد وقفنا هاهنا فنقول الكلام معكم على وجهين احدها بما يعترض فى اثناء النظر وترديد القول وقد قدمنا منه جزءا مما جرى بيننا وبينهم على صفته ، من مجازه وحقيقته . الثاني ان نتكلم معهم بلغة حبرهم الاول صاحب الطاء والفاء ومن عبر عنه

(١) الجواب محذوف تقديره رد (٢) المقابل محذوف تقديره او لا تتشرع به فنناظرك في اصل الملة .

من سين اوراء (١) فنقول لا خلاف ان الوجود ينقسم الى واحد والى كثير والواحد الذي لا كثرة فيه هو ذات الباري فانه لا ينقسم بالعقل ولا يقبله فهو واحد بالامكان وبالوجود والقوة والفعل وهذا لم يقبل لواحق الكثرة من الغيرية والتخالف والتقابل ونحوه من التساوي والتشابه ونحوه من التساوي والتماثل وعدم التناهي بكل وجه ووجوب الوجود له ولا زم فيه باتفاق التقدم لا بالزمان. ويبقي النظر بيننا وبينهم في بقية مراتب التقدم الاربعة وهو الشرف والطبع والذات الذي ينقسم الى قسمين احدهما ان يكون به اولى به. نعم وهل يقال فيه انه موجود بالقوة فيه نظر طويل وهذا كله لا يوصل اليه الا بنظر طويل وتفصيل لا نتابى (٢) عنه الا ان آلت الحال معهم الى الامكان على موافقة المطلوب لكن يبقى النظر الاعظم في ان حقيقة موجود بلا ماهية لا يقبل الكثرة كذا كذا كذا كما ساقوه يصح ام لا فانكم اذا قلتم علمنا الله قيل لكم موجود بلا ولا ولا كما وصفتم علم بم ذا ولا بد لكم ان تعلقوه بمفهوم تطمئن به العقول، ويدخل في سلك العلوم وليس لهم عن هذا جواب ينفع (٣)

---

(١) هل يريد بالطاء والفاء افلاطون. وبالسين والراء ارسطو ؟ تامل (٢) هذا اقرب ما ظهر من المحو (٣) بين بهذا الفصل ان طريقة الفلاسفة لا توصل الى معرفة الله

والا فهذا كلامى وانا حي او ميت فاحشروه وانشروه ، ففي قوة كلما اوردت عليكم معشر الموحدين يبطلوه (١) بيد اننا نحن نقصد الله الذي اتانا على لسان رسوله من العلم المثبوت بركته . نقول من اراد ان يعلم الله فسبيل ذلك لائحة وهو ان تحقق انه ليس مثلك ، فكلما (٢) علمت نفسك عليها وقدرتها فليس هو عليها . فان قلت فهذا نفي محض قلنا هو نفي لمثلك ، وليس نفيا لصانعك وموجدك . لانه قد ثبت بك ومعك ومنك . وانظروا رحمكم الله ان النبي كيف انبأ عنه بان طريق معرفته افعاله فاما هو سبحانه فلا يستطيعه احد . قد قال النبى صلى الله عليه وسلم انت كما اثنيت على نفسك . معناه لا اقدر على صفتك الا بما علمتني من صفة نفسك . فان اردت ان تنكره لم تقدر ، وان اردت ان تمثله لم تستطع فان اردت دركه كما وصف نفسه ودل عليه فعله امكنك . وهذه ثلاثة اقسام ضرورية . فانت العالم به حقا على قدرك وهو العالم بنفسه كما ينبغي . واذا اردت الصراط المستقيم المبلغك اليه كما امر من الاستدلال بافعاله عليه فاقرب شيء اليك

(١) من قوله ففي قوة الى الرقم كذا بالاصل وتامل (٢) اى كل صفة

من افعاله انت فمنهة فارق اليه ، واخرج في دوح المعارف يقف به عنده بين يديه . فتعلم اذا سلكت هذه السبيل الميثاء انه قد جعل الروح فيك اية عليه فانك اذا اردت انكارها وجودا لم تقدر عليه وان اردت له (١) مثالا لم يمكنك وان اقررت بها لدلالة ا نارها عليها اصبت . وتحقيقه ان الفعل لا يصدر الا عن قادر وهو عبارة عمن اذا شاء فعل واذا شاء لم يفعل وانه عالم بنفسه وبكل معلوم اذ انت عالم بنفسك ولم توجدها فضلا عنه وهو عالم بغيره كما تعلم انت غيرك وان توقفت في انه علم واحد او علوم فلا تبال به فانها مسالة نظر والا صح انه واحد وانه مريد لما يفعله اذا الفعل عن الفاعل يصدر طبعا او عن ارادة ، والطبع عند طا وصحبه وهما الفاآن والسين هو الفعل المنفك عن العلم بالمعقول : وقد اتفقنا على انه يعلم ويفعل من غير طبع وذلك هو الايثار والقول في العلم قد تقدم . وان نظرت في غيرك من افعاله فهو من الصراط المستقيم لكنه محتوش بثنيات يخاف على السالك ان يعرج عليها فيتيه بعدها . ومن ذلك الغير عقل ونفس وجسم والعقل عندهم جوهر

---

(١) الاولى لها

لا ينقسم ولا يركب ولا يشاهد والنفس تقبل التأثير من العقل وتؤثر في الجسم والجسم يتأثر بالنفس ولا يؤثر والعقل عندهم ينقسم الى بسيط ومركب امكانا عقليا وجودا ، والبسيط في الاكثر عندهم هو الذي له طبيعة واحدة كالهواء والماء ، والمركب الذي يجمع طبيعتين كالطين ولا خلاف عندهم في ان البسيط اصل المركب كالحبر ولا وجود له في العفص والزاج ومن البسيط ما لا يتركب وهو بالعمل ببسائطه ولي فيه معهم كلام . ومن اعظم ما ينظر فيه الاجسام السماوية فيقولون انها متحركة بالارادة لغرض هوشوق الى العلوي للتشبه به لعلاقة بينها وبين الاجسام يسمى عقلا قالواوملكا ويدل عليه عدم التناهي في هذه الحركة اولا وابدا فلا بدلها من الاستمداد من قوة محركة ويستحيل ان يكون في الجسم قوةلانهاية لها لان له نهايه فلابد من متحرك (۱) مجرد عن المواد وذلك قسمان كتحرك المشوق والعاشق وكما يحرك الروح البدن والثقل الجسم الى سفل فالاول مالاجله الحركة والثاني ما منه الحركة والحركةالدورية تفتقر الى فاعل مباشر يكون منه الحركة وذلك لا يكون الا نفسا

(۱) لعله محرك

متغيرا لان العقل المجرد الذي لا يتغير لا يصدر منه الحركة المغيرة فتكون النفس الفاعل للحركة متناهى القوة لكونه جسمانيا ولكنه بعد موجود ليس بجسم بقوته التي لا تتناهى وتكون عريا عن المادة حتى تكون قوته تخرج عن النهاية ولا يكون فاعلا للحركة فيكون لاجله الحركة من حيث كونه معشوقا لا من كونه مباشرا للحركة ولا يتصور متحرك لا يتحرك بنفسه الابطريق العشق · فاذا نظروا فى الادراك للاشياء فقال اكثرهم انه لا يكون الا للحس بارادة حسية وحركته (١) خلاف النبات اذ حركته طبع تميز به الحيوان وهى حركة شوقية وحركة اختيارية فالشوقية الى المشتهى والمكروه والارادية هى الحركة في الاعضاء للتصرف والمدركة نوعان نوع يدرك الصورة المتكونة بانطباعها في الهوى ويستمر الانطباع حتى ينتهى الى رطوبة العين وكذلك السمع وسائر الحواس لهم فيه تخليط . واذا مشوا في ادراك المعقولات دخلوا فى مجهله تيه لا علم لهم بها اصلها عندهم ان

(١) كذا بالاصل

الحواس كلها تنتقل المتلقي لها الى سالفة الدماغ من قدام وليس للقلب فى ذلك اثر وهى ان قبلتها فى لحظة ليس لها ثبات معها بل تذهب عنها لكن ربما القتها الى قوة في آخر الدماغ تسمى خيالية ثم عندهم قوة اخرى في محل من الدماغ آخر له تركيب يسمى الفكرية ولهم بعدها اخرى وهمية يسمونها الحاكية وهى فى الحيوانات كلها . وهذه الكلمات شاركهم فيها الاطباء وبنوا علاجهم عليها ـ عاصمة ـ قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه . قولهم ان الذات الواحدة لا تنقسم بالفعل يقال لهم نعم ولا بالقوة فذكرهم الفعل وحده تقصيرا و تلبيس. و اما قولهم انه واحد بالامكان فجهل محض ينبغي ان يقولوا انه واحد بالوجوب . واحد بالوجود لان الامكان ما جاز سواه وهاهنا يمتنع ، هذا و قولهم انه واحد بالعقل محال لان العقل لا ينظر اليه واما قولهم لم يقبل لواحق الكثرة من الغيرية الى آخر الفصل فهو باطل. بل الباري تعالى غير لخلقه خلاف لهم . و قولهم التقابل فانه يقبله على رايهم وهذا اذا كان معنويا فانه سبحانه لا اول له والخلق له اول ولا يعدم والخلق يعدمون وهكذا يتقابل معهم فى صفاة الجلال هى له والكمال (١) والنقص للخلق ولا

---

(١) الكمال معطوف على الجلال . او يكون مبتدا والمعني ان الكمال الثابت للخلق معه النقص ؟

يصح سوى هذا ، واما التقابل بمعنى التوازي فمحال عليه وكذلك التساوي والتشابه والتماثل محال عليه وكذلك عدم التناهى ، وقولهم وجوب الوجود ينقض ما سبق من قولهم امكان الوجود كما بيناه ، واما فصل التقدم فانه بمعنى الشرف واجب للباري ولا يقال ان ذاته قبل الذوات لانه لا يتطرق اليها القبل الزماني ولا قبل الطبع ولا شك فى ان كل شيء به ومنه على معنى انه الفاعل له بقدرته ولا اشكال على مذهب الجميع لانه لا يكون موجودا بالقوة واقوى ما فيه عليهم ان من ضرورته خروجه الى الفعل اوجواز خروجه له وذلك محال ههنا باتفاق ، وثبت ان الاله هو الذي ليس على حال من احوال الموجودات كلها وهذا ما لا خلاف فيه بين العقلاء منهم ومنا فيه انهم لا يفون هذا الاصل حقه فى التوابع ، واما العقل فانه معلوم به لااشكال فيه عند احد بيد ان الملحدة والشيعة ادحاته موق الاشتباه قصد الالتباس اوجهالة فطرية وطرأ عليه ايضا استعمال العرب له فى ثمراته وفائدته في بعض مقدماته فصار لذلك مشكلا على من هو دخيل فى لسان العرب وبهذا كله وجدت الملحدة السبيل الى دخيلتها ، واهل الفلسفة يطلقونه في معان كثيرة منه عملي وهى

قوة تنشأ عنها قوة اخرى منطلقة الى مامن الجزءيات وهذا فيما لا يخلو ان يكون علما اونظرا او ارادة ، ومنها عقل هيولاني وهذا تهويل يعبرون به عن قوة فى النفس صالحة لقبول ماهيات الاشياء مطلقة معداة عن موادها (١) فارق الحامل الصبي والبهيمة وهذا انما يرجع الى علوم مركبة على غيرها فالصبي يعلم والدابة تعلم لكن علما مقصورا والحامل يعلم عليه زيادة . ومنها عندهم عقل فعال وهى القوة التي متى شاء عقلها واحضرها بالفعل وهذا شيء عبارة عن تجديد النظر فى الخفي باستخراجه من المعلوم الحاضر مع التذكر له وليس شيء من ذلك اشكال الا من عباراتهم والا فهي علوم كلها مرتبط بعضها بالبعض (٢) ويتركب على البعض وكلها يترتب على العلوم الضرورية وتزيد وتنقص وتنسى وتذكر . وقد بينا فى غير كتاب ان العقل هو العلم بنفسه ، لا زيادة عليه كيفما تصرفت احواله وانبطت لا تختلف فى ذلك . واما اذا ذكروا العقل الفعال فتنتفخ اوداجهم وتغشى وجوههم فترة ويقولون هو كل ماهية مجردة عن المادة ويقولون انه فعال اذ من شانه انه يخرج الفعل الهيولاني من القوة الى الفعل باشراقه

---

(١) هنا محو ولعل المحو لفظة بها (٢) خ بعضها يرتبط بالبعض

عليه . وهذا كله تركيب فاسد ونسبة فعل الى غير فاعل ولا يصح ان يكون اخراج ولا ادخال الا في الاجسام وما يستفاد من علم عن علم لا يقال فيه شيء من ذلك والمادة والصورة هاهنا عبارتان فاسدتان على حالها من المجاز . العلم المرتب ليفيد علما مادة وحصوله عنه صورة والتهويل بهذه الاباطيل لا معنى له . وقد قدمنا القول فى البسيط والمركب ولا فائدة له فى اللغة العربية الا ان بناء ب س ط للاتساع وبناء ر ك ب للاجتماع المرتب فيصح لهم هذا المعنى فى المركب لغة ولا يصح لهم ذلك فى البسيط لان معناه عندهم مفرد ينضاف (١) عليه حتى يصير مركبا . واما قولهم ان نفوس السموت تتحرك بالارادة والسموت والافلاك فياسبحان الله اكثرهم ينكرون الايثار والارادة للاول وينسبونها للثاني والثاني اغنى عنها من الاول . واما تفسيرهم الحركة انها من شوق فذلك خذلان لم يرضه اخوانهم من القدرية ، وهل ينبعث الشوق الا عن نفس حية رطبة مع بلة وبنية ، فان ركبوه على غيرها كان ذلك دعوى لا تثبت ابدا ، وما ذكروه دعوى محال سموها عقلا وزعموا انا نحن نسميها ملكا ، فهذا كذب

---

(١) ويضاف

علينا ولغو منهم (١) فلم يصيبو في وجه (٢) ذلك ليخرجوا الفاظ الشرع الى اغراضهم الفاسدة ، واما قولهم انه يدل عليه عدم التناهى فانه (٣) يدل (٤) على تجويز المحال ، اي مناسبة بين عدم التناهى لو ثبت وبين ماادعوه فكيف ولا مناسبة بينهما محال وهى في نفسها محال على مااصلوه وما جرى فى حوارهم هذا فانه هذه الحركات الدورية فان كانت لا اخر لها عندهم فلا بد ان يكون لها اول ، فقولهم عدم التناهى اولا وابدا باطل فى باطل ، وقولهم لا بد لها من استمداد من قوة محركة لا يصح لان ذلك يؤدى الى طلب مالا ينتهى فيها وذلك محال . فقولهم يستحيل ان يكون قوة لا ينتهى في جسم متناه باطل فان ذلك انما ينبني على نسبتهم الافعال الى الاجسام وهى عندنا محال ، لا فعال الله (٥) فيخلق الله قوى لا تتناهي فى جسم متناه على التوارد ، وقولهم لا بد من محرك مجرد ، قلنا قولهم لا بد من محرك صحيح ، وقولهم مجرد عن المواد ، لا ندرى ماهو ، وان

---

(١) هذا اقرب ما ظهر من المحو (٢) هنا محو ولعل الممحو لفظة فعلوا او قالوا (٣ و ٤) هذا اقرب ما يظهر من المحو (٥) كذا بالاصل وثم محو خفيف ولعل اصله الافعال لله او لافعال الا الله .

درنياه لم نفسره لكم ولا معكم ولكننا نقول لابد مـن محرك لم يتحرك ولا يتحرك وحينئذ يصح ان يكون اصلا للحركات المتحركات واما قولهم ان ذلك كحركة المعشوق ، فيا سبحان الله؛ يصعدون الى العلو ثم ينزلون الى الهاوية بخذلانهم اي عشق ههنا . وما يتجرد عن المواد لا يعشق ولا يعشق ، ولا ينزعج ولا يقلق . وقولهم كما يحرك الروح البدن . مـن افسد شيء عندهم وعندنا ونحن لانسلم ان الروح يحرك البدن ولايجوز ذلك عندنا عقلا . وافسد منه وابعد قولهم كما يحرك الثقل الجسم فان ذلك لايجوز بحال وليس بشيء مـن ذلك لاجله . بلى انه قد يكون الشيء من الشيء وبالشيء على معنى بقدرته . والله قد خلق ما في السموت وما فى الارض جميعا صادرا منه بالقدرة والعلم والارادة . كان لبعض ملوك خراسان صاحب ذمي فقال له ان عيسى افضل من نبيكم محمد بشهادة نبيكم له بذلك قال له الملك واين قال ان محمدا اخبر عن ربه بان عيسى روح الله وكلمة منه فجعله من نفسه ولم يجعل ذلك لمحمد . فأرسل الملك الى بعض خواصه وقال دلنى على عالم خراسان فقال له ما اعلمه الا ابا الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليم الصعلوكي الحنفي تفقه بابيه وحاز رياسة الدنيا والدين .

فارسل اليه واعلمه بذلك فقال لا بد ان يكون جواب هذا السؤال في القرءان ولكن يفرد لي منزل اكون فيه لا يدخل علي فيه احد . ففعل ذلك به فلما كان بعد ثلاث قال اخرجوني فاخرجوه فقال قد قال الله وسخر لكم مافي السموت وما في الارض جميعا منه . فليس ذلك اختصاص لعيسى . وقد رايت راسا من الملحدة كان يجهل بمسالة من الاعراب على الطلبة وهو ان يقول قوله خلق لكم مافي السموت وما في الارض جميعا منه . على من يعود الهاء فاذا راى من بلغ معه الغاية السابقة قال له ان كل موجود فهو من الوجود (١) الاول . الثاني فاض عنه (٢) فيضان النور من الشمس على سطوح الاجسام بالترتيب المذكور عندهم . وان راى عاميا سلك معه مسلك الحق الذي يعده مسلك العوام ، وان راى نبيلا لم يثق به حقق عليه السؤال وشككه في المقام ولم يبرم معه عقدة البيان . ولا هتك له قناع الاشكال قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه قد قال الله سبحانه قل كل من عند الله فاخبر بثلاثة اخبار لثلاثة معان . الاول انه جعل الكل من عنده الثاني قال مافي السموت وما في الارض جميعا منه . الثالث قال في عيسى

---

(١) خ الموجود (٢) خ عليه

بكلمة منه . فالاول عام والثاني خاص والثالث خاص من الخاص . وقد قيل الاول في العموم قوله هو الذي خلق لكم مافى السموت وما في الارض جميعا منه والثانى قوله في الفوائد والمصائب قل كل من عند الله والثالث قوله فى عيسى بكلمة منه . وتحقيق القول فى ذلك ان حرف من اصله للغاية كما بينا في التمحيص والملجئة ويرد له بلا عبارات (١) . قد يكون للجنس وللتسبب وللبعضية والثالث محال على البارى تعالى باتفاق منا ومنهم والاول محال عليه باتفاق من الكل فلم يبق الا الثانى وذلك جائز فى كل شيء بل واجب ذلك له فيه وقد حققنا ذلك كله في موضعه بما لبابه — ان الله خلق لنا مافي السموت والارض جميعا فالسماء سقف والارض والشمس ضياء والقمر حساب والماء حياة والنبات والشجر اقوات . فكل له وجه من الانتفاع لنا بجميع (٢) ذلك هذه صفته على الجملة والتفصيل وكل ذلك عند اهل السنة من الله لاشريك له فى خلق ذلك ولا في شيء منه بل كل ذلك خلقه فاخلصوا له العبادة وعاد الضمير الى الله تعالى مقرونا بحرف من كما قدمنا على معنى التسبب لا بتداء المبين لا فتتاح

---

(١) لعله بالاعتبارات (٢) او لجميع

الشيء المقتضى للغاية (١). وقد قال قوم يعود على البحر فالصوفية (٢) يقولون يعود الضمير على الله ويكون معناه انه — سبحانه عما يقولون — نبه به على ان ذاته مبدأ لكل شيء ، عنه كان كل شيء على تركيب العلل فالمعلومات (٣) والتوليد والمولدات والنشوء حالا بعد حال فى المنشئات فكانت الوحدة مبدأ للكثرة وقد بينا قولهم فى ذلك واوضحنا سخافته (٤) فيما تقدم وسنكرر ذلك فيما بعد . واما الطبائعية فيقولون ان الهاء تعود على البحر ومعناه عندهم ان الله نبه عليه فقال الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله وسخر لكم مافي السموت وما فى الارض جميعا منه. يعنى من سحاب ومطر ونبات وشجر . فان المطر يصعد من البحر بتدبيرهم الذي رتبوه ويتصعد من طريق السحاب وينزل بترتيب الى الارض فتقبله ويتولد النبات فيكون ولدا من ازدواج الماء والارض فالماء اب والارض ام والبحر معدن والتصعيد كبقية (٥) من (٦) سخام

---

(١) هذا بيان لاول السببية للغاية التي هى اصل معنى من (٢) لعل الاصل الصواب فالفلاسفة . فان ما ذكره هو مذهبهم . والمقام للواو فلعل الاصل والفلاسفة . (٣) لعل الاصل والمعلولات (٤) خ زيادة : وفساده (٥) هذا اقرب ما ظهر (٦) خ في

لا ترضاه الافهام قد نبهنا على فساد هذا الترتيب كله وحققنا بطلانه وسنكرر ذلك ويتاكد ان شاء الله . فكان هذا البائس سير (١) هذا المعنى (٢) فى هذه الاية ويلطخ بها وجوه الطلبة ولا يصرح لهم بمذهب السنة ليوهمهم ان فى بيانها معنى غريبا ويطوى كشحه على هذه المستكنة . فقد كشفها الله لكم وله الحمد والمنه . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا نشات بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة . وقال الشاعر الجاهلي في صفة السحاب : شربن بماء البحر . قلنا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا . اذا جاءنا حديث صحيح كقوله لولا بنو اسراءيل لم يخنز اللحم ، وقوله اول من راى الشيب ابراهيم . وامثاله قلتم هذا باطل . فاذا جاء حديث مقطوع ليست له رواية ولا يعرف له صاحب يوافقكم صادمتمونا به ولا تعدوننا [٣] فى حجة [٤] الكم . نحن اعلم بمقاصد رسولنا وكلام نبينا ولغة قومنا منكم معشر اليونانية والمانوية . اما قول الجاهلي فجهل محض واما الحديث فمقطوع السند صحيح المعنى اذن به النبي صلى الله عليه وسلم فى الاستدلال فى العوائد فان من البلاد ما علامة مطره

(١) لعل الاصل يسرد (٢) خ هذه المعانى (٣و٤) هذا اقرب ما يظهر

نشوء السحاب بخلافه [١] وكل بلد بريحها منها بلاد تمطر بالدبور ومنها بلاد تمطر بالصبا سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . وصار معنى الاية خلق لنا ما في السموت وما في الارض للانتفاع ، وخلق الافعال الحسية والسببية للابتلاء وخلق عيسى اية في الانبياء وهذا يحقق في التفسير والمشكلين على الاستيفاء ان شاء الله ، وقولهم ان الحركة الدورية تفتقر الى فاعل مباشر كلام باطل وضعيف . اما ضعفه فقولهم كل حركة دورية فيقال لهم لا يصح اختصاص الدورية بذلك فان غيرها فيها كذلك . واما كون الحركة تفتقر الى محرك مباشر فباطل قطعا دليلا وباطل منهم فقد قال ان حركة الفلك تشوق ولا مباشرة فيها وانتم ترون هذا التفاوت في التهافت . وقولهم ان ذلك لا يكون الا نفسا متغيرا محال دليلا ودعوى بطرا ، وقولهم ان العقل المجرد الذي لا يتغير ولا تصدر منه الحركة المغيرة باطل لا يصدر التغيير الا ممن لا يتغير ولا يفعل شيء مثله ابدا فان ذلك محال قطعا يقينا . وما ركبوه من واسطة العشق حتى يكون الفعل عنده كلام غث ، مااخذ لهم بينما يكونون بزعمهم في برهان اذهم

(١) كذا بالاصل .

قدخرجوا الى خطبة ومثل وشعر وخلع عذار وذلك عندهم بعيد من البرهان
واما النفس فهو عندهم من الالفاظ الالهية وهو عندهم عبارة عن معنى يشترك
فيه الانسان والحيوان والنبات بمعنى والانسان والملائكة السماوية بمعنى وهو
بالمعنى الاول جسم وهو عندنا عبارة عن ذات كل شيء موجود وعن الروح
الذي تميز به الحيوان عن الموات . وما ركبوه لانفسهم من المعاني على
الاسماء فهي دعاوي لانهم دخلوا في اللغة فاستعاروا لاغراضهم اسما
فلا يبالي بهم ولا بمنعهم الا عما يتعلق ذلك بالشرع (١) واما الجسم
فهو عندهم عبارة عن معان منها الممسوح بالابعاد الثلاثة اما قوة واما
فعل في تفصيل بارد ، وهو عندنا عبارة عن كل شيء مؤلف من
موجودين فصاعدا لا تاليف فيها ، — ناصحة — لو سمعتم ترتيب صدور
الموجودات عن الاله لسمعتم احاديث ام عمر ولا حديث خرافة فانه
ليس كما تعتقده الحافة ، امر دون امر ، قال رأسهم وسينهم : غاية
التحقيق في ذلك ان الثابت كون الاول واحدا من كل جهة ولا
يمكن ان يوجد من الواحد الا واحد فيصدر عن الاول الواحد
شيء واحد يلزمه لا من جهة الاول حكم فيكون [٢] كثرة

---

(١) هذه الكلمات كذا بالاصل (٢) خ زيادة : فيه كثيره

ويكون ذلك مبدأ للكثير ووجه ذلك ان الاول واجب الوجود وغيره ممكن الوجود فهو محكم [١] ممكن وهو بقياس السبب واجب فيكون له حكمان فتكون الكثرة ، — عاصمة — قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه : قلنا لهم ان كان هذا طريق الكثرة فهو طريق السخافة والخذلان وهما اخوان . وان [٢] قيل لهم لا سبيل ان يكون الاول واحدا فان الوجود له لايتجرد عن علم فانه يعلم ولا عن معان اخر امهاتها عندهم الا يكون وجود لسواه الا منه فائضا عن وجوده بواسطة او بغير واسطة لايتكثر بغيره ولا يتجزأ فكما كان الوجود الثانى كثرة لانه ممكن لغيره كذلك يكون الاول كثرة لان غيره ممكن به والامكان مضاف اليهما معا وهذا لاجواب عنه ، واذا قلتم انه سبب لغيره ثاني واحد هاهنا ؛ وانما الوحدة المحضة ماقاله امثالهم من انه ليس هنالك شيء يذكر ولا يقال ولا يضاف اليه شيء ولا يكون عنده شيء فهذه حالة ربما كان وحده ولا يقوم احد منابه ، واما ما ذكرتموه فلا اعلم فى الكثرة شيئا اكثر منه ، — قاصمة — قالوا صدر من الاول عقل مجرد وفيه تعديد بالشيء

(١) خ زيادة لفظة : ماهو (٢) الجواب محذوف تقدير عجزوا

كما يجب فيما قلنا فكان فلكا وملكا — عاصمة — وهلا كان ماء ونارا ورطوبة ويبوسة . وباي دليل عينتم هذا ومن اي طريق عرفتموه فلا سبيل لهم الا معرفة ذلك ابدا ، قالوا ونعنى بالملك العقل المجرد وينبغي ان يحصل للاشرف من الوصف الاشرف والعقل اشرف والوصف الذي له من الاول وهو الوجوب اشرف ويلزم عن العقل الاول ثان ومن الثاني ثالث وفلك البروج ومن الثالث رابع وفلك زحل ومن الرابع خامس وفلك المشتري ومن الخامس سادس وفلك الشمس ومن السادس سابع وفلك المريخ ومن السابع ثامن وفلك الزهرة ومن الثامن تاسع وفلك عطارد ومن التاسع عاشر وفلك القمر وحصلت الموجودات الشريفة تسعة عشر عشرة عقول وتسعة افلاك ، فما زاد في هذا التخابط ضيق المارستان حتى صار في كل انسان ، ما اشهدتهم السموت والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ، ماهذا التبجيح في الدعوى امتلات روسكم هوسا وتمكنتم من الدولة والخلاء فجئتم بما حقه ان يقذف في الخلا ،

يا الملك من قنبرة بمعمر ❁ خلا لك البر [١] فبيضي واصفري

---

(١) خ الجو

ونقرى ما شئت ان تنـقرى

من اين لكم هذا التركيب فكيف بما بعده من الترتيب ثم ما اليه من التعديد ولعل هذه الكواكب كلها في فلك واحد ولكل كوكب مجراه ، ومجراه فى (١) دائرته وفلكه كالدار لكل واحد فيها مسكنه ، وليس لهم عن هذا جواب ، الا ان يقولوا رصدنا فاصبنا . قلنا ونحن رصدنا لكم فلم تصيبوا . واذا رصد واحد لا يحقق صدقه ينبي (٢) عليه السموت والارض . فان قيل نعرف ذلك بحساب الكسوف . قلنا قد بينا امر الكسوف في موضعه بابدع بيان . والآن في مناظرتكم نقول هبكم ان ترتيب مجرى الشمس والقمر على برهان الحساب من اين يعلم ترتيب غيره . وهذا الآن نظر في الهيئة ولا نبالي كيف كانت وانما المفتقر اليه ما تريدون ان تبنوا عليه فالدار تصلح للفجور وللعمل المبرور ولا ينفع (٣) التعيين بدليل عقلي وانما يكون بالوجود او بخبر الصادق وذاك المفهوم من غرضهم . — تركيب الامتزاجات من العلويات في السفليات — فنقول لهم اولا تكثرون من ذكر العلو والسفل

---

(١) او هى (٢) او تنبني (٣) خ يقع

ونحن نقول لا حقيقة له عندكم هل كان علوا او سفلا الا بواسطة
الانسان فمن يمشي على بطنه اين علوه وقبل ان يوجد ذلك ماالعلو
وما السفل ولم كان الاول الذي صدرت عنه هذه المعاني في العلو
ولم لا يكون محيطا واذا كان محيطا فلم لم ينزل المطر من جهة
الارجل الى الرءوس ويكون النبات على رأسه واصله في رأسه
اجروا ذلك على موجب الطبع ، حتى يظهر في اثناء ذلك كل
بدع . ثم من المسكت لهم ان نقول قلتم إن الشمس لا تكون
سببا لنضج الفواكه الا بشرط قوة طبيعية تكون فى الفاكهة قابلة
لهذا التأثير فمن الشمس كانت هذه القوة لها ام من غير الشمس .
ومن اغرب محالهم انهم قالوا ان مادة الهواء قابلة لصورة النار والماء
ولكن غلب البرد فكان لقبول صورة الماء اولى فيقال لهم الجهل
بهذا الكلام اولى لكم ثم اولى اذا طولبتم بالدليل عليه جفت افواهكم
وخرست السنتكم . — قاصمة — لما رتبوا منازل الموجودات حتى
انتهت الى الامتزاجات جعلوها في بعض المراتب استقصات وهى
النار والهواء والماء والارض ورتبوا لها في الامتزاجات احوالا
وصفات مختلفة جعلوا بعضها كمالا و بعضها نقصانا و بعضها خيرا

و بعضها شرا و يتأتى ذلك باستعدادات واضافات كان اصلها وجود العناصر الاربعة المختلفات فى السلفيات ومنها ما يطلب الوسط ومنها ما يطلب المحيط ولابد من مادة مشتركة لاجل انه لايجوز ان يكون سبب وجودها السموت وحدها ــ فى هذيان طويل هذه مقدماته . ــ عاصمة ــ ومن العجب ان الاستقص عندهم هو الجسم الاول . فهذه الاجسام الاول اوجدت عن مثلها او عن خلافها وما الذي اوجب امتزاجاتها ولم اختلفت احوالها وصفاتها ولم تزايدت ونقصت ومن اين نشأت هذه الاستعدادات والاضافات اعن اسباب مماثلة او مختلفة . اضيفوا نوعا الى نوع وركبوا مثلا على مثل حتى يظهر تهافتكم فى كلامكم ، فيخرج من فيكم ما يكفيكم . وهذه العناصر الاربعة التي عينتم هلا كانت ستة و ثلاثة فمن اين وجب هذا التعديد فيها وتعينت لها والنار جرم بسيط حار يابس طبعه الحركة الى الوسط من اين كان حارا يابسا دون ان يكون رطبا والحرارة من اين جاءته وكذلك اليبوسة ولم كان فى مقعر الفلك القمرى وهلا كان في مقعر فلك الشمس وكذلك قلتم الهواء حار رطب من اين جاءه هذا وهلا انقلب الامر فيه . ولم قلتم انه يتحرك

الى تحت كرة النار وهلا كان فوقها . اثبتوا ماقلتم من دعوى وعللوها بعد الثبوت . وقلتم الماء جرم بارد رطب يتحرك بالطبع الى تحت كرة الهواء فوق الارض . والارض جسم بارد رطب طبعه ان يكون متحركا الى الوسط نازلا فيه . اثبتوا هذه الدعاوي وعللوها على مرتبتكم ولم كانت الارض ولم يكن الماء والهواء والنار كذلك . ومن اين نسبتم ذلك الى مادة ولم جعلتم سبب وجودها معنى غير السموت ولم تحدث غيرها فاحلتم فيها على العدم . ومن العجب انهم يريدون ان ينفوا البركة من الحركة فيقولون انها كلمة فى عبارة عن كمال اول بالقوة او خروج من القوة الى الفعل لافى آن واحد . وبالجملة فكل تغير عندهم حركة فهذا اصطلاح احذر ان تنبني . عليه حكما . انما الحركة النقلة من جسم الى جسم اوما هو في معنى الجسم من الجوهر لاسيما وقد ادخلوا فى حد الحركة الآن وهو عندهم كلمة يعبر بها عن ظرف متوهم يشترك فيه الماضي والمستقبل . وهذه سخافة ، وهو معقول عبارة عن الحال الكائنة التي طرات ثم ذهبت ، والعقل يقضي بين الطرو والذهاب بالفصل . — نكتة القضا والقدر — ويقال لهم اذا كان الاول كمالا وشرفا اوذا كمال وشرف وصدر عنه

تسعة عشر من هذا النوع كما قلتم فما هذا النقصان والفساد والشر الصادر من (١) غاية الكمال والشرف والصلاح والخير وانتم تقولون ان الخير فائض من المبدا الاول على كل احد بواسطة الذي سميتموه فلكا اوملائكة لا سيما وهو عندكم فياض بالطبع . قالوا مايخلق الشر الا والخير فيه اغلب كالنار والماء الخير فيه اغلب من الشر اذ لو لم يخلق زحل والمريخ والنار والماء والشهوة والغضب لبطل بسبب فقدانها خير كثير . قلنا ولم لم يكن عن فياض الخير بطبعه الا مالا يفيض الا خيرا من كل وجه كهو . قالوا الخير المحض هو الموجود(٢)والذي لا يتمحض خيره وفيه شر ممكن ينبغي ان لا يوجد وهو ممكن وكانكم قلتم لو لم يخلق النار ولا زحل الاخبيث لايكون نارا ولا زحلا . قلنا هذا خذلان وهذيان ومن قال ان قسم الخير الذي فيه شر غير ممكن . قلنا وكيف امكن وجود خير فيه شر عن خير محض ان كان الوجود بالذات فلما وجد بطل هذا الاصل . قالوا الشر في العدم وهو النقص عن الكمال ، قلنا وكيف امكن الشر في وجودكم ولولاكم ماكان شر والعدم عندكم هو احد مبادي الحادث وهو ان لا يكون

---

(١) خ عن (٢) يعني الواجب

فى شيء ذات شيء من شانه ان يقبله ويكون فيه وليس العدم ماذكرتم انا العدم الا يكون شيء اصلا قالوا المفيد للخير بين ان يخلق المطر بخيره العام ولا يعبا بالشر النادر فيه الذي يلزم بالضرورة عنه ، وبين ان لا يخلق المطر ليصير الشر عاما واذا قوبل هذا بذلك علم قطعا ان الخير فى ان يخلق . قلنا هذا الكلام على ركاكته باطل لانه ترك منه قسم وهو ان يخلق المطر خيرا كله او يخلق الخير دونه فما الذي اضطر (١) الى ان يخلق على حاله . قالوا وبهذا الترتيب كان القضاء والقدر ومنع من ذكر ثمرة لانه يوهم العوام عجزا فكان الصواب ان يقال لهم الله قادر على كل شيء ليوجب ذلك تعظيما ولو فصل لهم لتوهموا العجز فهذا سر القدر . قلنا هذا سر القدر بالشين المعجم بالنقط الثلاث . ليس للقدر سر بل للقضاء والقدر حكم نافذ كله . ومن شر القدر نعوذ بالله منه خلقكم وخلق كلامكم هذا وكونكم فى العالم ضلالا مضلين بالفاظ هاذية ومخرقة باردة . وقد قال ربنا تعالى وكل صغير وكبير مستطر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فكتب مايكون الى يوم القيامة . وقال ربنا تعالى

(١) لعل الاصل اضطره

لا يسل عما يفعل وهم يسئلون ، اما ان علماءنا قالوا ان الله قد انبانا عن صفاته العلى واسمائه الحسنى التي منها العزيز الملك الغفار المنتقم فجرى الخلق في صفاتهم وافعالهم على مقتضى صفاته فلم يكن بدلا جل كونه غفارا من ان يكون هنالك ذنب ، ولكونه منتقما ان يكون هنالك هتك حرمة واقتحام فاحشة وبكونه مغنيا ان يكون هنالك محتاج وبكونه راضيا ان يكون هنالك خير وبكونه ساخطا ان يكون هنالك شر وليس في المخلوقات صفة الا وهي تتعلق بنوع من الصفات فالقضاء والقدر هو تعلق المخلوقات بصفات الخالق والتنويع والانقسام من متعلقات الارادة التي لا يؤمنون بها وهم لها منكرون ، واذا كان عزيزا فالعزيز هو الذي لا يرام بوهم وتنفذ ارادته في كل موجود ولا يوجد له مثل ولا ينحط عن المنزلة ولا يبالي بالعاقبة ولا مخلص منه ولا ملجأ الا اليه ، اليه منتهى المطالب ولا تلحقه آفة ويفعل ما يشاء ، ومما ينبغي معشر الاخوان ان تعلموا ان كل حديث في النهي عن الخوض في القدر لا اصل له ، وانما احدث النهي عنه قوم مثل من احدث القول فيه . كانهم قصدوا حماية الشريعة بما ليس منها والله غني عن العالمين فكيف عن الكاذبين — عارضة — حضر عندنا بعض

الطلبة بكتاب عاق في آخره على عادة الناس مسطورا هذا نصه : —
كلام حكمة الاسكندر فى الاعتبار بالاجرام العلوية — بينما الاسكندر على سريره فى صحن داره اذ تامل طوالع البروج وآفلها، وجواري السعود في مناقلها وانتظام الكواكب في اقطارها وازديان فلكها بزينة مصابيحها وسير دراريها ولوامع شهبها وميز كيف وضعت فى مراكزها ثم تقبل فى مسيرها وتنعكس الى مغاربها بتدوير الفلك اياها لايردعه عارض عن مراعاته ولا يقطعه مانع عن دوام حركته ولايعوقه امر دون المضي الى مارتب له بطبيعته ، فقال ايها الفلك الدوار المنبى عن الحكمة المنوطة بالانوار المتلالئة والنجوم الزاهرة والشمس النضرة ، ان فضأ تظله لرحيب ، وان عالما تؤثره لعجيب ، وان خطر ماضمنته لجليل ، وان بصرا يلمح ماوراءك لغير كليل ، وان سكانا عصبوا فيك لفى معقل منيع ، وان حادثا يشتت اركانك ويخر سقفك ويقلقل دار بنيانك لنادح فظيع ، وان قيامة مبدؤها انتقاضك لعظيم الخطب ، فسبحان من ابدع جوهرك من غير عنصر ، وادنى اقاصيك الى غير علاقة ، وركب اعاليك بلا سلم ، وفسح حدودك بلا احاطة ، ماادل كرور ليلك على نهارك ، ورجوع

نهارك بعد انقضاء ليلك على كرور ابدائنا بعد دروجها وانقراضها . وارتداد النضارة في بالي الشجر بعد ذبولها ، واهتزاز الارض واخضرارها بعد همودها واقشعرارها ، على ارتداد الارواح المقبوضة في اجسامها بعد تمزقها واضمحلالها . وادل استسرار القمر واستهلاله وتقسيط الحساب بين فصول الايام على عدالة الرجعة وعدل حساب الكثرة . فليت شعري الى ماذا تتناهى الحكمة بنا . والى اي الحالين يؤول الامر ، وعلى ايها يجب القود بما اريق بيننا وبين ملوك الارض من الدماء . — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه — وهو بعقله مولع بها متعجب بها يدعو الله ان يفهمها له ويسأله ان يفتح له في معرفة مقاصدها . فاشفقت منه وخفت عليه وعلمت انه بقلة معرفته اغتر بهذا اللفظ الهائل ، الذي ليس وراءه طائل . لكونه مختل المعاني . معتل المباني — فقلت — في نقضه ، وبيان حقيقة التوحيد فيه : ايها الفلك المدار برغمه ، لقد ضل من يسميك دائرا بزعمه ، فكيف من يعتقدك فاعلا بوهمه ، هذا وهو يرى عليك اثر التسخير باديا ويشاهد فيك سنن التدبير جاريا ، هل انت الا محل نيرات ، ومجرى حركات ولزيم تحويلات وضعت على المنافع علامات . فياليت شعري باي معنى

عزرت ، وفي اي منصب من الفاعلين نزلت ، ابحياتك تصرفت ، ام بقدرتك اوجدت ، ام بارادتك قدمت واخرت ، وماثلت وغايرت ، ام بعلمك اتقنت واحكمت . هذا وهيأتك لو تغيرت عما هي عليه لم تكن في شيء مما ينسب اليك . والتغيير عليك جائز ، فليس بينك وبين الحدث حاجز ، والفاعل بالحقيقة هو الله الذي تصدر عنه الافعال ، ولا تتغير عليه الاحوال ، هل مايعتقده المغترون فيك الا ذكرة خاطرة ، وفكرة عائرة ، لم يصحبها مزيد ، (١) ولم تتثقف بقانون التسديد ، ماانت بنفسك فكيف ان تكون لنفسك فضلا عن نسبة شيء اليك من غيرك ، فمن كان مستريبا بافعالك ، او معتقدا لجلالك فلينظر الى امثالك ، فانه يتحقق ان الوحدانية لا توازن بمثال ، ولا تعارض بالامثال ، ولا بد منها في الاعتقاد والمقال ، وانتم سبعة افلاك او تسعة ، فعند من تبتغي منكم النجعة ، والواحد من له الاختصاص ، والعبد المشترك بعيد عن الخلاص وليعلم انه لو احيل عليك بالجدال ، وفوجئت بالسؤال ، وطولبت بالنظر والاستدلال لكان لك في الجواب اختلال ، ولم ينصرك اعتلال ، فما وراءك ياعصام . اعدم ام وجود ؛ ام بحر

---

(١) كذا بالاصل ولعل الاصل تاييد

موروود ؛ ام نبات محصود ؛ واي قسم ادعيت من ذلك او ادعي لك : فقد اسلك فيه النظر وخذلك ؛ ونحن اذا خاطبنا منك من لايعقل الخطاب ؛ وقاولناك كانك — ولست منهم — من ذوي الالباب ؛ فان لسان الغيرة عنك ناطق ؛ بانك صنيع القادر الخالق .

قل لي وان كنت الغني بصدق علمي عن سؤالك
ماذا انفدت من الحوادث في كرورك وانتقالك
بل انت فيه مسخر مابين حلك وارتحالك
هلا ثبت معظما وادرت غيرك باحتيالك
حتى يكون الكل يسعى في امتثالك لامثالك
فالان حين تبينت ايات نقصك واختلالك

امن ذاتك نشات وابدعت واصدرت ؛ هيهات ان تنشا مختلفات بديعة ، عن ذات واحدة بالطبيعة . اذ لا تغاير بين المختلفات الا الا يثار ؛ ولا يدل على الاعيان الا الاثار . فالزم قدرك حتى ياتي امر الله فانه لا يغتر بك الا الغافل اللاهي ؛ — قاصمة — اذا نزل القوم عن العلم الالاهي وهو القول في الله وصفاته الى مادونه ركبوا كلامهم فيه على اربعة اركان هي عندهم الصورة والهيولي والحركة والمكان وقد جرت

فيما مضى عرضا فلتذكر الآن قصدا وله عندهم ستة معان فالذي هو الان منتحاهم فى الصورة هى الحقيقة التى تقوم بالمحل وحده عندهم انه الموجود في شيء آخر لا كجزء منه قالوا كصورة الماء فى هيولى . (١) وهيولي الماء انما يحصل بقبوله الصورة الجسمية وهى عندهم جوهر وجوده بالفعل ولا يحصل الفعل الا بقبوله . والحركة عندهم كما قدمنا هى الانتقال من مكان الى مكان او من صفة الى صفة . والمكان هو السطح الباطل من الجرم . والزمان عندهم هو مقدار الحركة من جهة التقدم والتاخر . — عاصمة — اما الصورة فهي عبارة عن حقيقة الشيء فى تركيبه وتاليفه او عن حقيقته فى ذاته ، والاول حقيقة والثاني مجاز فاذا قال القوم انها موجودة في شيء لا يكون جزءا منه فذلك هو العرض عندنا ولكن ليس على العموم يطلق على كل عرض . واما قولهم كصورة فى هيولي الماء فقد تبين من تفسيرهم الهيولي ان الهيولي جوهر وجوده بالفعل ان ذلك يرجع الى المعلوم في العدم المقدر وجوده وعليه يحومون ، واذا كان هكذا فصورة الماء هى الهيولي المقدرة قبل وجوده وكان مقدرا على ثلاثة انحاء النحو الاول برودة

(١) لعل الاصل في هيولي الماء .

مطلقة والنحو الثاني رطوبة مطلقة والنحو الثالث جرم يقوم ذلك به. فهذا هو الجوهر وتقديرلا وقيامه به اذا وجد فما هذا الهيولي في الهيولي. واقرب منه (١) يقولون ان الماء اذا كان عن انقلاب الهواء اليه فقد خرجنا عن ذلك كله ويتهافتوا ولزمهم ما لا انفصال لهم عنه . واما الحركة فقد بيناها ولا معنى لذكرها على ارادة تغير الصفات واذا اصطلحوا على ذلك لم نمنعهم ولكن لا يكون اصطلاحهم اصلا يركبون عليه معنى فان الاطلاحيات لاتتركب عليها المعاني ؛ واما المدان فلا تمنعهم منه ولا نبالي عنه اكثر من انهم زادوا فيه الحاوي وليس من شرطه ان يكون حاويا بل لو فرضنا جوهرا بين اربعة جواهر لكان كل واحد مكانا لصاحبه وكان المحوي واحدا منها — قاصمة — قالوا العرض عبارة عن معان اكثروا فيها قدافسدناها في موضعها ومعولهم فيها الان على الكمية والكيفية والكمية عرض يقوم بالجوهر من جهة المقدار وهو عبارة عن كل مايقبل التجزي . والكيفية عندهم الهيئة في الاشخاص احترازا عن الفصول وهى عبارة عن كل ماهية قارة في الجسم لاتوجب للجسم نسبة الى خارج ولا

---

(١) خ من ذلك والاولى ان يقولوا

واقفة فى احد اجزائه احترازا من الاضافة والوضع (١) . واذا قرروا الحرارة والرطوبة واليبوسة فهي اعراض تتعاقب على الاجسام وقد تزول البرودة عن الماء فلا يبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهيولي لا يدرك بالحواس وقد قال قوم منهم لايكون الماء حارا لان ذلك ابطال للطبع ولكن تمتزج من اجزاء النار مع اجزاء الماء الى تخليط كثير فى الامتزاج اصله عندهم ان تمتزج العناصر وهى الاصول الاول بحيث تفعل بعضها في بعض وتتغير كيفيتها حتى تستقر للكل كيفية متشابهة فيسمى ذلك الاستقرار امتزاجا بان يكسر الحار من البرودة في البارد وعكسه ونحوه الرطب واليابس ولا بد ان تبقى الصورة وهى القوى الموجبة لهذه الكيفيات لانها لو بطلت لكان ذلك فسادا لا امتزاجا ؛ وقد قال ارس تو (٢) طاليس ان قوى العناصر الفاعلة باقية فى الامتزاجات ولا يوجد امتزاج معتدل بحال والارض ثلاث طبقات والهواء اربعة والنار واحدة . — خاصية — اما الكمية والكيفية فهي عبارة عن المعاني التي يسأل عنها بكم وبكيف فيسأل بكم عن اشياء متباينة فى الوجود المحقق او المقدر ويسأل بكيف عن صفات تكون

(١) هذا في نسخة (٢) هكذا رسم في الاصل

تلك الاشياء عليها متوحدة او مثناة. وقولهم انه عبارة عما يقبل التجزي صحيح في الجملة ولكن اصله لايتجزى. وقولهم الكيف عبارة عن هيئات الاشخاص قلنا هذا باطل بل هو منطلق على مايتشخص ومالا يتشخص فهم ان اصطلحوا على هذا لم نمنعهم مالم يركبوا عليه مذهبا واما قولهم انه هيئة قارة في الجسم فباطل قطعا بل يصح ان يكون دائمه وزائله. واما قولهم لاتوجبه نسبة لا الى خارج ولا واقفة في الداخل باطل بل توجب النسبة من طرفها الداخلة والخارجة. واما قولهم ان البرودة قد تزول عن الماء فلا يبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهيولي لاتدركه الحواس فسخافة لان الاعراض المتعاقبة على الجسم لايزول الجسم بزوال آحادها وانما يزول بزوال جميعها فلو فرضت في الماء زوال الرطوبة كما فرضت زوال البرودة مابقي ماء. واغرب منه في ابطال مذهبهم ان فرض زوال البرودة يجوز ويوجد وفرض زوال الرطوبة لايجوز ووجوده غير رطب محال فلا يصح لهم. وقولهم ان الحرارة ان زالت لايبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهيولي قلنا فافرض زوال الرطوبة عنه (١) كلاهما ويبقى في الهيولي ولا يصح

(١) خ عنة وتامل حاصل الكلام

لكم تقدير كون الشيء على صفته في العدم بحال فلا تقطعوا قلوبكم في ذلك . قول من قال منهم ان النار تمتزج مع الماء فيصير الماء حارا قلنا على هذا الخباط ، ولم لم تكن النار باردة بهذا الامتزاج وما الذي قضي بذلك على الماء مع النار ولم يقض به للماء على النار . واما قولهم ان العناصر الاول تمتزج فتفعل بعضها في بعض فقولوا من يمزجها

لاتنسب المزج الى غيرها (١) انك لاتدري من المازج

وراجع (٢) الى الله فان الذي تخبر عنه همج هامج

وقولهم انه يفعل بعضها في بعض كلمة باطل اريد بها باطل لافاعل الا الله حقيقة ولا فاعل مجازا الا الحيوان . واما عنصر اوماء اونار اوحديد فاعل فلغو من الكلام باطل ثم ماقلوا ان كذا فعل كذا يعكس عليهم فيقال لهم لم كان هذا فاعلا وهلا كان الاخر كذلك وما الفيصل بين تلك الامتزاجات في التمادل ومن المقدر لذلك الاستقرار واما قولهم ان الصور تبقى محال لو بقيت الصور ما كان امتزاج وان فسروا الصورة بما ليس بمشاهد فهو باطل ولايبقى مع الامتزاج صورة ولاهيولي لشيء من الممتزجين الاماشتركا فيه عند الانفصال

---

(١) خ طبعها وهو الظاهر (٢) كذا بالاصل والصواب وارجع . ايترن

فذلك الذي يبقي بعد الامتزاج . وقول ارس توطاليس انه لا يكون امتزاج لمعتدل ابدا قلنا وكيف لم يكن من الخير المحض اعتدال في شيء فما صدرعنه من الامتزاجات اعن عجزا و بجل . نند ذل من ضلت عليه المقاصد . وقد قالوا ان كل جسم بسيط فله شكل طبيعي وهو الكرة ومكان طبيعي وهو الذي يوجد به فان تحرك فانما يتحرك الى مكانه الطبيعي . فيقال لهم بل شكله التربيع ولا فرق وان تعلقوا بهيئة الفلك ، وقد خاب من تعلق بذلك وهنالك . ثم يقال لهم فاذا امتزج البسيطان او البسيط وتركبا اوتركب فهل يزول ذلك الطبع . فان قالوا يزول قلنا مامن حقيقة لشي تزول لمجاورته لغيره وليس في العالم خالط وانما هو كله مجاورة حتى لو خلطت لبنا بماء لكانا منفصلين بل لو خلطت ماء من كوز بماء من كوز لما كانا الا متجاورين وهذا اصل من اصول الحقائق ضلوا عنه فتاهوا ولم يهتدوا . ثم يقال له ومن اطبعه لذلك المكان انفسه ام غيره فان كانت نفسه فلم غير نفسه وان كان غيره فدع الغير يحكمه ويكون ذلك الغير هو الفاعل حقيقة . وقولهم فان تحرك يقال لهم ولم يتحرك ولا يقولون فيه ماينفع . وقولهم فان تحرك فانما يتحرك الى مكانه الطبيعي . وهذا تهافت عظيم يكون

في موضعه بالطبع ثم يتحرك منه الى مكانه بالطبع فكل موضع له بالطبع الذي فيه ينتهى اليه والذي يمر عليه لاشك انه ايضا بالطبع فلا يخرج فى حال من احواله عن الطبع . هذه سخافات لا تعقل من اقوالهم . — قاصمة — قالوا فى الامتزاج والتكوين والفساد مالا يحصى من الفساد والعناد ولكن نضبط منه لكم الآن جهالتين . الجهالة الاولى قالوا اذا سخنت الشمس الارض بواسطة الضوء صعدت من الرطب بخارا ومن اليابس دخانا وما ثخن منها وهو الجهالة الثانية ، فى باطن الارض معادن فيتكون فى الجهالة الاولى من مادة البخار الغيم والمطر والثلج والبرد واشياء ذكروها فتى ارتفع من الطبقة الحار من الهواء الى النار ثقل (١) بالبرد انعقد فصار غيما قالوا ويتكون من مادة البخار والريح الصاعقة والشهب والكواكب ذوات الاذناب والرعد والبرق فاذا تصاعدت ارتفعت فى وسط البخار فهي اميل الى جهة للفوق فاذا ضربه البرد ثقل وانتكس وتحامل على الهواء دفعه وحركه الهواء بشدة فحصل الريح وان لم يضربه البرد تصاعد الى الاثير واشتمل النار فيه وان استطال الدخان كان كوكبا منقضا وان كان لطيفا

(١) محو بالاصل

انقلب نارا فلا يرى فان النار تخرج عن المشاهدة بان تصير ماء صرفا (١) او تنطفي فتصير اهواء وان بقي شيء من الدخان في الغيم فتحرك بشدة صار رعدا فان قويت حركته صار نارا وهو البرق وان كان كثيفا ثقل الى الارض فصار صاعقة ولا يخلو برق عن رعد ولكن بحدة البصر يرى ولا يسمع لان البصر يدرك بغير زمان والصوت لا يسمع مالم يتحرك الهواء كله . — عاصمتها — اما قولهم اذا ارتفع البخار من الهواء الى النار باطل ليس للهواء وصفان انما هو حار او بارد . وقولهم ارتفع البارد الى الحار تخليط بل يرتفع الحار الى البارد لان شان الحار الارتفاع وشان البارد الانخفاض . واما قولهم ثقل فكيف يثقل حار لقد انقلبت عليكم الامور وقولهم يتكاثف اقلب لم يتكاثف الحار بلقاء البارد ولم يتلطف البارد بلقاء الحار وقولهم انعقد فصار غيما يقال لهم من يمسك المتكاثف الذي شانه الاستفال ومن جعل النار تصعد اليه والمتكاثف يثبت فلا ينزل . واما قولهم يكون من مادة البخار الريح لانه اذا تصاعدت قلنا هي المتصاعدة قالوا ارتفعت في وسط البخار قلنا ولم لم تنته الى الطرف اذ هي اميل الى

(١) كذا بالاصل

جهة الفوق كما قاتم وقولهم اذا ضرب البرد ثقل يقال لهم فكيف يثبت مع الانتكاس فى مقره فالى اين يبلغ والى اي حد انتكس ومن قدر له هذا التقدير ورتبه اطبع تقولوه ام امر غيره فعينوه . وقولهم انه يطيح (١) للهواء فتحصل الريح قلنا دعوى ويبطلها العيان نحن نشاهد الريح ولا بخار ولا دخان ولا غيم الا الصفا المحض وقد يكون الغيم اعظم ما كان حتى يظلم الارض ولا يكون عنها ريح وتنجلي عن غير شيء . وقولهم ان لم يضربه البرد تصاعد الى الاثير . ما الذي يمنعه عن صرف البرد له اعدم البرد ام يلقاه فيحول بينه وبينه حائل ومن هذا الاثير الذي يصعد عليه وربما حال بينه وبينه الوثير فان قالوا وما الوثير قلنا ابو الاثير خاط بخلط وتضلال بتضليل وقولهم تشتعل النار فيه . احطب هو فان قيل بطبعه يقبل الاشتعال قلنا وما طبعه فان فسروه لم نعدم ابطاله بما تقدم . وقولهم ان استطال الدخان صار كوكبا يقال لهم كذا النار اذا اشتعلت صارت ماء . يا حمق ما الدخان المظلم والنور المضيء ضدان طبعا ووصفا ومشاهدة . السفسطة يقولون ام على الله يفترون . وقولهم ان

---

(١) هذا اقرب ما يظهر

كان لطيفا انقلب نارا فى المحال مثله . والطامة العظمى عليهم قولهم ان النار المتكونة من البخار اذا كان لطيفا تصير ماء صرفا . فيالله ولهذه العقول التى تسمع مثل هذا دع عنك الذى يقوله . وقولهم ان تحرك شيء من الدخان صار رعدا قلنا ليس الاصطكاك لبخار منفك انما يكون لجسم مصمت ثم من يحركه واذا تحرك من يمسك الاخر حتى يصدمه هذا ولعله يدفعه فيندفع له وقولهم فان قويت حركته صار نارا قلنا لم يصير نارا وهلا انقلب رجلا مخذولا عندكم يقول انه فعل الله او ينقلب ثورا او ينقلب ترابا وهواء وقولهم ان ثقل صار صاعقة قلنا لا ندري ما الصاعقة صوت حيوان او هدم بنيان ويقال لهم اذا لطف صار نارا . فاذا كثف لم لايصير طينا وقولهم لا يخلو برق عن رعد المشاهدة تكذبه فانا نرى البرق فى الصحو الذي لايكون منه غيم ابدا ويتقدم البرق الرعد قلب ما قالوا — الجهالة الثانية — فيما يتكون من المعادن فى باطن الارض ينطوي على — قاصمة — من جملة الجهالة الاولى . وهى ان الشمس تصعد من الرطب بخارا ومن اليابس دخانا اذا سخنت الارض فتكون في باطنها ابخرة فيتصاعد من باطنها من تلك الابخرة بما سرى من حرارة

الشمس فتنفس وتتفرق فى الخروج من مسام الارض الا مايقع تحت
الجبال الصلبة فانها لا تتنفس فاذا احتقن صار مادة للمعادن واذا وجد
منفذا فى شعب الجبال فان كان ضعيفا بردته حرارة الشمس ورجع
هواء وان كان قويا او كانت حرارة الشمس ضعيفة ولم تؤثر الشمس
فيه فيجتمع وربما اعانت الريح على جمعه بان تسوق البعض الى البعض
حتى يتلاحق فاذا انتهى الى الطبقة الباردة تكاثف وعاد ماء وتقاطر
ويسمى مطرا فان ادركه برد شديد جمد ونزل كالقطن المندوف فان
لم تدركها برودة حتى اجتمعت قطرات ثم ادركتها حرارة من
الجوانب فانهرقت البرودة الى بواطنها صارت بردا . — عاصمة — قال
القاضي ابو بكر رضي الله عنه لهذا وامثاله قال ربنا تعالى مالكم كيف
تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين .قولهم ان الشمس
تفعل كذا الى قولهم دخان تحكم بغير علم وتشهى بغير نيل وقولهم
ان تلك الابخرة تتنفس ما الذي ينفسها وقولهم يخرج من مسام
الارض يريد من خللها :ما من مسم الا وتدخل عليه حرارة وكيف
تخرج منه برودة او حرارة مثلها . وقولهم الا مايقع تحت الجبال
الصلبة فمن اين يمنع الجبل من دخول الحرارة ويمنع من خروج

البخار فان دخل عليها حرارة خرج عنها بخار ولم لا يكون حر الشمس ياخذ من الجبال عمقا بمقدار ماياخذ من الارض ويكون الواحد في النفوذ الى باطن الارض واحدا سهلا او جبلا وقولهم اذا احتقن صار مادة للمعادن . وكيف يكون حر الشمس مادة وهو واحد ذو طبع وصورة لمعان متضادة قد بينا استحالته . ويقال لهم حر الشمس النافذ فى جوف الارض ولده فكيف يقال اذا برز اليه برده وكيف يصح ان يرجع البخار هواء وينقلب الحال فيه وهلا رجع نارا او ماء . وقولهم اذا تكاثف صار ماء قلنا لهم هذا البخار لاتدرون قبل (١) الى اي شيء تردونه تارة نارا او هواء او ماء او معادن او بروقا او غيما او رعدا فقولوا انه رجع صخرة او فيلا او حمارا او ثورا وما هذه الحالة (٢) الا تدعون مرة عن هذه السخافة . ومن اللطيفة التي جعلت الطبيعة الباردة فى ذلك الموضع ورطبت تلك الطبقات بترتيبكم (٣) المتحكم فيه وهذه اللطيفة بسيط ام مركب مادة ام صورة وكيف ينتظم هذا كله معها فسروها وركبوا المغنى عليها وذلك لا يتمعنى ابدا . وقولهم ربما ادركه برد شديد ما البرد فسروه واي

(١) هذا اقرب مايظهر (٢) او الحدلة ؟ او الجدلة ؟ (٣) بالاصل تربتكم

شيء اوصل البرد الى ذلك الموضع ومن جعله فيه وليس ذلك بغريب فى قدرة الله فان الذي ركب لكم هذا البرد في كلامكم قادر على ذلك كله ولو نسبتموه اليه كما ينبغي لا كما تقولون ، وقولهم ان ادركته حرارة صار بردا ولم لايصير نارا او رمادا او من جهالة في جهالة ، — قاصمة — قولهم ان البخار اذا احتقن في الارض كان كبريتا وربما انعقد كالماء الصافى فيصير ياقوتا واذا استحكم امتزاج الدخان بالبخار كان نحاسا وذهبا وفضة ورصاصا وقالوا خرافات استحي ايرادها جملة ان كل ماعقده البرد يذيبه الحر . — عاصمة — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه نقول لهم اين ماكنتم تهيمنون (۱) به فى لطافة المعاني ودقة الالفاظ ورقة الخواطر في الرياضيات وما الذي يصير الدخان والبخار كبريتا ولم صار وهذا فى بقعة وهذا فى اخرى هلا انقلبت الحال وما معنى قولكم استحكم امتزاج البخار بالدخان والبخار عندكم مايفيض عن رطب والدخان مايفيض عن يابس والارض باردة يابسة ففاض الحار عندكم على البارد فبخره وعلى اليابس فدخنه وهلا فاض على البارد فوقف وعجز عن تاثر فيه وتدافعا

(۱) او تهيمون

او اثر البارد فيه و ملا اذا بلغ الحار اليابس فاحرقه (١) كما تفعل النار بالحطب اذا كانت يابسة واذا بخرت اودخنت وكان التاثير للحار فى البخار والدخان فالذى (٢) يقلب البخار [illegible] او كبريتا او نقرة ان ادمغتكم لبقرة . وما معنى قولكم استحكم امن ذاته وبنفسه ام بواسطة من غيره وما الذى يقعد به عن الاستحكام ويحمله عزين ومن يعارضه فلا تقولون ما ينفع و كل حرف تنطقون به فجوابه منه مع ما تقدم فليرد اليه بكلمة . قال القاضى ابوبكر بن العربى رضى الله عنه انما سردنا لكم هذا كله استدراجا لتسمعوا كلامهم وتكشفوا غاية عقولهم والطريق التي بها ارادوا ان يقضوا على حقائق الاشياء بزعمهم دون الانبياء وهلا نسبوا ذلك كله الى الله تعالى وقالوا انه الخالق لذلك كله شيئا بعد شيء وطبقا بعد طبق فالقوم بجهلهم راوا تركيب شيء على شيء فنسبوا الثاني الى الاول وذهلوا او قصدوا (٣) ان ينسبوا الثاني وما بعده الي ما نسبوا اليه الاول وسموه باسماء وجعلوا له قوى . فان قيل لا يصح ان يكون شيء واحد مبدأ لشيئين بحال . قلنا هذا هو الواجب فلم احلتموه فان قالوا الى الطبع قلنا فلا

(١) فى خ زيادة وهلا فاض فيه (٢) لعل الاصل ما الذى (٣) ويحتمل قصروا

يكون عن الاول الا مثله ولذلك يلزم فى الثاني والثالث فمن اين جاء هذا الاختلاف فان اعادوا ذلك الكلام المتقدم من وجود التركيب باسبابه فقد تقدم الجواب عنه . — قاصمة — نبغت طائفة تسترت بالاسلام وهى تبطن عقائد الاوائل فقالت لا يفتقر في معرفة الله ولا في وجوب ذلك على كل احد الى شرع وقالت مؤكدة لذلك ان القول بان معرفة الله يقف على الشرع يبطل الشرع وذلك ان نبيا لو عرض دعواه واظهر آيته ودعا الخلق الى النظر فى قوله والايمان به وكان لاواجب الا بالشرع لقالوا له لا يجب علينا في معجزتك نظر لانه لا واجب الا بالشرع ولم يتقرر بعد شرعك ولا ظهر صدقك فئآل ايقاف الوجوب على الشرع الى نفى الشرع . وهذه اعظم شبهة لهم . قال علماؤنا قولا بديعا اذا ظهرت المعجزة فقد دل الشرع واستقر الوجوب ووجب على الخلق النظر والايمان وليس من شرط الوجوب على المكلف فيما اوجبناه عليه من ذلك علمه بوجوبه انما الشرط تمكنه من ذلك وكونه بصفة من يصح منه ذلك على معنى نفى الافات المضادة للقدرة والعلم عنه ولهذا قال علماؤنا لا يصح قصد التقرب الى الله بهذا الواجب الاول لان

من شرطه معرفة المتقرب اليه ولما يحصل بعد . — عاصمة — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه هذه طائفة لم تعلم العقل ولا عقلته ولا علمت الوجوب وقد بينا ان العقل ان افتقر الى بيان ووقع فيه خلاف فامسحوا ايديكم عن انفسكم انما ارادت الالباس على الخلق من اول اللوح فماذا ترجون فى اثنائه من البيان او كيف تبلغون الى آخره وهم يقولون انه يشترك من معانيه صحة الفطرة ومنها التجربة ومنها الوقار والسكينة وزادوا عن اخوانهم الفلسفية انه علوم ضرورية وعلوم نظرية وعملي وهيولاني وملكي وفعلي ومستفاد وفعال . اما الاول فقد ينسبوه الى ارس توطا ليس وفرق بينه وبين العلم وقال انه تصورات ومعان تحصل للنفس باصل الفطرة والعلم يحصل بالاكتساب فتلقفه الخليل منه وقال العلم معرفتان مجتمعتان فعرفت زيدا قائما حال لزيد وعلمت زيدا قائما مفعول ثان لعلمت وهذا اصطلاح بارد تلقفه الخليل رسطالية ، وادعاه عربية ، ولا سبيل اليه بحال . لان العقل هو العلم بعينه على مانبينه ان شاء الله . قالوا واما العقل النظري فقوة في النفس تقبل بها ماهية الامور الكلية والحس يقبلها

جزئية . واما العملي فهو قوة للنفس مبدأ (١) لتحديد (٢) القوة التشوقية الى مايريده من الجزئيات . واما الهيولاني فهو كاستعداد الصبي للقبول واما الملكي فهو ان ينتهى الي حد التمييز حتى اذا عرض عليه شيء وجده به عارفا . واما الفعلي فهو الفعال قالوا فهو نمط آخر وهو كل ماهية مجردة عن المادة فهو من جهة ماعقل جوهر صوري ماهية مجردة من ذاتها عن علائق المادة من جهة هي ماهية كل موجود وهو فعال لانه يخرج الفعل الهيولاني من القوة الى الفعل باشراقه عليه . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه فما ظنك بمعلوم بين يدخل فى الاشكال فى هذه السوق الكاسدة ، ويباع البيوعات الفاسدة ، العقل كما قال الاول :

وقد ظهرت فما تخفى على احد ❁ الا على احد لا يعرف القمر

وهو في لسان العرب العلم لا فرق عندهم بين عقلت وعرفت وعلمت . وما رتبه النحاة من الذات والصفات في العبارات لا ينبني عليها حكم لان العرب لم تنتح به ماانتحوا ، ولا اضمرت ما اضمروا والقوم مشكورون على مارتبوا غير ما (هـو به بهم) (٣) فيما قرروا من

(١) (٢) هذا اقرب ما يظهر فى الاصل (٣) ما بين الهلالين كذا بالاصل ولعله هكذا : (موهوا به)

المعاني وصوررا . والخالق — كما قال الله عز وجل — والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم يخلق له العلم العقل المعرفة
التمييز الادراك التفطن الذكر الى آخر الخطط والاسماء رتبة بعد
رتبة وشيئا بعد شيء وليس فيه استعداد لذلك من عند الله فيه الا ما
ينسبه له كما ينسبه في الشجر والحجر وطرف الظفر والانملة لا يختص
ببنية ولا يلزم بحالة فان جرى شيء من ذلك على صفته فهي عادة
ولا علة وحالة عارضة باتفاق من صنع الله وارادته لا واجبة في مخلوقاته
ويخلق له علما مركبا على علم يجده متساويا في ثمرته وافادته فيكون
تجربة فان ظهر على اقواله وافعاله كان منتفعا به لانه المقصود منه
وان لم يظهر نفي عنه لوجهين قد تقدما في قوله لا يزني الزاني حين
يزني وهو مومن احدهما كمال العلم من طرفه والثاني نفي ذاته اذ لم
تظهر فائدته في تلك الحالة . فاما القول بانه علم ضرورة فانما تعلق
به المتكلمون من علمائنا لانهم رأوا انه لا يبتلي الله باوامره ونواهيه
الا من جعل فيه مقدمات من علومه فتلك المقدمات لما سماها الله عقلا
ظنوا انه كالعقل ولا يلزم ذلك لان الله قد سماها علما فقال ان
في ذلك لايات لقوم يعلمون كما قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ،

واما قولهم ان النظر قوة فى النفس تقبل بها الماهية للامور الكلية فهو العلم السابق لما يكون بعده ويترتب عليه وتسميته قوة مجاز لامعنى له. وقولهم يقبلها كلية والحس يقبلها جزئية كلام فاسد بل يقبلها جزئية تامة الا انه بتدريج والحس يقبلها جزئية كرة نعم من المحسوسات ما لا يحصل الا كليا وهو الاكثر. واما قولهم ان العملي قوة هو مبتدا التشوق فهي دعوى مالا يوجد وعبارة لا تفيد اما (١) قوة فلا معنى لقولها. واما قوله تحريك القوة التشوقية فكانهم يريدون الفكر وهو ترديد النظر فى التطلع والتشوق الى المطلوب وهى كلها معارف وعلوم تجمع وترتب لتفيد وهو الذي يسمى النظر. واما قولهم ان الهيولي هى الاستعداد فمجاز بعيد لان استعداد المحل لا (٢) يكون عاقلا لا يسمى عقلا الا مجازا بعيدا كما (٣) تسمى النطفة انسانا لاستعدادها للانسانية. واما قولهم فى الملكي فانما عبروا به عما حصل من العلم وملكة الانسان فهو يتوصل به ويتوسل الى ماوراءه. واما قولهم ان الفعلي هو الفكر فلا يصح ان يسمى فعليا لان الذكر ليس بيد المرء لطول الذهول عنه. (٤) فلا يرده ابدا اليه الا ان يرده اليه واهبه ابتداء

---

(١) هذا اقرب ما ظهر (٢) لعل الاصل لان (٣) لعله كما لا يسمى (٤) خ عليه

او لسبب يخلقه له عندہ فالشيء بالشيء يذكر . واما قولهم ان المستفاد هو مالم يفتقر الى مادة فمعناه مالم يحتج الى ان يقتنص بنظر ولا يسعى فى تحصيله . وهذا كله يبين لكم انه علوم بعضها يتلو بعضا ويتوالى مع البعض لاسيما على مذهبهم فى يلي وتوالى على مايفسر فى موضعه . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه واما قولهم فى الفعال فذلك هو الداء العضال هو المبدا الاول عندهم الذي عن ذاته صدر الكل من عقل وبسيط ومركب وكرة ومربع وحار ورطب وبارد ويابس ولكن اختاروا له العقل لشرف الاسم دون الكثرة وغيرها من الاسماء فله ماهية في ذاته عندهم وهو مادة كل ماهية اذ يخرج الهيولي الى الصورة والفعل بفيضان نوره عليه لابعلم ولابقدرة ولا بايثار ولا بشيء من تلك المعانى الواجبة له . وقد تبين لكم ان هذه اسماء لافائدة تحتها ، وتهويلات لاطائل وراءها . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه فاذا تقرر ان العقل هو العلم اصلا ، وتقرر بيننا وبين هذه الطائفة المتسترة بغطائنا فرعا ، بنينا عليه غرضنا معهم . وقلنا لهم اذا كان العقل هو او نحو منه او صفة يتاتى بها درك العلوم وكان الوجوب عبارة عن فعل يتعلق به الذم عندنا او العقاب عندكم

فاي معنى يربط احدهما بالاخر ابدا . وتحقيقه ان الوجوب ليست بصفة تقوم بالموجب كسائر صفات المعاني القائمة بالذوات وانما هو عبارة عن لزوم الفعل لفاعله واللزوم عبارة عن قول صدر عن الموجب الملزم لم تحصل فيه مثنوية ولا مكن فيه من تركه ان كان من طريق الابتلاء . وان كان من طريق الضرورة الادمية كشرب العاطش واكل الجائع فهو عبارة عن استدعاء النفس فعلا قام بذات المستدعى له داع اليه يذهب به (١) ماقام به او يطلب اليه ماينتفع به . ومعرفة الله صفة مكتسبة بامره فالم يكن منه امر لم يكن لها وجوب لاسيما وهم يقولون ان الوجوب يعرف باستحقاق العقاب وذلك خبر عن فعل يقع عقيب فعل وذلك لا يعلم الا بالخبر او العادة وشيء من ذلك ليس عند المكلف . فان قيل قد تقدم انه يقوم بذات المكلف خاطر بان له ربا انعم عليه وان ذلك يعين شكره ويحضر خاطره انه ان شكره اثابه وان ترك ذلك استحق عقابه فيستحثه عقله على تخليص نفسه . قلنا هذه مقامات فاسدة في ذاتها فاسدة بنقصانها . اما قولهم انه يقوم بذات العبد ان له ربا فانه كلام

(١) خ اليه

ملتبس ابتدى به وركب عليه مثله اما تصوير قيام هذا الخاطر بالقلب الفارغ عن امثاله ففرض محال عادة فان المرء انما يعقل عند نشأته منافعه الحسية وملاذه ووجه طرق تحصيلها باسبابها التى تشاركه في جملتها وتفصيلها البهيمة وغيرها اذ كل نفس سواها ربها والهمها فجورها وتقواها وعبر عن المنفعة بالتقوى وهى منها وعن المضرة بالفجور وهى منها لحكمة عظيمة بيناها في امالي انوار الفجر. فاما النظر في الصانع وحقيقته ، والخاطر على اصل الوجود وصفته فلا ينشأ في الخاطر ابتداء في العادة بحال الا ان يقرن بسماع امثاله من اشكاله فيما هو عليه من اصل الفطرة لتوضح (١) الجادة التى يتفطن لها . وانما يتصور هذا كله بعد ارسال الرسل والتعريف بالاله والزام الشكر فشاع ذلك فى السنة الخلق فمن سمع التحقيق فسلك الطريق افضى به الى المورد . ومن سمع التحقيق واخطأ كامثالكم الطريق وقع في الهلكة . وقد يرى بعضهم قوما يعبدون الاصنام والحجارة لانها بزعمهم تضر وتنفع فيرى بخاطر عارض سماوي الاهى انها ليست كذلك فيعلو بهمته الى فوق فيعبد

(١) خ فتوضح

الشعرى العبور بضيائها او القمر او الشمس . وقد يرى آخر ان هذا ليس بشيء وسمع ان هنالك دينا خيرا من هذه الاديان فيخرج في طلبها فيسمع كلاما ممزوجا فيقبله او يعرض عنه وينتظر سواه . وقد سمعنا حال قس وورقة وكلام لبيد والاعشى فى التوحيد والنابغة وذلك كله باطراف من التوحيد كانت تتعلق بهم مما بقي بايدي اتباع الانبياء عليهم السلام من مقدمات الملك . واما قولهم انه يرى انه يلزمهم شكره فاي شيء يري ذلك ان قلتم انه ينشئ له ضرورة فيلزم وجوده في جميع الخلق لاشتراكهم في الضرورات ام يخطر له نظرا فان كررتم النظر الاول فقد تقدم التقصى عنه . وان قلتم انه يحمله على المنعمين من الخلق فما افسده من نظر كيف يتشبه او يقاس من لا يجوز عليه الحظ ولا يتعلق به النفع والضر ولا تقوم به اللذة ولا يتكثر بالقلة ويطلب العوض ، على ما شأنه الرغبة والحظوظة واللذة بالاسباب والتكثر من القلة ويطلب العوض وهذا تشبيه فاسد وبهذا انطلقت صفة التشبيه على الطوائف كلها خلا اهل السنة . وزادت هذه الطائفة بانها عطلت فى الصفات وشبهت في الافعال فانسلت عن ربقة التوحيد . واما ذكرهم

ـــفى الخاطر بانه (١) ان شكره استحق ثوابه فما سبب هذا الاستحقاق هل نفس الفعل فهذا محال من طريق النظر لان الشكر جزاء نعمة فكيف يستحق الجزاء على الجزاء وان كان انما يستحقه بالخبر منه عن ذلك — وتقدير سواه محال — فالقول محال لانه لم يكن هنالك بعد مبلغ للخبر . واما قولهم ان قصر استحق عقابه فما لم يكن سبيل الى استحقاق الثواب لا يتصور معه استحقاق العقاب لاتحاد الطريق . — قاصمة — نبغت طائفة قالت قولكم ان المعول المرجوع اليه هو قول الله وحكمه وان الموصل له الينا وهم رسله الذين اولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذه كلها دعوى فان العقول ترشد الى السياسة الايالية والقوانين الحكمية وقانون التدبير الجامع للمصالح المنتظمة لعامة الخلق واصلاح الاخلاق وتطهير الابدان عن اوصاف النجاسات والقلوب عن اخلاق الدناءات حتى يطرد الصلاح فى الباطن والظاهر ويستمر البقاء على العيش الطيب والاستقامة الخاصة والعامة وهذه كتب الحكماء سيرهم فى انفسهم ووصاياهم لغيرهم تتضمن جميع ذلك فمن

---

(١) في الاصلين بان انه

اراد النظر فيها فقد جليت له فى منصتها . وكفى بعد ذلك بايضاح العقول رسلا وبمقتضياتها (١) ادلة قادة (٢) الى الغنى الذي لا يصحبه فقر . والنعيم الذي لا يقترن به كدر ، والكمال الذي لا يقترن به نقصان ، ولو عولنا فى درك الحقائق على الانبياء ما كنا نقف على حقيقة ابدا فانهم يقولون نحن رسل الله ويأتون بافعال غريبة تخرج عن حد العادة فيتحدون بها على صدقهم بطريق انها فوق طوق البشر يأتي الله بها على جهة العضد لهم والتصديق لقولهم . وتلك الامور الغريبة التي يأتون بها داخلة في طوق البشر محمولة اما على خاصة ادركوها او على وجوه من الحيل نظموها على بعد وجمعوها حتى انتهت الى هذه الحالة شهروها للخلق وابرزوها ، ولو لم يكن فى الدنيا الا حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد من بعد ولا يجذب الذهب ولا هدبة الثوب (٣) ونحن نرى السحرة يأتون بالغرائب حتى ان الواحد منهم ليهزم الجيش ، ويرد الجبل الصغير تلا ، ويجرى الماء على الارض سيحا ، وينزل المطر صبا ، ويريك الجدب خصبا (٤)

---

(١) بالاصل و بمقتضاتها (٢) خ مادة (٣) الجواب محذوف تقديره لكفى في اثبات الخاصية (٤) هذا كذب ومبالغة فليس هذا من مقدور السحرة لا بالحقيقة ولا بالتخييل

ولاتحسب فى الحقائق فعله ولا تقبل قوله ، هذا الى ما فى الوصول الى حالة القبول من الرسول من العقاب التى يقطعهـا (١) بازل، ولا يكون الفكر عنها ابدا الانازل . منها معرفة حقيقة النبوة ،واثبات كلام الله تعالى الذي يترتب عليه ارسال الرسل ، وجواز بعثة الله الرسل ، ومنها تعيين ما تاتى به فانها ان قالت ما نعلم فلا يحتاج اليها وان قالت ما لانعلم فلا يقبل منها مع انا رايناهم يقولون اشياء يردها العقل واكثر الخلق لا يقبلونها واي فائدة في مخاطبة من يعلم انه لا يقبل . ومنها وجه المعرفة بانه رسول وقد بينا ان ذلك يعسر لاشتباه الافعال لاسيما وانتم تقولون انه جائز على الله ان يعم الخلق بالضلال فما يومنكم ان يكون ما (٢) اتى به الرسول سببا لاضلال الخلق وقد قلتم ان للمعجزة ستة شروط وعلى كل شرط منهـا من الاشكال ما ملا القراطيس فكيف يخلص من هذا . وهذا وانتم بعد الى الان لاتدرون هل دلالة المعجزة عقلية اوعادية فمتى تقطـع هذه العقاب العشر ويرتقى الى بقاع (٣) المعرفة والناس ضعفاء والشعوب كثيرة والعمر قصير والذى يدعى انه وصل قليل والالات معدومـة

---

(١) لعل الاصل لا يقطعها (٢) بالاصل مأتي (٣) لعل الاصل يفاع

او متعذرة والسفر طويل لقد ابعدتم النجعة على الخلق في المطلوب . والذى يمكن ان ينظر الانسان فى امهات الفضائــل وهى (١) واذا حصل عليها فما وراءها مرمى ولابعدها مطلب ولايحتاج في ذلك الى رسالة قد ادركها خلق دون نبيء — عاصمة — قال القـاضى ابوبكر رضي الله عنه . هذا مذهب ليس عليه احد من الخلق له حصافـة بيد انه لما كان الابتلاء من الله بالوظائف امرا تعافه النفوس و تقف دونه القدرة وتغلب عليه الراحة وكنت النفوس الامارة بالسوء الى البطالة وكانت الجبلة مفطورة على الشهوات . والانتقاء المختار بعيد عن الخلق وبينهم وبين كمال النظر حجاب — ركن الى الدعة وتملـق بذيــل العجز الاكثر في الوجود ، الا قل فى الاعتداد . وهم — وان كانوا لا يتظاهرون به لغلبة الاسلام — فانهم يبطنونه . ولم القعليه مناظرا فى رحلتى الا ابن عمار قاضى الاسكندرية الملقب بعز الملك والقاضى حامد بن (٢) نزيل بيت المقـدس المنتسب الى مذهب ابى حـنيفة والقاضى ابن الكحال ولكنهم الى الفلسفة ينتسبون [٣] وعليها يعولون

(١) قال فى هامش الاصل المنقول عنه : هاهنا بياض فى الاصل . ولعله هكذا « وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل » كما يستفاد من كلامه عليها فيما يأتي (٢) هنا بياض بالاصل (٣) بالاصل زيادة لفظة « هؤلاء » .

فاما الانخلاع عن ربقة الفلسفة والشريعة فلم المحه بحال . وانا ابين بفضل الله وجه الاعتصام من هذه الضلالات ، والتفصى من مجموع هذه الشبهات فنقول ان الله تعالى قد خص هؤلاء بالذكر وصدهم [١] بباهر البيان فى اكرم مورد من الكلام فقال «وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء» ووجه الدلالة من هذه الاية الكريمة بديع مبين فى كلامنا حيث وقع بترتيب برهانه، وازاحة اشكاله بايضاح بيانه . نخبته ان الله تعالى اخبران من انكر الرسول لم يعلم الله حق علمه وامر بالاحتجاج عليهم بنبوة موسى التي صحت بالمعجزات الظاهرة ، والبراهين الباهرة وهذا القول الذي نصب الله تعالى ببيانه الدليل عليه ليس المراد به احدا من اهل الكتاب لانهم مقرون بالرسل فوقعت الحجة على منكريهم برسل الله فى ارضه الى خلقه مذ وجدهم الى محمد صلوات الله عليهم وسلامه . وخص ذكر موسى لانه اول الانبياء ظهور آية او لانه معلوم عند عبدة الاوثان من العرب المجاورة لاهل دينه فان اقروا به فهذا مثله وان انكرت العرب ومن دان دينها موسى كانكارهم لسائر الرسل فمن

(١) او صدمهم

عليكم مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم الاصنام فذلك محال ام غيرها فمن. وليس الا الله. والتعلم لايكون الا بواسطة. ولا بد للوسائط ان تترقى حتى تقف على معلم غير معلم فهو الباري وتعليمه رسالته. وقوله بعد ذلك تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء والياء سهل المرام في التاويل مع قطعنا ان اليهود غير مخاطبين فى ذلك ولا اريدوا به. الاشارة فيه وجوه اقربها الان ان الذين انزل عليهم قد انكروه مع انه شرفهم. وكتموه (وغيروه فلا عجب منكم الذين لم ينزل عليكم ولا رايتموه فى ان تنكروه) (١) وحينئذ يجب الاعتراض (٢) لانهم خرجوا عن النظر الى التخليط فاقبل انت على ربك وذرهم فى خوضهم يلعبون حتى ياتيهم العذاب بغتة وهم لايشعرون، ونعطف بعد ذلك عنان القول على طريقة اخرى شرعية عقلية فنقول اما مرتبة العقل فغير منكرة فى التمييز والتحصيل ودرك ما اعدله على الجملة والتفصيل في قول من وحده، او عدده، واما ان يكون العقل محصلا لجموع المعلومات فهذه دعوى حمق لا يقوم لهم قول على ساق فى الدعوى والايراد والتصوير فكيف بالتعرض للدليل، وكان كل ذى علم

(١) ما بين الهلالين مخرج على الاصل وهو اقرب ما يظهر. (٢) او الاعراض

يدعيه من اى العلوم كان يعلم قطعا انه لم يحط العقل به من اوليته حتى كانت العلماء وهم الانبياء الذين يطرقون بيانه ويوضحون قانونه . وخذ علم الهيئة فليس في العقل استقلال ان يدرك مدار الافلاك وترتيبها ، وطلوع الكواكب وغروبها فى مجارى مختلفة منها وتعيين المنتقل من الثابت وتفصيل انتقاله وان ادرك نفس الانتقال ويرى ما ذكروه . قيل كيف كانت كلها دعاوى لا برهان عليها حتى ان صاحب الهيئة يبرهن فاذا وقف عليه البرهان طفر فقال رصدت او رصد فلان فبينما نحن معه فى برهان عقلى اذا بنا قد خرجنا معه الى خبر تكذيبى او كذبى . وخذ الطبيعيات وترتيبها في الشيء (١) وضبط الاستقصات في البدو وكيف خرج ما خرج منها الى الجسمية وكيف تحرك على رايهم من الهيولى الى الصورة وكيف تالفت الموجودات . وقد قدمنا عنهم فى ذلك دعاوى لا اصل لها تصلح ان يسامر بها الملوك لاستجلاب شارد المنام . وخذ ضبط صحة الحيوانات بقانون وردوه (٢) بالطب عند عدول الامزجة عن الاعتدال . وادراك النبات فى درجاته ومنافعه ومضاره هل يتفق

---

(١) لعله النشيء (٢) خ الى الطب

فى المعقول ان يدرك ذلك احد بقضيات العقول . اما انه اذا رتب له قانون او ذكر به تمثيل او نصب له دليل امكن ان يتوصل به الى ما يقتضيه وضعه . وخذ النجومى فانه يقال له ايها الحاكم على ما ياتى بما يرى من نصبه ويطلع اليه من رتبه . هل علمت ذلك بتجربة استمرت بها المادة فى وضع النصب ومقارنة الحوادث لها . فهذا باطل من اربعة اوجه الاول ان النصبة كم مرة عادت عليك حتى تبت (١) عليها او قل طريقا ، حتى ترى عليه ما لم تحتسب تحقيقا الثانى ان يقال لهم كيف تحكمون للعقل بادراك ما لا يدرك ، وتسلكونه فى غير مسلك . الثالث انهم يزعمون ان النصبة لاتعود على هيئتها الا بعد ستة وثلاثين الف عام فمتى تكررت مرتين او ثلاثا حتى علم الترتيب عليها فى كون الحادث (٢) الرابع ان ترتيب الحوادث على الكواكب وتعليقها بتاثير [٣] الافلاك لا يليق على الجملة بما قدمناه من منعهم عن ذلك فكيف بترتيب الافعال كلها على التفصيل عليها مع ما فيها من التعارض والتضاد من عمر او كسب . والعجب من ترتيبهم الاثنى عشر برجا على اثني عشر بيتا اسكنوا فيها من

---

(١) او بنيت (٢) خ الحوادث (٣) في الاصل بتاثر

الحوادث مالا لسكن ونسبوا اليها ما لا ينسب] وقد احكمنا في المتقدم من الكلام وجه قطع الحوادث عن الافلاك والكواكب حتى لا يبقى متكلم الا بدعوى لا برهان عليها)(١) ومتى تكلمت مع منجم لا تتكلم معه في وضع الا فلاك لئلا يرجع لك مهندسا فيقاتلك بغير سلاحك ولكن سلم له الهيئة ودافعه عن تعليق الا فعال بها فانه لا حيلة له في اثباتها . واما الذي زعموه من اوضاع الحكماء في السياسات فان اصله من الانبياء وما ابانته من الشرائع وحثت عليه من المكارم وزجرت عنه من الدناءات بما او ضحت من القوانين ووضعت من المصالح ثم درس منها مادرس وبقي منها مابقى فبنوا عليه واضافوه اليه فمنه مانقلوه على وجهه ومنه ماادركوه بما وافق الاغراض . وقام بداعية الانزجار والانتهاض . وجرى في سنن المنى والهوى . واما تطهير الابدان عن الاقذار فامر جبلي لامتعلق فيه لان الرسل لم تات لبيانه . اما انها حضت عليه وحثت وندبت اليه والزمت . واما تطهير القلوب عن اوضار الدناءات فبعيد ان يصدر (٢) عنه وازع من الذات فانها مركبة في الحيوانات فطرة وفي هيئة الانسان

---

(١) مابين الهلالين مخرج في هامش الاصل . (٢) خ يصرف وهو الظاهر

(١) جبلة • وهو مركب على الغضب والشهوة والقسر (٢) والغلبة وعلى ذلك من العقل رقيب وبينهما مجاذبات كثيرة مساهمة منا ومنهم وانما يكون التطهير بعمل هو جلاء القلوب وبعد الجلا يكون الحصول بمعاملة ومقابلة ولا نطول معهم في ان كيفية الجلا يكون بتوقيف عن بصير مبصر بل نقف معهم على المقابلة . فنقول انها لا تكون بتنبيه حتى جعله بعضهم خاطرا وقد لا يخطر الخاطر واذا وجد قد يضف (٣) ولا يتسدد فلا بد من داع ان كان له وازع والمجاهدات بين المتعارضات باب عظيم يفتقر الى قانون طويل ليس من بزهم ولا يقوم به الا العالم بتفاصيله وقانونه . فان قيل قد سطره افلاطون وسقراط والفاضل بقراط قلنا قد راينا ما سطروا . وطالعنا ما ذكروا . وتحققنا انهم قصروا ، وعدا عليهم ما ايتمروا . ولولا التطويل لسردنا عليكم من خرافاتهم ، ما ينبئ عن سخافاتهم . اللهم تخفيفا ان ذلك محمول على الترحم (٤) ومحسوب (٥) في جهله او قصده الى التخليط وهو قوم اخذوا كلام الانبياء وخصوصا

---

(١) بنية الانسان جملة (٢) في الاصل القرس (٣) كذا بالاصل ولعل اصله يضعف
(٤) لعله المترجم (٥) او محشور .

محمدا صلى الله عليه وسلم الذي اوتي جوامع الكلم باو ساطه واطرافه وضم له من كل جوانبه فبدلوه وحرفوه ووضعوه على قوالب اغراضهم فاستوضعوه حتى استضعفوه و هذا لان مترجم كلامهم من اليونانية الى العربية لم يتولــه عدل بل فاسق بل كافر الامستخف مهتوك رائغ لا سيما والسعادة عندهم سبيل منجدة للامجاد ، لايدركها الا الافراد ، وعليها من القواطع اسداد . سد بــن سرد طريقها ، وغاب بن بيض عن تحقيقها . الا ترى انهم لم يجتمعوا فيــها على طاق ، ولا قامت لهم فيها دلالة على ساق . فان تطاولوا الى ذلك مدعين ، فقل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين • ففي كل فصل قدمناه اصل ـــفي الرد عليهم يوضح تناقضهم فلا معنى للتكرار ، واما قولهم انــ ما ياتي على ايديهم من الافعال الغريبة لا يوثق به لوجودنا فى الخواص افعالا غريبة فلا معنى له فانا قد حققنا المعجزات لا بد ان تكون خارقة للعادة خرقا يتجاوز الاوهام المتعلقة بالحيل والخواص مما يعلم انها من افعال العباد خاصة ، او لا نرى انــ ابراء الاكمه واحياء الموتى لا ينال بحيلة ولا يعد ـــفي خاصة ، وما عرف البارى الا بافعاله التي لا يقدر عليها سواه ، فما عرف به المرسل ، به

يعرف الرسول . وهذه نكتة بديعة لم ازحم عليها فافهموها واعتبروها تلقوها كذلك ، وهؤلاء ارباب الخواص قد جمعوها من وجوهها وانما هى من افعال مخصوصة بوجوه مخصوصة ، فان قيل فقد رويتم ان في الارض ماء اذا جعل على الميت حيي فان قيل هذا صحيح فان كان ادركه عيسى فهي معجزة فان ذلك لا يدرك الا بتجربة جميع مياه الارض ولعل ذلك كان مخصوصا بوقت ومحل ، وايضا فان خاصة ذلك العين احياء الموتى وابراء الاكمه وصحة الابرص والاجذم من اين يكون والخواص لا تشترك افعالها ، هذا ونحن لا نجعل للخاصية طبيعة فى المحل ولا صفة تقوم به ولا قوة فيه وانما نقول ان البارى تعالى يخلق عند اقتران بعض المحال ببعض وبعض الامور ببعض ما شاء من الافعال المعتادة او الغريبة ، هذا وقد اتفق العقلاء على ان الخواص مما لا يدرك بالتجربة وانما ينال بالعلم الالاهى ، وقد يرى الطبيب فعلا بفعل (١) لا يناسبه فى الذي ادرك من طبيعته فيقول يفعل كذا بطبعه ، وكذا بخاصية فيه ، فسمى خاصية ما لم يطرد له على قياس طبعه ، وليس هذا المقدار مما لا يدخل في (٢)

---

(١) اويفعل (٢) بالهامش هكذا خ تحت

الآيات ، وهبكم قلنا انه خاصية فهو [١] امر خفي انفرد الله تعالى به لعلمه بان خلقه فيه وانزله من دارة التي اعدة فيها لاوليائه وقد يجوز ان يكون اية للنبي اظهار علم الله الخفي على يد النبي فتكون اية ولو كان نضيره خاصية ، واما قولهم يحتمل ان يكون ذلك جبلة ، فلا بد من خروجه من مرتبة الجبل حتى يصير فى حد يفوت طوق [٢] البشر وعقلهم فيخرج بذلك عن حد النظر ، واما السحر فسل به خبيرا يعلمه يقينا ورءاة عيانا وراى البلاء به والفتنة فية ويدري قصورة عن المعجزات بدرجه اعظم مما بين الارض والسماوات ويعلم بطلانه فى نفسه شرعا وابطاله عملا كما يعلم بطلان الكفر فى نفسه شرعا وابطاله حجة . وقد تبين انه عند المبطلين اقسام اعلاة التعلق بالكلام وادناة الحركات فى الارض بعضها على بعض فى وجه وبطريق على نحو ارادتها فى السماء فيحدث ذلك من فعل غريب وله بعد ذلك مراتب . احدها النفث فى العقد بكلام لا يتحصل . وضع الله جميع ذلك فى الارض فتنة كما اخبر وهو الصادق الحكيم . واي ذلك كان فان العصمة منه على الخاطر الفاسد ، او الالد المعاند ، من

---

(١) خ فهذا (٢) او طرق

ثلاثة اوجه الاول انه لا بد من ارتفاع المعجزة عن حد ينال بما قلتم . الثاني ان السحر يختص بحال دون حال وبشخص دون شخص وبزمان دون زمان والمعجزة عامة . الثالث ان الساحر وان رد الجيش وخذل الجم الغفير فليس هذا بغريب فكم من جيش تفرق بصيحة ، وكم كتيبه تبددت بكذبة . وذلك لان القلوب القلقة يوثر فيها ادنى سبب والقلوب الثابتة لا تزعزعها الجبال . فاما سحر يهزم يوم بدر قوما لهم العدة والكراع والشبع والظهر بقوم ليس لهم منعه الا العر ي والرحلة والمزلة ، لاشكة ولا شوكة . (١) ويجعل العدد لكثير يوم الخندق ويغلب المعاندين ويقتل المستهزئين ويفنى الحاسدين يصرف جميع قلوب الخلق ويعم الاقطار ويدوخ الارض ويهدم الممالك فهو الذي يعتمد عليه ، ويستند في الحق اليه ، واما قولهم ان فيه اشكالات عظيمة من معرفة حقيقة النبوة فليس عندكم شيء ابين منه ولا اقرب منالا . فان الانسان من حين يولد الي ان ينتهى الى حد العقل الثاني للتمييز فى المرتبة انما يتدرج عندهم في مدارج النبوة والعقل التمييزي بالمجاورة هو المدرجة الخامسة او السادسة فاما ان

---

(١) كذا بالاصل

يتمادى فيطلع اليها واما ان يقع عنها واما ان يقف حيث وقف به
العقل . ولا بد من الترقى عندهم من مرتبة هذا العقل وعندنا ، فاما
عندهم فقوة نفسية ونور يسمونه الاهيا وليس بالاهى فى الحقيقة
اذ ليس لهذا الاسم عندهم معنى يتحقق فيدرك بها جميع العلوم
ويكون هذه [١] الخاصية يعبر (٢) بها عن النبوة مدركا لكل
خاصة وعامة حتى يجعله بعضهم وصولا الي الله ويجعله بعضهم اتصالا
حتى يقولوا انه جزء من الله او كالجزء ولقد سمعت بعضهم يقول انه
نصف الله وبعضهم يجعله حلولا من الله فيه وبعضهم ينفر عن لفظ الجزء
والبعضية اذ لا تنقسم عندهم تلك الذات فيعبر عنه بالاتحاد . وقد ظهر
فساد هذا كله للعقلاء بما اغنى عن التعب فيه وتكلمنا نحن عليه في
موضع (به دنا انه) (٣) وهم يشكلون بها ويشككون فيها
ويخلطون ويقنطون (او مر هو الحق) [٤] ويقولون على الله ما
لا يعلمون واما عندنا فاوضح مدلول عليه واحق حق يقصد اليه .
واما ما ذكروه من كثرة الاعتراضات وازدحام الشبه فيه
فالمشرب العذب كثير الزحام . ولولا تخليطكم ما نبس احد بما

---

(١) لعله بهذه (٢) لعله التي يعبر (٣) كذا بالاصل وبالهامش: خ مع دناءاته (٤) كذا بالاصل

قلتم . ولا رضى ان يتفوه ما تفوهتم ، وما اعترض احد قط على الرسل ممن كفر وعاند بما قلتم . وانما قالوا هذا سحر ولا نقبل منك معاندة او لا نفهم ما تقول ولو شاء ربك لارسل غيرك ، واما حقيقة النبوة فليست من بابكم [١] ولا يقف الامر هناك معكم وهي مذكورة في موضعها لاهلها ، واختصار معناه انها عبارة عن قول الله لنبيه انت رسول الى عبادي فبلغهم كذا عني ، واما قولهم ان الله لا يبعث رسولا فهذا كلام لا يقوله فلسفي فانه عندهم انما يكون ذلك من قبل نفسه ، وانما يعترض بهذا القدرية الذين حشدوا الاعتراضات من اي قبيل كانت ولم يبالوا ان يقولوا ما خطر لهم من تخليط قصد التشغيب ، وعلى انه ليس من الباري فنقول فيه [٢] بم علمتم استحالته اضرورة او نظرا وتدار عليهم الاقسام المعروفة وهذا ينبني على ركن التعديل والتجويز فان عندنا ان للباري ان يكلف ويامر بواسطة هي الرسل وبغير واسطة ، واما اثبات كلام الله تعالى فهذا سؤال القدرية خاصة ليس للفلاسفة فيه مدخل ، ولا خلاف انه عندنا وعندهم متكلم ، وان اختلفنا في تفصيل وصفه

---

(١) او شانكم (٢) خ لهم

بذلك . و نكتته العقلية فيه ان من نظر الى الخلق علم جواز
انسلاكهم تحت امر مطاع و نهي متبع و ذلك يستند الى آمر
و ناه و هو الخالق سبحانه لا يجوز لغيره ، و اما تعيين ما ياتي به فانه
معلوم انه بعث ليرشد الى الافعال المنجية من اهوال الآخرة التي
لا يهتدي العقل الى تفصيلها و لا يتمكن من تحصيلها و ذلك يرجع
الى تفاصيل عاجلة في الدنيا و احكام آجلة في الآخرة و ذلك مما لا
يستقل به الخاطر الذي يدعونه ، واما قولهم ان القوم ياتون بما
لا يعقل فهذه جهالة قد تكلم العلماء عليها وانا احاكمهم فيها الى
رؤسائهم واحبارهم و فلاسفتهم على الحالين فانهم قداجمعوا على ان
معنى من معاني الانبياء لا ياتى منه الا على غاية الحكمة و في نهاية
المصلحة وان من ابدع ما يدرك (١) بنور التطهير ماوصف به من
الانبياء من تنويع الصلاة الى تلك الافعال وتضعيف السجود على
الركوع والانحطاط بواسطة الركوع الى السجود ونصف (٢)
صلاة على نصف صلاة وعلى اخرى ثلاثة ارباع وانها تركبت في
ادوية القلوب على ترتيب ادوية الابدان على تناسب غريب

(١) هذا اقرب ما ظهر (٢) خ نصب وهو الظاهر

وان قصد بقعة وخلع كسوة وكشف راس وقذفا بحجر كل ذلك على غاية الرياضة للنفس في ترتيب التادب واظهار المناحى الرفيعة على الجوارح . والاشارة بذلك كله الى مقاصد في القلوب بديعة فلا تسمع هذه الاعتراضات منكم لذلك (١) ولا من غير كم لان العقول عندنا لا تحسين لها ولا تقبيح اصلا ولا عند سواكم من مخالفينا اعتراض على ما تاتى به الرسل من المعانى التى لا تهتدى العقول الى تفصيلها وانما يتلقى بالتسليم لله سبحانه وكلنا نتلقاها بالانقياد الصرف . ثم نقول ان قولهم هذا في وظائف العبادات من ادراك النسب فى التقدير واظهار الحكم فى التدبير فدعوى عريضة باردة ، نعلم ان ذلك لا سبيل اليه ويا تون ما بين تمثيلهم لذلك وبين تركيب الادوية . ويابعد ما بين الحالين في المناسبة والا فكل لبيب اذا رجع الى نفسه يجد من تركيب الادوية نسبا ذكرها ارباب الصناعة لا يقدر ان يردها الى قانون ابدا ولولا التطويل والخروج الى ما ليس من الباب لذكرت لكم منها جملة حتى يقال هذا الدواء يفعل مثل هذا وان استويا في الوزن او يفعل

---

(١) فى خ زيادة اولا

في مثل هـذا (١) كلما [٢] يفعـل الاخر بخاصيتـه اي بما لا تعقل طريقته ولا يعرف تعليله، وكذلك لو فاوضتهم فى قانون التشريح فاعترضت عليهم فيما يصورونـه على طريقـة التعليـل بزعمهم بهتوا وانقطعوا ، ولقد قلت ان القلب معلوم الشكل فلم كان على تلك الصفة واللون والمقدار والوضع [٣] فهذه خمسة اسئلة لم يعرف عليها جواب ينفع ولا فائدة لكم فى ذكر الانفصال عن هذا الاعتراض لانه خباط واذا كان القلب في صورته الجسمانية لا يدرك تاصيله ولا تفصيلـه فكيف بالقول فى الصورة المعنوية . وتعلقها بالمعقولات فذلك ابعد لكـم معشر المدعـين فقفوا حيث وقف بكم الشرع ترشدوا . ولقد نظرت فى كتاب فلطيانس في سر الخلقة وصنعة الطبيعة فرايت من الخباط ما لا عين رأت ولا خطر على قلب مجنون وكانه اراد ان يضمها الى قانون بمضمار العقل فاخرجها عن اسلوب العقل . وقبل وبعد فلم تنكرون فى الخبر ما تجدونه فى النظر. واما قولهم لا فائدة فيها لان اكثر الخلق لا يقبلهـا فهو غباوة

---

(١) فى خ زيادة الموضع (٢) كـذا بالاصل ولعله كما (٣) في خ زيادة والموضع ولا بد منه لتكمل الخمسة

فان كون الحق حقا فى نفسه لا يوثر فيه رد الخلق له الا ترى ان
كل ما يذكرون من الحقائق مردود عند اكثر الخلائق افيجعلون
ذلك حجة عليكم فى ابطال مذهبكم فما التزموه يلزمكم ، واما قولهم انه
يمكن ان تكون باطلا فيما (١) يريده الله من اضلال الخلق عندكم
فهذا سؤال معتزلى ليس فيه للفلاسفة مدخل وانما تتكلم به المعتزلة
الذين لا يجوز عندهم ان يضل الله الخلق بفعل منه ولا بقصد والجواب
عنه قد بيناه مرارا والذي تعولون عليه الان ان تقولوا بان
الخبر امننا من ذلك بان الله لا يضل الخلق عموما ولا يضلهم على ايدى
الرسل وانما فائدة ارسالهم تمييز المهتدى من الضال حتى يهلك من
هلك عن بينة ويحيا من حيى عن بينة . واما قولهم انها من
العقليات او من العادات وهذا من الفصول التى عظمها الاله والامر
فيه قريب فان المعجزة اذا جاءت على الشروط التى رتبناها فى المتوسط
لا تخلو ان تاتى خارقة للعادة خارجة عن مقدور البشر قطعا
فهذه دلالة بذاتها لنفسها لا يفتقر الى كونها مقارنة للتحدى موافقة
للدعوى على الوجوه المذكورة وان كان مما يجرى عادة فوجه

(١) خ لما

الدلالة منها عدم المعارضة فيها كما لو قال آيتى ان لايحرك اليوم احد من الخلق يدا فسكن [١] الايدى غير متصرفة بحكم الارادة مع تعرض الارادة فنحن نعلم قطعا به صدقه . واما قولهم ان المرء ضعيف فعند كم ان احدا لا يضعف عن هذا وعندنا الذى يضعف عن هذا بآفة توجب له ذالك غير مكاف به وهذه الافة (٢) لا بد ان تكون فى البدن او فى العقل فبهذا يكون المرء ضعيفا . واما قولهم زاد النظر قليلا فليفسروا ما ذا يريدون بزاد النظر فانه مجاز يصلح للوعظ لا على طريق الدلالة وزاد النظر ان فسرناالانحن فهو عند الناس كثير كامل وذلك معرفة الطريق الى المطلوب ومعرفة الاعمال الصالحة وفى التدريج به والوصول اليه وحررها(٣) من زيادة ما ليس منها او نقصان ما هو منها ، وانتم فى المنطق بهذا تفخرون وعليه تحومون . وما اختل قط نظر الا من احدى هذه الطرق الثلاث او من مجموعها او اثنتين منها . واما قولهم ان الشعوب فيه كثيرة فلا ينبغى لهم ان يروا القذاة عندنا ويدعوها

---

(١) كذا بالاصل ولعله فتسكن اوفسكون (٢) فى الاصل الاية (٣) كذا بالاصل ولعله وحزرها

في اعينهم جدا فان شعو بكم في طريقكم اكثر ومطلوبكم اشكل وسفركم اطول ومطاوبكم اعسر دركا وهذا بين بالاختبار فافرضوا مسالة لانفسكم حتى اريكم مثالها في مرتبتها على حالها وكنت اذكرها لكم لكن اكره تنبيههم والذي تتخذوه دستورا معهم. نكتة . ابينها لكم وهو انه متى ذكروا مثالا من مبادى نظرهم فقابلهم بمثال من اوائل نظرك ومتى ذكروها من الثواني فاذكرها كذلك من ثوانيك ومتى ذكروا غاية اوطويلا كان ذلك جوابهم واراحوك من كد النظر . واما قولهم ان العمر قصير فليس هذا بشيء من الدليل وانما هو وعظ والعمر وان قصر فالتكليف والابتلاء الذى الزم الله العبد على قدره لا يغيض عنه شيء منه وعليه ان يقوم بحق الامر ما ارخي له في الطول وفسح له في المهل . وانتم تقولون لادار الا هذه فلو كانت له باسرها ما كان مستوفيا املا ولا قاضيا حوجا . واما قولهم ان الواصل قليل فانه ينعكس عليهم في الذين يدعون انه الحق ومطلوب فالواصل اليه اقل وهو عندكم معدوم . وانتم تقولون ان النبوة ممكن دركها لكل احد والذى ينالها اقل من

من القليل(١)واما نحن فعندنا ممن يصل الى مطلوبه عدد رمل يبرين ومهري فلسطين . وقولهم كيف تقطع هذه العقاب الشاقة فينعكس عليهم وكذلك في قولهم ان الالات لقطعها ضعيفة مثله فى الانعكاس وهذا تكرار منهم للقول قد بينا انها قريبة قوية بابها العقل واذا ادعوا آية فليذكروها . وقولهم ان السفر طويل بل قصير بلاخلاف فان مسافة السفر هى العمر بلاخلاف وما (٢) اقله وليس بعد ذهابه سفر عندنا ولا عندهم وانما هو مقر، جنة اوسقر . واما قولهم لقد ابعدتم النجعة في ذيل الحكمة الى اخر كلامهم المتقدم فانه يقال لهم ان الذى تقدم من كلامنا في العقل والعلم يغنى عن اعادته ولكنا نثنى عليه طرف العنان لما قد ذكروه من العنان . فنقول ان وجه تغالطكم او غلطكم ان الحكمة خفيت عليكم فزعمتم انها قوة عقلية يتلقى بها العلوم من الملا الاعلا في كلام طويل يركبون عليه مقاصدهم وليس للحكمة معنى الا العلم ولا للعلم معنى الا العقل الا ان في الحكمة اشارة الى ثمرة العلم وفائدته ولفظ العلم مجرد عن دلالة على غير ذاته . وثمرة العلم العمل

(١) في الاصل واما (٢) واما

بموجبه والتصرف بحكمه والجري على مقتضاه في جميع الاقوال والافعال . وبناء على قول يقتضى ان تجرى الافعال والاقوال على قانون فلا يسترسل على الممكنات . وكذلك بناء حكم مثله في اقتضاء ذلك . وعلى هذين المعنيين تصرف هذان اللفظان حيث وردا والى ذلك يرجع قال (١) الله سبحانه ويعلمهم الكتاب والحكمة . وقال ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والمعنى به فى الاول علم الكتاب وفى الثانية العلم المطلق . وليس يمتنع في اللسان العربي ان يسمى العمل بمقتضى العلم حكمة على معنى تسمية الشيء بثمرته وفائدته كما بيناه في اصول الفقه لا سيما وقد اعطاه لفظه ودل عليه وضعه . واذا ثبت ذلك فليس يهب العلم نفسه ولا يكون ذلك الا من قبل العالم الذي لا يوهب علما ولا يتصور فى جهته طريق الى تحصيل مالم (٢) يكن قبل ولا بد للاشياء من مبادي وينتهى الى مبدا لا مبدا قبله وهذا عكس النهاية فانه لا انقطاع لها والعلوم على الصفة التي ذكرناها منه (٣) مايوجد من الواهب ابتداء ولا سبيل الى تفصيلها ومنها مايترتب على اسباب وترتيبها على اسبابها ليس

(١) لعله قول ويكون فاعل يرجع (٢) هذا اقرب ما يظهر من المحو (٣) خ منها

على كل وجه يتصور ويخطر وانما يجرى ذلك على قانون مدرك بالتعليم ولا يعلم آخرا الا واهب العلم اولا واذا تامل المنصف وضع (١) الاعتقادات فى النفس والاعمال فى الجوارح وتركيب بعضها على بعض راى انه امر لا يستقل به الادمى فانه امر موضوع فى اصله على تدبيرة لذي دبر الوضع الاول دبر الثاني وانت اذا اضفت تدبيره اليه واحلت به عليه مع علمك بانه عارية فيه فلا باس بذلك فقد اذنت فيه الشريعة وان نت اعطيته الكل وحكمت له بانه ادركه بذاته فقد جهلت نفسك ومن لا يعلم نفسه كيف يعلم غيره . ومن كلام الناس الذي لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة ضالة المؤمن يعنى بالعلم (٢) المكتسب ولما راى الناس بعضهم تقترف مايتمر (٣) بضرره ويعترف قالوا انه ليس بحكيم اي ليس بعالم لان عمله (٤) بخلاف مااستقر فى علمه دليل الجهل بما ادعى انه علمه . والى هذا المعنى عاد قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن حسب ماپيناه فى شرح الحديث وغيره واشرنا اليه وكيف يصح ان يكون

---

(١) هذا فى نسخة (٢) خ يعنى به العلم . وهذا اولى (٣) هذا اقرب ما يظهر (٤) فى الاصل علمه وهو غير ظاهر .

عالما بشيء يقتحم خلافه كما لا يصح ان يضع احد راس سيفه فى الارض وذبابه بين ثدييه ويتحامل عليه وهو عالم بانه هالك ولا ان يخرج عينه بيده ومن فعل ذلك فانما هو لذهاب عقله او ليدفع بذلك ضررا اشد منه فيكون فى الاولى عاملا بغير علم وفى الثاني عاملا بعلم . وهذا المعنى اذا فهمته زدة تقريرا وركب عليه ماتحتاج فى التفهيم او فى النظر اليه . واما قضية الشجاعة . فحقيقته انما هو ثبات النفس عند حلول المصائب وذلك يرجع الى دوام العلم وحضوره فاذا كان المرء عالما بالامر فطرا (١) عليه مايذهله عما كان يعلمه صار فعله غير محصل او بعلم اخر طرا عليه او وهم لم يتعلق بالموهوم على ماينبغي او مشكل من المعنى لم يتبصر وجه كشفه واعجلته الحالة عن تحققه فاذا حضره (٢) العلم فلا يبالي عما ينزل به من مصيبة او يطرا عليه من مشكل فانه يقابله بما عنده من الكشف والايضاح ، وقد قالوا ان الشجاعة فضيلة للقوة الغضبية وهذه حقيقة يريدون ان يركبوها على دعوى يدعونها وليس للغضب قوة ولا للحمية التي يزعمون انها تنضاف اليها او تتعاضد معها لا سيما على اصلهم فى التولد فانه امر طبيعي فلم يركبون

---

(١) اووطرا (٢) في الاصل احضره

عليه مايجرى مجرى الحظة (١) التي هى عندهم فى غير طريق التحقيق . وقالوا ان التهور زيادة على اعتدال القوة الغضبية والجبن نقصان منها . وهذا كله كما يقول اهل بغداد (٢) نبأ شادوف على قاذوف ليأتي منه لا فوف . فليس لهذه الاقوال كلها معنى الا نقصان العمل بما يطرا من الافات فيصدر العمل على جهل فيقع بخلاف الطبق وخارج عن الوفق . واما العفة فيعبرون على طريقهم عنها بانها فضيلة فى القوة الشهوانية وهو انقيادها للقوة العقلية وعدوها عن زيادة الشدة وجعلوا لذلك اسبابا من الحساب فى الطعام والشراب وعملوا تقليلها على قلتها وتكثيرها على كثرتها وبنوا على ذلك حكمهم وحكمهم فيها وليس الامر كما زعموا لا سيما ورئيسهم الاعظم كما قدمنا يقول ليس يوجد اعتدال بحال (وانما بنا ع ف ف بنا ك ف ف على بعض بنا ف لا ر بنا ت رك) (٣) وذلك ان الترك عبارة عن فعل وتحقيق الترك مما لم يعلمه الفلاسفة ولا القدرية وانما ادركه اهل السنة فتبين ان العفة ترك الافعال القبيحة اذا علم قبحها وتحقق مضرتها وهذه

---

(١) الحظة او الحطة او الحظ الفاظ محتملة من الموجود بالاصل ولم يظهر لها معنى هنا (٢) او بنا (٣) ما بين الهلالين هو كذا في الاصل ولم يتضح لي المراد منه

الالفاظ التي يسعملونها ليس لها عندهم اصل اذ لاقوة عندهم ولا قدرة وانما هي طبيعية غالبة ومعاني [١] مترتبة دائرة ضرورية ولا يتعلق بايثار ولايجرى على اختيار فيريدون ان يدمجوا لفظ [٢] الطبيعة ويخرجوا لفظ القوة ويثبتوا للجمادات قدرة وينفوا قدرة الفاعل الاول فيخلطوا ويخلطوا (٣) وينضموا هو سهم في سلك الالفاظ العربية والنبوية تيمنا بها واسترسالا للائمة عليها ويخترعوا لذلك اخبارا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا اصل لها تلوح بالاشارات الى اغراضهم يوهمون انها امور عاصمة (٤) يقصر الخلق عنها فيشار الى الافراد بها واما العدل فهو عندهم عبارة عن اتساق قوى هذه الفضائل الثلاث في جهة الاباء والانقياد على التناسب والسداد . ويقال لهم هناك قوة ولا قدرة والانتظام انما يكون على النظام الاسد الذي رتبه صاحب الشرع وانتم لاتدرونه . وحقيقة العدل في اللغة انه مصدر وحقيقته في الحقيقة ما للفاعل ان يفعله فذلك هو العدالة وهو العدل فلذلك كان الباري تعالى بالحقيقة وحده العدل لانه له ان يفعل مايشاء من تعذيب جميع الخلق او تنعيمهم فيكون في العدل او الفضل كليهما

(١) في خ زيادة تجريبية (٢) موجود في نسخة (٣) او يخبطوا (٤) او غامضة

سواء . والعدل منا هو الذي يفعل ماامر به . واذا تتبعت الفاظهم التي استعاروها ليعروا (١) ويغروا بها فى تعبيرهم عن مقاصدهم يخبطون بها قلوب السخفاء القاصرين لم تجد فيها شيئا يجرى على الاستقامة فيرجع العدل والعدالة الى العلم ارتباطا لانه اذا عمل بما علم كان عدلا وقد بينا ذلك في غير موضع وهذه الاشارة تكفى في هذه العارضة

❀علاقة❀ اخبرني ابو القاسم بن المنفرج بزقاق القناديل انه سمع ابن رضوان الفيلسوف يقول حين قرأت عليه صفة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث هند وغيره هذه الصفة لاتكون الا لنبي ولا يحتاج معها فى الدلالة الى غيرها فان اعتدال الخلق يدل على اعتدال الخلق وانها جملة صدرت عن النور الساطع والحق الذي ليس عنده باطل وانه لم يلق فى طريقه ظلمة ولا آفة ولا نقص حتى خلص للوجود على نهاية الكمال في الصنع . وهذه نزعة القوم فقد قال قبله ثمامة بن اشرس ان النبوة لا تفتقر فى دليلها الى آية خارقة للعادة ولا معجزة تبهر العباد وانما يكون دليل صدقه اتساق كلامه وعدالته في نفسه وجري جميع مايأتى به فعلا او يخبر عنه قولا على استقامة مع احكام

---

(١) كذا بالاصل

مايربطه من قانون ويبلغه الى الخلق من توظيف وسلامته من التشبيج والتناقض ، قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ، اما قول ابن رضوان فغير مرضي عند احد ولا تكلم به قائل عندنا ولا عندهم لان اعتدال البدن الجسماني لا يتعلق بالروحانيات عندهم ، وانما يرتبط بها ويكون في منوال معها القلب ، وانما اراد ابن رضوان ان يجعلها عندنا دفعة ونحن لا نقبلها منه ولانحتاج (١) اليه فيه ولا معنى لها في دينه فصارت لغوا في حقه ، واما قول ثمامة فلا يساوي ثمامة وقد بينا في كتب الاصول ان هذا الذي ذكره هو شرط النبوة لا دليلها وانما يبقى كلامه الباقي المخذول على مذهبهم في ان النبوة مدركة بالاختيار ، وانه الذي يضع من قبل نفسه القوانين فيرتب الامور . وهذا مما يعلم بطلانه قطعا فان من نظر الى كلام محمد صلى الله عليه وسلم وما ابان من المعاني ، واوضح من المقاصد ، واخبر عنه من الكوائن ، ونظم من الترتيب وقدر من التدبير ، ودخول جمع (٢) المعاني من جميع الخلق افعالا واقوالا تحت ذلك النظام (٣) علم قطعا انه امر يفوت طوق البشر وانه لا يحصيه فهم الا موجدهم ولا يرتبه

---

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) او جميع (٣) هذ في نسخة

لهم الا عالمهم وخالقهم . وهذه غاية في العصمة . والحمد لله وحده

انتهى الجزء الاول من كتاب « العواصم من القواصم »

للامام ابن العربي المعافرى

رحمه الله

يليه الجزء الثاني . اوله . عاصمة ،

ثم نظرنا في طائفة نبغت ، يقال

لهم اصحاب الاشارات

الخ

تنبيه رقم عدد ١٢ هكذا ٢١ خطا . وصفحة ١٠٨ رقمت الصفحة التي تليها بـ ١١٣ خطا وتسلسل عليها المدد . وصفحة ٨٠ رقمت التي تليها بـ ٨٥ خطا وتسلسل المدد.

يتاكد تصحيح الكتاب بورقة الخطا والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٠٠٦	١٤	اي	او
٠٠٧	٠٦	القليل	الغليل
٠٠٨	٠١	مناحي	على مناحي
٠١٨	٠٤	الحسن	الحس
٠٢١	٠٣	قبله	قلبه
٠٢٦	١٣	قبله	قلبه
٠٣٨	٠٧	ترجع	ترجح
٠٤١	٠٣	انبائه فى ابنائه	انبيائه في ابنائه
٠٤٣	٠٧	حيل	حيد
٠٤٣	١٦	ففجئستني	ففا جاأتني
٠٥٣	٠٧	يتمتل هذه	بمثل هذا
٠٥٦	٠١	جدت	جرت
٠٦٠	١٤	ذوي	ذو
٠٦٣	١٤	بنبيك	ينبيك
٠٦٤	٠٣	سقط بعد قوله المعصوم : قلنا ونحن اذا اختلفنا في شيء رددناه الى امامنا المعصوم الخ	
٠٦٨	٠١	يدكه	يدركه
٠٨٥	٠١	السطر الاول كله مكرر واول الثاني	
٠٨٦	١١	تتصروا	تقتصروا
٠٩٠	٠٨	كوكة	حركة

ص	س	الخطا	الصواب
٠٩١	١٢	الصبائع	الطبائع
٠٩١	١٤	بصدر	يصدر
٠٩٤	٠٣	اذ	اذا
١٠٣	١١	واجعة	وراجعة
١١٥	١٣	الموحين	الموحدين
١٢١	٠١	عن	عنى
١٢١	٠٤	مشارقة	مشارفة
١٢١	٠٨	نبعث	نبغت
١٢٢	٠٩	الجليلة	الجلية
١٢٢	١١	واقاما	واقامها
١٢٣	١٤	لايستطيع احد خرقها لا في السماء بسلم ولا في الارض بنفق .	
١٢٤	٠٤	ارتقا	ارتغا
١٢٨	٠٢	بجلبنا	فخلبنا
١٢٨	٠٢	صفنا	طفنا
١٢٩	٠٥	داخله	داخلة
١٣٠	٠٨	لولى	اولا
١٣٠	٠٢	نقصد	بفضل
١٣٢	٠١	به	بك
١٣٢	١١	اذا	اذ
١٣٦	١١	فيه انهم	بيد انهم

ص	س	خطا	الصواب
١٣٧	٠١	مامن	مايختار من
١٧٢	١٠	اللاافاظ	آلالفاظ
١٩٤	٠٤	قيل	قلتم
١٩٦	٠٥	تبدرت	تبددت
٢٠٤	١٤	الذين	الذي
٢١١	٠٢	تعبيرهم	تعبيرهم

فهرس

الجزء الاول من « العواصم من القواصم »

للامام ابن العربي

فهرس

الجزء الاول من الكتاب

فيه بيان العواصم والقواصم واهم المباحث



الجزء الثانی

كتاب

العواصم من القواصم

تصنيف الشيخ الامام قاضي القضاة

ابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي

رحمه الله تعالى

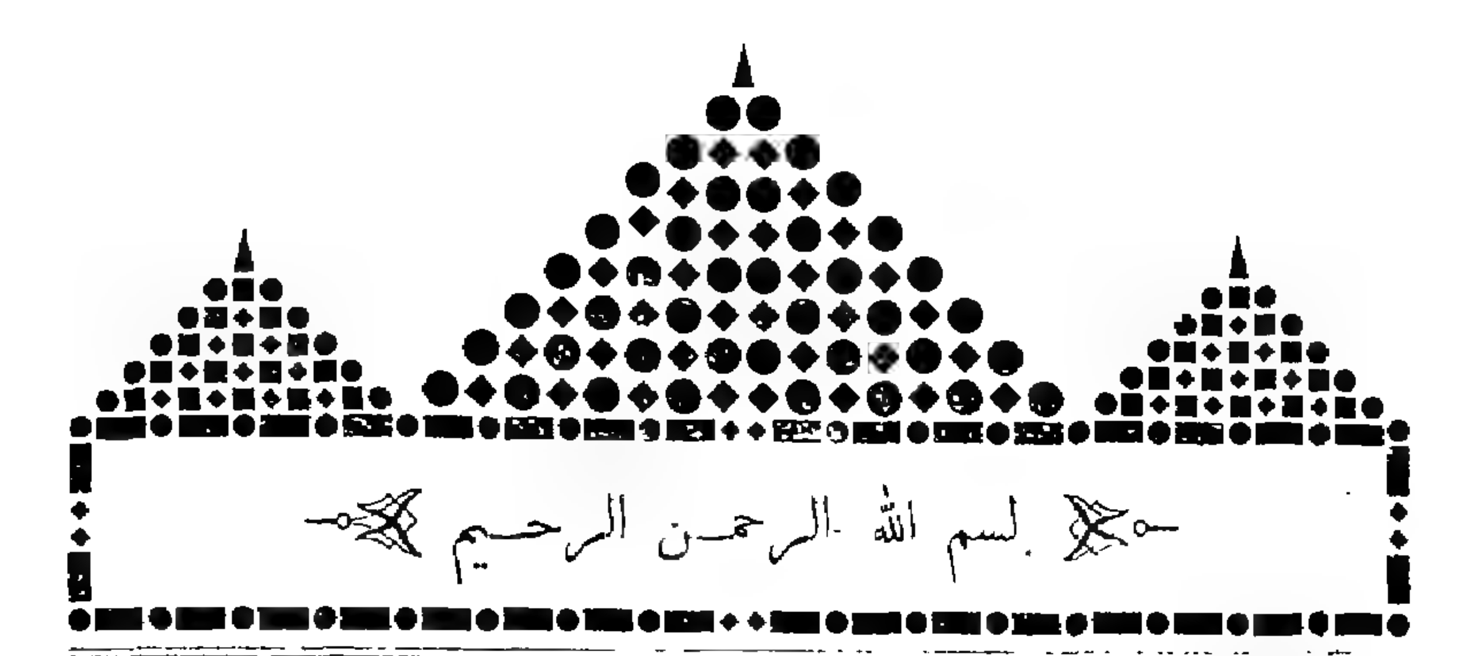
وقف على طبعه وتصحيحه

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م

المطبعة الجزائرية الاسلامية



— قاصمة — ثم نظرنا في طائفة نبغت يقال لهم اصحاب الاشارات جاءوا بالفاظ الشريعة من بابها واقروها على نصابها لكنهم زعموا ان وراءها معاني غامضة خفية وقعت الاشارة اليها من ظواهر هذه الالفاظ فعبروا اليها بالفكر واعتبروا منها فى سبيل الذكر وزاحمتهم من الطوائف الاول زمرة لبست لبستهم وتكلمت كلمتهم ونحن نجمع بين الطائفتين في مكان لانه اخصر في البيان وان اعترض غيرها لفقناالا (١) فيها وظاهر هذا القول انهم قصدوا خيرا فاساءوا عليها وربما تراقيا (٢) الامر بالتتبع له وادخال ماليس فيه الى مالا ينبغي منه ومتعلقهم في ذلك ان السلف مازالوا يبطنون مثل هذا المعنى ويجعلونه من باطن

(١) او لفقناها (٢) كذا بالاصل

علم القرءان الذي قالوا فيه ان للقرءان ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا حسب ماقررناه فى كتاب قانون التاويل . ولقد صحبت منهم كثيرا وفاوضتهم طويلا وهم عصبة بتلك الديار ورؤسها فى العلم وفاوضتهم وطلبت منهم وطالبتهم بالادلة فتعلقوا بما قدمته من اثار السلف . ومنهم من قال هـذا مقصود الشريعة من تاديب الخلق واصلاحهم بالتصريح تارة وبالاشارة اخرى فان القرءان نزل بلغة العرب وهذه سيرة العربية وما من كلام الا وهو في لسان العرب يحتمل وجوها ويدل على معان لا يدرك حقيقتها الا الكامل بنور العلم . او لا ترى ماورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس انه قال كنت اقرى رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينا انا فى منزله بمنى وهو عند عمر فى اخر حجة حجها اذ رجع عبد الرحمن بن عوف فقال لو رأيت رجلا اتى امير المؤمنين اليوم فقال ياامير المؤمنين هل لك فى فلان يقول لو قد مات عمر لبايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة ابى بكر الا فلتة فتمت فغضب عمر وقال انى ان شاء الله لقائم العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون ان يغصبوهم امورهم . قال عبد الرحمن فقلت ياامير المؤمنين لاتفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس

وغوغاءهم وانهم هم الذين يغلبون على قولك حين تقوم فى الناس وانا اخشى ان تقوم فتقول مقالة يطيروها عنك كل مطير ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها فامهل حتى تقدم المدينة فانها دار الهجرة والسنة فتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ماقلت متمكنا فيعى اهل العلم مقالتك فيضعوها مواضعها . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه فقد كان خوف سوء التاويل للقول وحمله على غير وجهه مخوفا في الصدر الاول . قالوا ولم يكن لاشارة القول وعبارته والتجاوز به الى كثير من معانيه الاحوار (١) اليوم وهو معدن انصار الحقائق وفيه يبدي الملك غامض علمه ويلقى الغيب على من يشاء الله من عباده . وقال لي محققهم الاكبر هذه امثال الله في كتابه واشارته الى علومه ، وذكر امثال الانوار للهدى والايمان وكذلك امثال النبات كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وذكر امثال الماء والنار فى سورة الرعد وما جرى على لسان النبي منها في حديث ابي موسى وغيره وتشبيه العلم والايمان فيه بالغيث والسامعين له بانواع الارض واخذ القوم من ذلك انموذجا منه (٢) قوله ومن اظلم ممن

---

(١) في خ الى حال (٢) هذا فى خ

منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها وقالوا ان الله نبه بذلك على انه لا اظلم ممن خرب اركان الايمان بالشهوات وهى قلوب المؤمنين وعمرها بالمنى والشهوات وشحنها بمحبة الدنيا وفرغها من محبة الله تعالى. ثم قال ولله المشرق والمغرب واشار بذلك الى مشارق القلوب وهى نجوم العلوم التي تطوف وتسير فى ظلمات المنى والشهوات وشموس المعارف فوقها فاذا طلعت بعد (١) ذلك (٢) شموس المعارف خفيت النجوم الشارقة قبلها وكل لله ومنه وبعضها انور من بعض. ومنه قول الخليل حين لاح له نجم العقل فعلم الحق فقال هذا ربي فلما زيد فى ضيائه وطلع له قمر العلم فطالعه بالبيان قال هذا ربي ثم اسفر الصبح ومنع (٣) النهار وطلع شمس العرفان من برج مشرقها فلم يبق للطالب مكان ولا للتجويز حكم ولا للتهمة قرار فقال اني بريىء مما تشركون. — عاصمة — فتلقفت جميع ذلك ووعيته وانا الى اصل الماخذ ناظر وعلى اعطافه بالتفكر قابل. والذي تحرر بعد تحرير الافتكار فى سبيل النظر والاعتبار ان الصريح عام فى الدين به جاء البرهان وعليه دار البيان فلا يجوز ان يعدل بلفظ عن صريح معناه

---

(١) و(٢) موجود ان في خ (٣) لعله وسطع

الى سواه فان ذلك تعطيل للبيان وقلب له الى الاشكال فاذا تقرر الصريح فى نصابه فالاشارة بعد ذلك الى الامثال والاشباه والتنبيه لوجه التشبيه اصل عظيم في العقل وباب متسع فى الدين وسبيل واضحة في الشريعة فان كانت فى الاحكام فهو باب القياس وان كانت فى التذكير والوعظ فالعبرة مباحة وان كانت فى التوحيد ولم يذكر فى معرض المثل فهي على حقيقتها لاحظ فيها لغير التنبيه بقدره على قدره وبقدس على تقدس (١) فان ورد على طريق المثل فقد مهدت قاعدته ومضى على محتملاته . قال الله تعالى وضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون فتولى هو ضرب المثل لنفسه ونهانا نحن ان نضرب له من قبل انفسنا فقال فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وان شبهت (٢) فى المواعظ والتذكير فذلك مع اجتناب الغلو وتوقى الافراط حتى يعود ذلك بزيادات لا تلزم وينقلب المحال (٣) فيجعل المذكور تبعا والمنبه عليه اصلا والمشار اليه مقصدا . (٤) وانا اضرب لكم فى ذلك ثلاثة امثال . المثال الاول . الاية المتقدمة . ضرب الله مثلا رجلا قيل هو الكافر وقيل هو الصنم

---

(١) فيخ تقديس (٢) تنبهت (٣) لعل الاصل الحال (٤) خ مقصودا

وقيل هو العاصي وقيل هو المقبل على الدنيا . فيه شركاء قيل الآلهة
وقيل الشياطين ومتشاكسون مختلفون ورجلا قيل المؤمن وقيل المطيع
وقيل المقبل على الله وقوله سلما لرجل لله بالطاعة بالاعراض عن غيره
هل يستويان مثلا فالرجل الاول ضربه مثلا [illegible] في قول وللصنم
في اخر والعاصي في ثالث والاشارة الى مقبل على الدنيا في رابع .
وقوله فيه شركاء قيل الآلهة تدعيه وقيل الشياطين وقوله رجلا سلما
لرجل قيل هــو مثل المؤمن وقيل المطيع وقيل في الاشارة المقبل
على الله المعرض عن الدنيا . ولا اشكال في ان المثل مضروب للمؤمن
والكافر فهو الاصل الذي بعث لاجله النبي صلى الله عليه وسلم والداء
العضال . والطاعة والمعصية منه . والاقبال على الله والاعراض عن الدنيا
وان كان معنى صحيحا فانا لا نقطع على ان الآية سيقت له ولا ينبغي
ان يكون مرادا بها ولكننا نقول ان الادلة المنصوصة من القرءان
والسنة قد جاءت فيه فلا نفتقر الى ان نقول من هاهنا ناخذه فانه
لا خلاف بين الامة في ان المسئلة اذا وجد جوابها وظهر حكمها
صريحا في دليل لا يطلب بالتضمين مــن غيره . المثال الثاني . قالوا
ان قوله تعالي اخلع نعليك الاشارة فيه الى خلع الدنيا والاخرة

من قبله وقيل تنق عن (١) نوعى افعالك . وقالوا فى قوله ان الق عصاك اي لا يكون لك معتمد ولا مستند غيري . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه هــذه اشارة بعيدة او قل معدومة فانها الى غير مشار . ماامر بطرح النعل الا لاحد وجهين اما لانهما كانا من غير جلد مذكى كما روى عــن ابن مسعود اولئلا يطأ الارض المقدسة بنعل تكرمة لها كما لا يدخل الكعبة بها . وقال الطبرى لو صح حديث ابن مسعود لقلت به ، ولكن امر بذلك كرامة ، قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ولو كانتا من جلد حمار ميت لم يكن فى ذلك درك لان الشرع بعد لم يكن بلغه . وقد قيل فى شرعنا يجوز الانتفاع بجلد الميتة قبل الدباغ . فاما تفريغ قلبه فعند سماع كلام الله يفرغ ضرورة ، الا ترى ان النبي اذا سمع كلام جبريل عليهما السلام معه في الوحي لا يبقى له فراغ لغيره . فكـيف مع سماع كلام الله فهذا معلوم ولا يحتاج اليه بعبارة ولا باشارة . وهى حكـمة شاذة واشارة الى برودات او تعطيل بحسب المقاصد . واما القاء العصا فقد بين الله تعالى الفائدة فيه . ومن يعتمد علي عصا من طول القيام يقال له انه

(١) خ من

علي غير الله يعتمد. هذه خرافة. فدع عنك نهبا صيح فى حجراته.
وعول علي كتاب الله ومعلوماته ، المثال الثالث ، قال اصحاب الاشارة
قول النبى صلي الله عليه وسلم لا تدخل الملئكة بيتا فيه كلب
ولا صورة فبين النبى ان الملئكة تتنزه عن بيت فيه كلب
من الحيوان او صورة من التماثيل. وهذا حث علي ابعادها وحض
علي تفريغ البيوت عنها لتتمكن الملئكة من الدخول الى
البيوت لما امرت به فيه من احصاء اعمال واحتياط على بدن او
مال او بركة تنزلها على ذي المنزل او رسالة توديها اليه اذا كان
لها صاحبا وذلك مخصوص بالرسل ومنهم جاء اصل الحديث وبعد
تقرير هذا فهو تنبيه على تطهير القلوب عن الحسد والحقد
والغضب والبخل والخديعة والمكر وسائر الصفات الذميمة فانها تمنع
من الاعمال الصالحة بالتنفير لها والافضاء لاسبابها. ما تفعله
الكلاب في منازلها والقلوب منزل للملئكة ومعدن الايمان
ومحل التقوى وهى بين اصبعين من اصابع الرحمن وذلك عبارة
عن الملئكة المدبرة لها. واذا طهرت المنازل الحسية فتنزيه القلوب
عن صفات المكروه اولى فنقر الحديث على ظاهره ونعبر منه علي

طريق الاعتبار الى هـذا المعنى المشار اليه فنلحقه به ونكون
عاملين بالوجهين موفين حق اللفظ فى المعنيين وهذا حكم الاعتبار
والالحاق . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه هـذه قدحة خاطر
ولمحة ناظر لايحتاج اليها واصلها انما هو من القوم الذين قـدمنا شانهم
فى تعطيل الشرائع وان كل ماجاء منها وجرى فى الفاظها ليس على
ظاهره وانما هو كله مبني على التعبير عن باطن سواه وغرض آخر
غيره على معنى الكناية والرموز فاراد هذا القائل ان يتوسط فذكر
ذلك على هذا الوجه وهو معنى فاسد من وجهين احدهما انه يكاد
يقطع بان هذا لم يكن مقصودا للنبي الثاني انا قد وجدنا التصريح
بتطهير القلوب عن هذه الصفات الذميمة كلها منصوصا عليه فما الذي
يحوجنا الى ان ناخذه على بعد من لفظ آخر بمعنى من الاعتبار يبعد
او يقرب هذا من الفن الذي لايحتاج اليه وانما هـو احتكاك بتلك
الاغراض الفلسفية ، وهى عـن منهج الشريعة قصية كادت بها الدين
طائفة خبيثة ، وقولهم ان السلف كانوا يبطنون مثل هذا المعنى فغير
مسلم انما كانوا يستدلون بالتنبيه العرفى او الذي يقتضيه اللفظ من
جهة اللسان فاما الاعتبار بالمعنى الباطن الذي يجري مجرى الرموز فلم

تفعله قط ولا يؤخذ فى اغراضها من طريق صحيحة ، واما قولهم
ان هذا هو المقصود فى الشريعة من التاديب والاصلاح فكلا ، انما
ادبت واصلحت الخلق بما ادبت به وصرحت وما اقتضاه لسان
المخاطبين ، واما حديث عمر رضى الله عنه فاصل صحيح فان الناس
مازالوا قديما وحديثا باغراضهم الفاسدة يقلبون القرءان ويبدلون
ماسمعوا من النبى كما قال عنهم يحرفونه من بعد ماعقلوه ، وكانوا
يقولون للنبي راعنا وانتم ممن يبدل كلام الله ولا تتاولونه كما يجب
وتضعونه فى غير موضعه ، واما امثال الهدى والانوار والشجر والماء
والنار فامثال معقوله ضربها الله فقهها من خوطب بها عنه وقد او
ضحناها فى انوار الفجر وفى قانون التاويل بنهاية البيان ، واما الذي
ذكروه من الاية التى في قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله فقد تقدم
الجواب عنه مثله فان المراد به المساجد ذوات الساحات المتخذة للصلوات
وقلوب المؤمنين معروف حالها مبينة باكثر من هذا البيان فى مواضعها
ولا نحتاج الى ذلك فيها ولا يدل ذلك اللفظ عليها ، وكذلك القول
فى آية المشرق والمغرب هو نص في الجهات ، وما يتردد عليه احوال
القلوب ويجرى فى خواطر الصدور معلوم بدليله منصوص فى كثير

من آي توحيد القرءان كقوله انه عليم بذات الصدور . الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . فاخبر انه كله من خلق الله وانه به عالم فهو لله خلق وقد يكون له تصديقا وقد يكون به (١) تكذيبا وقد يكون له محمودا وقد يكون منه مذموما وهذا كله له خلق وقضاء وقدر وقد دللنا عليه في موضعه وافسدنا قول اخوانهم القدرية ، الذين اتفقوا معهم على هذه البلية . (٢) واما نازلة الخليل فهو خطب عليهم جليل ، وامر عندنا شريف جليل . وقد بيناها في التفسير ، ونكتة القول فيها ان شان ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه كما شرحها (٣) المفسرون ليس فيه قطع بصحة ولا دفع ممكن وبعد سردها اختلف العلماء في المعنى على اربعة اقوال ، الاول ، هذا ربي في ظني لانها حال نظر واستدلال ، الثاني ، انه اعتقد ذلك ، الثالث ، انه كان طفلا ، الرابع انه قاله منكرا عبادة الاصنام على قومه ، فاما من قال انه قالها في حال النظر والاستدلال فليس طريق من طرق النظر يفضي في ابتدائه ولا في انتهائه ولا في اثنائه الى ان الكوكب رب ، ولو وقع النظر

(١) اوله (٢) في الهامش : هذا نصف الكتاب . وجعلنا نحن اول الجزء الثاني من حيث جعلناه ليفتتح الجزء باول الكلام مع اصحاب الاشارة . (٣) خ شرحه

الناظر علي انه مدبر ماازاله عنه انه افل لانه يظن انه ربما كان تديبرة وربانيته في افوله وطلوعه . واما من قال انه اعتقد ذلك فكذلك يلزمه ماقدمناه في حال النظر والاستدلال المتقدمة . وقول من قال انه كان طفلا حين خروجه من الغار الذي خباته امه فيه خوفا من القتل عليه ، فاخبر بذلك عن بشاعة قصور النظر ان كان نظرا اوعن فساد الاعتقاد ان كان لذلك معتقدا . واما قول من قال انه كان منكرا فصحيح حسن فان ابراهيم بعثه (١) بين قوم عامة يعبدون الاصنام التي ينحتون . فاذا تخصص منهم احد تعلق بالعلويات وراى انها اشرف من هذه الارضيات فى ظاهر الحال فخرجت الخواطر الحائرة بالمقادير ؛ كل احد الى كوكب وقمر وشمس وكان منهم خاصة يرون ان هذه الكواكب الزاهرة ، فى الافلاك الدائرة هى الفعالة ويرجعون اليها بعبادتهم وتقديسهم وطلباتهم فلما اصطفاه الله بخلته ، وادبه بتكرمته ، ورباه بتربيته لاوليائه وانبيائه بان كره اليهم الاباطيل ، وطهر نفوسهم عن الاضاليل (وهذا (٢) بقين (٣) فانك قد ي وسمعت بان القلوب تختلف في الاعتقادات فاذا كان هنالك من يربا بنفسه عن باطل الى آخر يرى انه اشرف منه يدركه بتكره وكذلك فاعلم ان الله يطهر من يشاء من عبادة فيستله ويصطفيه فيكون سلالته ومصطفاه ولا

---

(١) او بعث (٢) و (٣) كذا بالاصل ولعلها هذا بيقين

يمكن من قلبه الا الحق) (١) وانشاه على اكمل صفة بين النقص قوم كشف (٢) له عن ملكوت السموت والارض واراه تدبير الجملة والتفصيل وجرد له اديمها حتى ادرك لئيمها وكريمها وخيرها وشرها واطلع في جملة ذلك على الشمس والقمر والنجوم في السموت والجبال والشجر والبحار في الارض ليكون من الموقنين . وبعد هذا ذكر ماجرى له في الكواكب بقوله جل وعز فلما جن عليه الليل فاخبر ان ذلك كان بعد اطلاعه على الملكوت وهو تصريف المخلوقات من الملك بحكم الملك المطلق وبطل ان يكون ذلك ظنا واعتقادا ووجب ان يكون احتجاجا فقال لقومه جميعا واشتاتا هذا ربي اما على التنزيل فى المناظرة والتقدير ليرتب عليه مايعده من الدليل . ... طريق الانكار والاول اقوى في طريق النظر واظهر (٣) يدل عليه الكلام فى الاية فلما افل قال للمتكلم معه لااحب الافلين . تقرير الكلام انه قد ذهب وانت تسجد له اذا طلع ولا تسجد له اذا افل فالذي ... اه و يراك في كل وقت اولى بالسجود له . وقال للذي سجد للقمر هذا اكبر جرما من ذلك واظهر فعلا ولا سيما ان كانت له مقشؤة فانه يستحقه بغبرتها (٤) فلما غاب عنه قال ... فقال للاول وزاد انه لودام على المقشؤة لافسدها فقد زال لاخر (٥) هو

---

(١) ماجعلناه بين هلالين هو كذا فى الاصل ولعله كلام معترض بين المعطوف عليه وهو اصطفاه والمعطوف وهو وانشأه (٢) هذا جواب لما (٣) بالاصل حرف ممحو لعله لفظة ما (٤) هذا اقرب مايظهر (٥) يعني الشمس

اكبر منها (١) واكثر فعلاً فيها فاياه فاعبد فلما افلت قال ماهذا الباطل لا سجود لمصرف محكوم على مقدار معلوم متداول مع غيره معاقب له بينهما برزخ لا يبغيان دل على انهما محكومان . وما قدر هؤلاء الثلاث فى جنب سائر المكونات من السفليات والعلويات ومع انكم تقولون ان الشمس دون زحل في المرتبة وان زحلا قد حاز العلو فما هذه الآراء المتهافتة التي لا يضم نشرها براي ولا يحيط باخبارها وعى ارجعوا بعبادتكم الى الذي دبر الكل وفطر الجميع ولا تشتغلوا بالوسائط فليس لها حكم وانما هى امثالكم فى التسخير والتقدير فافردوه بالعبادة دونها ولا تشركوا به احدا . ويعضده قوله وحاجه قومه وقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فانها بابصار علمنا قطعا انها كانت محاجة لا شكا . فاما جواز اعتقاد الانبياء للباطل والكفر قبل البعث فكما نعلم ان الله على كل شيء قدير نعلم قطعا انه قد امنهم من ذلك واخبر انهم مطهرون عن ذلك في الازل . قيل للنبي متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد، وبين الماء والطين خرجه الترمذي وصححه وهو صحيح باللفظ الاول . فان

(١) الصواب منه اي من القمر

قيل هذه الاستدلالات ظنية فانه (١) ليس يمتنع ان يكون صبيا ويشكل عليه الامر فكذلك لا يبعد ان تكون دلالة الحدوث عنده اكثر من دلالة الجسمية واظهر ولا سيما وكان محبوسا فى غار لامه خوفا من ملك زمانهم يعيش من طرف اصبعيه وذكره لرؤية ملكوت السموات والارض يجوز ان يكون الله ذكر حال نهايته ثم رجع الى بدايته قلنا قد مهدنا القول القطعى بغاية البيان كما تقدم وليس ماذكره الله بينا ظنا وهذا لا تفهمه الاعاجم ان الله تعالى قال مخبرا عن الخليل انه قال لابيه اتعبد اصناما آلهة اني اراك وقومك فى ضلال مبين فلم يخبر عنه بشك فيها ثم نظر فاستيقن ، وانما اخبر عنه بتوحيد ظاهر وقول بين ثم عطف عليه فقال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض اي انا اريناه وجه الحق فى الاصنام الارضية كذلك نريه وجه الحق فى الاجسام العلوية ليكون من الموقنين ولم يخبر انه اراه اجسامها وانما اخبر انه اراها اياه فرءاها ملكوتا مدبرة مسخرة ومن كان محبوسا فى غار لا يرى فى الليل ولا فى النهار فيخرج منه فيرى الكوكب لا يخطر بباله ان له ربا فكيف

---

(١) هذا في نسخة

ان يجعله كوكبا ولا شك انه سمع من انيسه في الغار احاديث الاخيار والاشرار . وما يقال انه تحدث (١) به عنه وعن امثاله من انه يخرب الملك فسمع ان هنالك ملكا يخرب هذا الملك فتعلق وهمه به واذا خرج ورأى الكوكب لا يخطر بباله عادة قطعا انه المدبر حتى يسمع منه ركزا ويلقي اليه احد ذكرا . وقوله ان الباري ذكر حاله فى نهايته ثم رجع الى ذكر بدايته قلنا ذلك محتمل لولا قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ويؤكد ذلك قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون القصة الى اخرها فاخبر عنه بقول نظار حكيم ثم اخبر عنه بانه كما آتاه رشده فى الاصنام كذلك نريه في المستقبل ايات العلويات فكشف له عنها عيانا كما فى الاثر او دلالة وكان الاستدلال بالتغير اقوى من التقرر (٢) لان المتغير مخلوق مربوب ضرورة اذ التغير لا يخلو ان يكون من قدم الى قدم الى حدث (٣) او من حدث الى قدم او من حدث الى حدث والكل محال كما بيناه فى

---

(١) او محدث (٢) او التقدر (٣)كذا بالاصل ولعل ثم حذفا وهكذا الاصل او من قدم الى حدث الخ

كتاب الاصول فلم يبق الا القسم الرابع وهو انه يتغير من حدث الى حدث وذلك المقصود . والذي يعضد دلالة الخليل فى الاستدلال بالحدوث يمهد لكم اليقين فانها اقرب وابلغ من المساحة والتشكيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال وذكر مايفعل من الايات وما يظهر على يديه من المعجزات حتى احياء الموتى قال فمهما يكن من شيء فانكم تعلمون ان الدجال اعور وان ربكم ليس باعور . في حديث اعور عين اليمين وفي حديث اعور عين الشمال تختلف عليه صفات النقص ويلحقه التغيير فهذا ينفى عنه الالهية قطعا وهذا بالغ لمن وفق لفهمه وبالله التوفيق ـ قاصمة ـ وقد بينا في غير موضع ان الكائدين للاسلام كثير والمقصرون فيه كثير واولياؤه المشتغلون به قليل فمن كاده الباطنية وقد بينا جملة من احوالهم . وممن كاده الظاهرية . وهم طائفتان المتبع للظاهر في العقائد والاصول (١) . الثانية المتبعون للظاهر فى الاصول . وكل الطائفتين فى الاصل خبيثان وما تفرع عنه خبيث مثلها فالولد من غير نكاح لغية ، والحية لا تلد الا الحية . وهذه الطائفة الاخذة بالظاهر في العقائد هى فى طرف التشبيه كالاولى

---

(١) الظاهر او المتعين اسقاطه

فى التعطيل وقد بليت بهم في رحلتي ، وتعرضوا لي كثيرا دون بغيتي واكثر ماشاهدتهم بمصر والشام وبغداد . يقولون ان الله تعالى اعلم بنفسه وصفاته وبمخلوقاته منا وهو معلمنا فاذا اخبرنا بامر لا امنا به كما اخبر ، واعتقدناه كما امر . وقالوا حين سمعوا هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملئكة . وجاء ربك والملك صفا صفا واتى الله بنيانهم من القواعد . وينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا انه يتحرك وينتقل ويذهب من موضع الى موضع ولما سمعوا قوله الرحمن على العرش استوى قالوا انه جالس عليه متصل به وانه اكبر باربع اصابع اذ لا يصح ان يكون اصغر منه لانه العظيم ولا يكون مثله لانه ليس كمثله شيء فهو اكبر من العرش باربع اصابع . ولقد اخبرنى جماعة من اهل السنة بمدينة السلام انه ورد بها الاستاذ ابو القسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الصوفي من نيسابور فعقد مجلسا للذكر وحضر فيه كافة الخلق وقرا القاري الرحمن على العرش استوى . قال لي اخصهم فرايت يعنى الحنابلة يقومون فى اثناء المجلس ويقولون قاعد قاعد بارفع صوت وانبذه (١) مدا (٢) وثار اليهم اهل السنة من

---

(١) خ ابعده (٢) لعله مدى

اصحاب القشيري ومن اهل الحضرة وتثاور الفئتان وغلبت العامة فاحجروهم (١) المدرسة النظامية وحصروهم فيها فرموهم بالنشاب فمات منهم قوم وركب زعيم الكفاة وبعض الدارية فسكنوا ثورتهم (٢) وطلوا ثورتهم. (٣) وقالوا انه يتكلم بحرف وصوت وعزوه الى احمد بن حنبل وتعدى بهم الباطل الى ان يقولوا ان الحروف قديمة. وقالوا انه ذويد واصابع وساعد وذراع وخاصرة وساق ورجل يطأ بها حيث شاء وانه يضحك ويمشي ويهرول. واخبرني من اثق به من مشيختي ان ابا يعلا محمد بن الحسن الفراء رءيس الحنابلة ببغداد كان يقول اذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته يقول الزموني ماشئتم فاني التزمه الا اللحية والعورة فانتهى (٤) بهم القول الى ان يقولوا ان اراد احد ان يعلم الله فلينظر الى نفسه (٥) فان الله بعينه الا ان الله منزه عن الآفات لا اول له دائم لا يفنى لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وهى صحيحة فلله الوجه بعينه لا ننفيه ولا نتاوله الى محالات لا يرضا بها ذونهي. وكان راس هذه الطائفة بالشام ابو الفرج الحنبلي

(١) او احجروهم (٢) هيجانهم (٣) كثرتهم (٤) خ وانتهى (٥) خ ذاته

بد مشق وابن الرميلي المحدث ببيت المقدس والقطر وانى بنواحي نابلس والفاخوري بديار مصر ولحقت منهم ببغداد ابا الحسن بن ابى يعلى الفراء وكل منهم ذو اتباع من العوام جما غفرا عصبة عصية عن الحق ، وعصبية على الخلق . ولو كانت لهم افهام ، ورزقوا معرفة بدين الاسلام لكان لهم من انفسهم وازع لظهور التهافت على مقالاتهم ، وعموم البطلان بكلماتهم . ولكن الفدامة استولت عليهم . فليس لهم قلوب يعقلون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل . ولقد اخبرنى غير واحد عن ابى حامد احمد بن ابى طاهر الاسفاريني انه خرج يوما على اصحابه مسرورا فسالوه فقال ناظرت اليوم عاميا فظهرت عليه فقيل له وانت تظهر على الائمة فكيف تفرح بالظهور على العوام فقال العالم يرده علمه وعقله ودينه والعامى لا يردعه فهم ولا يردعه دين فغلبته نهزة ونادرة . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ما لقيت طائفة الا وكانت لي معهم وقفة فى مقالاتهم عصمني الله بالنظر بتوفيقه منها الا الباطنية والمشبهة فانها زعنفة ، تحققت انه ليس وراءها معرفة ، فقذفت نفسي كلامها من اول مرة . وسائر الطوائف لابد ان يقف الفكر عقلا وشرعا من اي وجه طلبت الدليل حتى يرشد

العقل والشرع الى ماخذ النجاة. وقد كان صاحبنا ابو منصور ساتكين التركي نزيل الثغر وابو محمد (١) عبد الغني قاضي البسكرة بديار (٢) المشرق معنا ولقد كانا اوتيا فهما ورزقا ذكاء ونبلا فغلبت عليهما صحبة ابن السمناني فاختارا مذهب القدرية واقد دخلت اليه وسربي وسالني عن اعتقادي فاخبرته فقال لي مامنعك من اعتقاد الحق من مذهب اهل التوحيد يعنى نفسه واصحابه من القدرية . وهو مذهب مستند من ابن الفرج الى ابى الحسين الى عبد الجبار الى ابى هاشم الجباي الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . علمت انه قد تبطن الباطن ولصق باهل البيت واخذ مذهب القدرية سترة . خلاف ابيه رضي الله عنه الذي كان يسميه القاضي ابوبكر بن الطيب مؤمن آل فرعون اذ كان حنفي الفروع اشعري الاصول . ولا (٣) راى قط بخراسان ولا العراق حنفي (٤) الا معتزليا او كراميا خلا ماوراء النهر ببلخ فانهم الى منقطع المعمور على اوفا طريقة في الحق وقمت عنه وتركته وكان خلا من فحول الفقه سمعت كلامه في جامع المنصور مع الشاشي في مسالة

(١) خ ابو محمد عبد العزيز بن (٢) هذا اقرب ماظهر (٣) خ ما (٤) خ حنفيا

القضاء على الغائب فرايت رجلا قد احكم الادلة فى مسائل الاحكام وحكمها على الطريقة العراقية . عاصمة . قال القاضى ابوبكر رضى الله عنه وقبل وبعد ينبغى ان تعلموا ان هذه الطريق فى حفظ ظاهر هذه (١) الاخبار لا يقال انها بنت قصرا ، وهدمت مصرا . بل هدمت الكعبة ، واستوطنت البيعة . وحذار ان تنشوا معهم دليلا ، ولا تستانفوا معهم من الكلام نقيرا ولا فتيلا . فليسوا لذلك اهلا . ولا ينجع فيهم ان ينشر ذلك معهم الا ان تدخل اليهم من بابهم وهو ايسر طريق اليهم فى الكشف لضلالهم ولا تلتزم معهم مذهبا الا ان تبطل رأيهم ولا يظهر لك اعتقاد الا رد الكلام الى القرءان والسنة وما اجمعت عليه هذه الامة وهم قد خالفوا الكل فالمهم افساد مقالتهم ، وبيان ضلالتهم ، فيقال لهم ما لكم اصحاب الا اليهود فانها الفت فى التوراة حين خلق الله السموات والارض ذكر فيه انه خلقها فى ستة ايام واستراح يوم السبت ، فكذبهم الله في قولهم فقال ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب ، فاخذوا لفظ الراحة بظاهره ، وهو اعفاء النفس

(١) في خ دون الاصل

عن كد التعب بعد تسخيرها فيه ، واعتقدته بحاله فكفرهم الله وكذبهم . ثم نعطف عنان القول فنقول قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة انتم قد قلتم انه اكبر من العرش مقدارا كيف يشمل (١) عليه ظلل الغمام وكيف ياتى الحق مع الخلق يوم الفصل او ياتى البنيان وهو اكبر من العرش والعرش اكبر من السموات والارض ، وقوله الرحمن على العرش استوى ، يقال لهم قال الله ثم استوى على العرش ما العرش وما معني استوى وينبغي ان تعلموا كلكم انتم وهم قبل وبعد ان بناء ظ ه ر مفيد فى العربية لكل شيء خرج عن حد الخفا والجهل الى العلم كان من المحسوس يخفى على البصر والسمع وسائر الحواس او من المعانى يخفى على العقل ، فاحذروا من ياخذ الظاهر فيجعله فى حد الباطن بتاويله له او يحكم بظاهر على معنى هو خفي ، فلما قال الرحمن على العرش استوى كان معناها هنا فى المطلوب ثلاثة معان . معنى الرحمن ومعنى استوى ومعني العرش ، فاما الرحمن فمعلوم لا خلاف فيه ولا كلام . واما العرش فهو فى العربية لمعان فايها تريدون ولفظ (٢) استوى معه محتمل

---

(١) او يشتمل وهو الظاهر (٢) او ان محتملان من المحو

خمسة عشر معنى فى اللغة فايها تريــدون او ايها تدعون ظاهرا منها ولم قلتم ان العرش هاهنا المراد به مخلوق مخصوص فادعيتموه على العربية والشريعة ولم قلتم ان معنى استوى قعد او جلس فتحكمون باتصاله به ثم تقولون انه اكبر منه من غير ظاهر ولم يكن عظيما بقدر جسمي حتى تقولوا انــه اكبر اجزاء منه . ثم تحكمهم بانه اكبر منه باربع اصابع تحكم لامعنى له . وكنت اقضي عجبا من هذه النازلة حتى وردت من المشرق سنة خمس وتسعين فرأيت غريبــة مغربيــة دفعها الى عبد الله (١) بن منصور القاضي فيها كلام لبعض منتحلي صناعة الكلام بالمغرب يقول فيها ان الباري في جهة وانه فوق العرش وان العرش هو الذي يليه من مخلوقاته ، فرايت قوما قد استولت عليهم الغفلة وغلبهم الجهل حتى قالوا ان الباري يحاذي المخلوقات ، والذي اوقعهم في ذلك انهم راوا احاديث ليست بصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم عدد السموات فذكرها حتى انتهى الى السماء السابعة قال فيها والعرش فوق ذلك والله فوق ذلك . وسمعوا القدرية يقولون ان الله في كل مكان . وتكاثرت في ذلك الاقوال من الموالف والمخالف فانكروا ذلك عليهم وقالوا ان اطلق لفظ في هذا المعــنى فالذي ينطلق انه على العرش وسامحوا في فوق لانه بمعنى علا رجل ورددوها (٢) في هذا الحديث

(١) نخ عبد الملك (٢) بالهامش الصواب واوردوها

المذكور آنفا ثم جاءت طائفة ركبت عليه فقالت انه فوق العرش بذاته . وعليها شيخ المغرب ابو محمد عبد الله بن ابي زيد فقالها للمعلمين فسدكت بقلوب الاطفال والكبار . ثم جاء هذا فقال وانا ماذا ازيد مما يظهر منزلتي ، بان (١) اقول وهو الذي يليه من مخلوقاته يعني ليس بينه وبينه موجود وهو يحاذيه . وجعل يفيض في المحاذاة والجهة وما يفيض بكلمة صحيحة . ولم يتفق بعد ان نكر على اهل بغداد وبين اضلاعي (٢) هذا الداء فنفيت (٣) عنهم المسئلة واوردتها واصدرت وامليت وجمعت . ولبابه ان الله تعالى لا يوصف الا بما وصف به نفسه شرعا وعقلا وان كان في ذلك تفصيل حققناه في موضعه ، ونحن نعلم قطعا انه كان موجودا قبل ايجاده العالم كله على اختلاف اصنافه ثم خلقه مثني وفرادى فلم تتغير له صفة ولا حدثت له اضافة محدثة او صفة مخلوقة وهو مدلول عليه ثابت دليلا وعلما واجعل العرش مخلوقا مفردا اضعاف المخلوقات فهو مخلوق فان (٤) صفته (٥) بعد خلقه في ذاته كصفته قبل خلقه لم تتغير له ذات ولا قامت بذاته منه صفة لم تكن . فان شيئا من المخلوقات لا يتغير للباري سبحانه به صفة ولا ذات . فاذا ثبت هذا فقوله الرحمن على العرش استوى ان علمنا معناه آمنا قولا ومعني وان لم نعلم معناه قلنا كما قال مالك

---

(١) خبر مبتدإ تقديره ذلك (٢) يعني في وطنه (٣) او نقبت وفي خ بثثت (٤) هذا اقرب ما يظهر من المحو (٥) الضمير يعود على الله

الاستواء معلوم وا لكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . فكيف بتفسير (٦) تعلقه بالله
لا يقال انه بدعة بل اشد من البدعة عنده فكيف لو سمع من يقول ان الله فوقه
فكيف بمن يعين فوقية الذات فكيف بمن يقول انه يحاذيه ويليه .
تبا له . والحديث الذي فيه والله فوق ذلك لا حجة فيه لان في
الحديث بعينه وقد عدد الارضين ايضا حتى ذكر الارض السابعة ثم
قال والذي نفسه بيده لو دليتم حبلا لهبط على الله . ولم يقتض ذلك
انه تحت الارض . فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن
معاذ حين حكم في بني قريظة بان يقتل مقاتلهم وتسبا ذراريهم ، لقد
حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة . قلنا لم يصح ومع
حاله فلا متعلق فيه لان قوله من فوق سبعة ارقعة حرف جر يتعلق
بحكم او بحكم المصدر المتصل لا بقوله الملك فافهموا ذلك فهو من الصناعة
وقد استوفينا بيانه في الاملاء والمشكلين . واما قوله ينزل ربنا كل
ليلة الى سماء الدنيا فان الحركة والانتقال وان كان محالا عليه عقلا
فانه يلزمهم على محالهم ان يكون محالا فانهم قد قالوا انه اكبر من
العرش بمقدار يسير فكيف ينزل الى السماء وهو اكبر من جميعها اي

(١) نخ تفسير

حتى (١) يحمله تعالى على الوجهين ولم يفهموا ان النبي انما خاطب بذلك العرب والفصحاء اللسن. وقد ثبت فيها (٢) ان التنزيل (٣) على الوجهين نزول حركه، ونزول احسان وبركة، فان من اعطاك قد نزل اليك (٤) الى درجة النيل المحبوبة عندك عن درجة (٥) المنع المكروهة كما انه نزل من وده لك عن حال البغضاء والاعراض عنك. وهو نزول حقيقة فى بابه كما ان نزول المرء عن الجبل الى السفح حقيقة فى بابه. الا ترى الى قول عنترة:

ولقد نزلت فلا تظنى غيره ❀ مني بمنزلة المحب المكرم

وقال عمر رضي الله عنه فى الاسلام ما ينزل بعبد مسلم من منزل شدة وهو معنوي لا حركة فيه ولا انتقال. وفائدته ان الكريم اذا حل بموضع ونزل بارض ظهرت فيها افعاله وانتشرت بركته وبدت آثاره فما بث الله من رحمته من السماء الدنيا على الخلق في تلك الساعة عبر عنه بالنزول فيه عربية صحيحة (٦) واما قولهم انه يتكلم بحرف وصوت فهو معنى اصابته القدرية لقولها بخلق القرآن وان الله خلق فى

---

(١) في خ حين وهو الظاهر (٢) اي اللغة (٣) في خ النزول (٤) هذا موجود في خ (٥) خ مرتبة (٦) فصيحة

الشجرة كلاما فهمه موسى كما يفهم كلام الانسان فجرى اولئك على فصل من البدعة فاسد الاصل معلوم المعنى . فلما جاءت هذه الطائفة ووجدت القول بخلق القرءان كفرا اقروا الحرف والصوت وانكروا الخلق وقضوا بقدم الحرف والصوت فجاءوا بما لا يعقل ولا هو في حد النظر والمجادلة . ولهم ظواهر لا اصل لها في الصحة ليس فيها ما يعول عليه ولا ثبتت صفة به (١) امثله حديث عبد الله بن انيس يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد فيناديهم بصوت. ذكره البخاري في التراجم مقطوعا . ومعناه ان مناديه ذو صوت ليس هو الذي له الصوت صفة . وقد يضاف الى الباري (٢) ملكه كما تضاف اليه صفته فما جاز عليه حمل الاخبار عنه على الصفة وما كان غير جائز حمل الاخبار عنه به على الملك ، ولا في الخبر ينادي بصوت وليس فيه يتكلم بصوت . فلم تركتم الظاهر وجعلتم الكلام والصوت واحدا وهما قد وردا في موطنين وبين الكلام والندا ما بين السماء والارض . وقد قال في حديث القيامة بعينه فياتيهم في صورة ثم ياتيهم في صورة (٣) اخرى افيحمل ذلك على ان الله يتبدل وينتقل

(١) هذا في خ (٢) الملك (٣) خ صفة

و يتحول تعالى الله عن ذلك ، فكما ان ذكر الصورة محمول على المعني كذلك النداء بصوت محمول على المعني . فان قالوا بالصورة والصوت والتعبير بالحوادث لم يكونوا من اهل القبلة وحكم بخروجهم اصلا وفرعا من(١) الملة . ولم يفهم هذه الحقيقة احدفهم البخاري رحمه الله فانه قال . باب قول الله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له الاية . ويذكر عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن انيس انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان ، ثم قال عن ابي سعيد الخدري بالسند الصحيح قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل يا آدم يقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار . فبين سبحانه ان المنادى عنه غيره لقوله ان الله يامرك والحمد لله . واما احمد بن حنبل فانما ابا أن يقول أن القرءان مخلوق وحمله الظالم على أن يناظره وقال له القرءان شيء أو غير شيء فإن قلت انه غير شيء كفرت وإن قلت أنه شيء فقد قال الله خالق كل شيء ، فهل يدخل القرءان فيه أم لا

(١) خ عن

فأبي أن يناظره حتي لا ينزل الباطل والحق في منزلة سواء ، ولو جاء القائل ان القرءان تشوق الي احمد بن حنبل مجيء المسترشد لا رشده وأجابه . ولما نزل منزلة القدرة وعضده السلطان سكت عنه لئلا يقع منه ما يفتتن به الملك والناس وراى فداء الدين بنفسه فكانت منزلة سنية لم تكن لاحد في الاسلام . وقد ورد في الصحيح حديث صحيح اذا قضى الله في السماء امرا سمعت الملائكة كهيئة السلسلة على الصفوان فيخرون سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق فيقولون الحق فتعلق به بعض هؤلاء المبتدعة وقالوا هذا نص في ان كلام الله صوت وقد بيناه في شرح الحديث وغيره . وتحقيق القول فيه ان الله تعالى اوحي الى رسوله اذا قضى الله ولم يقل تكلم الله ولا اذا قال الله . والقضاء في اللغة والشرع يرد على معان كثيرة وقد يحتمل ان يكون المعنى اذا قال الله بواسطة ففهم عنه تكلم به اليهم فيغشون لثقل قوله على الملائكة كما قال يغلب النبي ثقل القول فيغشى عليه كانه الجرس وهو نحو من السلسلة على الصفا وبعض الملائكة اقوى من بعض كما ان بعض الادميين اقوى من بعض فقوة جبريل في الملائكة على القبول

من الله يناسب قوة محمد صلى الله عليه وسلم فى الادميين على قبول القول من جبريل ولو كان كلام الله صوتا لما كان صوت جبريل لمحمد صلي الله عليه وسلم كالجرس وكلام الله لجبريل كالسلسلة لا يصح بهذا التقدير نعم ولا كالرعد ولا اعظم منه . واما كونه له يد ويمين فانه له ثابت قطعا اذ هو نص القرآن وكذلك ذو عين فانه ثابت قطعا ولما جاء فى القرآن كلاهما قال علماؤنا المتقدمون ان اليدين صفة ثابتة فى القرءان ليس لها كيفية وحملها المتأخرون من اصحابنا علي القدرة • والذي قال في ادم لما خلقت بيدي قال تبارك الذي بيده الملك • وقال بل يداه مبسوطتان وقال والسموات مطويات بيمينه . وفي الحديث الصحيح وكلتا يديه يمين • والذي خلق به ءادم ويطوى به السموات هو الذي به الملك وهو يقبض به الارض • في البخاري يقبض الارض ويطوي السماء بيمينه . وذكر الحديث وذلك كله عبارة عن القدرة وضرب الله اليد مثلا اذهى ءالة التصرف عندنا والمحاولة فانهما المرادهنا واوضح العلم لنا مناوذلك تصديق قوله وفي انفسكم افلا تبصرون • واما بعض اصحابنا فقد قال ان معنى قوله والسموات مطويات بيمينه اي(١)

(١) هذا فى خ

بقسمه ان يفني (١) الخلق فقول ضعيف وانما هى كناية عن القدرة كما بينا • وهبك وجد للقسم ههنا محتملا ما ذا يصنع بذكر اليمين فى الحديث الصحيح • واما ذكر الكف فلم يرد فى القرءان ولكنه ورد فى الحديث الصحيح • ولعلمائنا نكتة بديعة • وذلك انه ما جاء فى القرءان من احوال الصفات الثابتة نقلا قطعا قالوا انها صفات لا تتأول وما جاء فى اخبار الاحاد اولوها ولم يوجبوا لله منها (٢) صفة — وقوله ان الصدقة تقع فى كف الرحمن كلام صحيح يشهد له القرءان والسنة فان الله تعالى يقول في كتابه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فعبر عن نفسه الكريمة بالمستقرض فمن دفع اليه شيئا فقد وقع ما دفع فى كف المستقرض كما انه قال مرضت فلم تعدني افيكون المرض صفة ولا يشك فى انه لا يكون• كذلك الكف • واما الساعد فليس فى حديث صحيح وكذلك ذكر الذراع فلم يصح في الحديث ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اكثر من غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا وان ضرسه مثل احد وان مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة وهو صحيح

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) هذ في خ

وقال ولو ان رصاصة مثل هذه واشار الى الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان يبلغ قعرها او اصلها • فاما ذكرها مضافا الى الجبار (١) فباطل • واراد بساعد الله ان صح الذي ينتقم الله به كما ان سيف الله الذى ينتقم به كما ان سيف الله الذي ينتقم به من الكفر (٢) ويستوفى به القبض واراد بالذراع مملوكة كبيرة المساحة فامر ان يذرع بها ما عنده من المساحة فانه كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكخمسين الف سنة • فالازمنة تكون عنده فى طول المساحة ما يشبه به فيامره (٣) بمقدار يناسبه • واما ذكر الاصابع فصحيح ولكن لم ترد مضافة اليه وانما ورد انه يضع السموات على اصبع والارضين على اصبع ثم يهزهن الحديث •ولا ينكر ان يكون لله اصابع ولكن ليست صفات له ولا متصلة (٤)ولا يقتضي الظاهر ذلك فلا نرده باطنا فيضيفوها الى الله وقولوها مطلقة

---

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) خ الكفار (٣) خ يامر له(٤)في خ زيادة له والظاهر به

كما جاءت تكونوا اخذين بالظاهر • والمعنى فيه ان الجامع (١) للمخاطب الاصابع فضرب له المثال به • واحفظوا نكتة بديعة وهي ان الشرع جاء باليدين واليد والكف والاصابع وقل الساعد والذراع مفردات فلا تصلوها وتجعلوها عضوا وتضيفوها وتركبوها بعضها الى بعض فإنكم تخرجون عن الظاهر الى باطن التشبيه والتمثيل الذي نفاه عن نفسه فما فرق لا يجمع وما جمع من صفاته العليا لا يفرق • واما القدم والرجل فصحيح • وردا مضافين الى الله • واما الساق فلم يرد مضافا اليه لا في حديث صحيح ولا سقيم • وانما قال الله يوم يكشف عن ساق • ما الساق • واي ساق • ومن ذوي(٢) السوق • واما الوطء بالقدم فلم يرد في حديث صحيح اما انه ورد في الحديث الضعيف • آخر وطئة وطئها الله تعالى بوج يعني الطائف اشارة الى انها آخر غزوة انتقم فيها من الكفار وذلك مشهور في لسان المخاطبين بالقرءان قال الشاعر

وطئنا وطيا على حنق * وطئ المقيد ثابت الهرم

ولا يبعد ان يكشف عن ساق من يقول انه ذو ساق ومن الذي

---

(١) في خ الجامع للمتفرق المأخوذ للمخاطب (٢) الظاهر ذوو

يمنعهم ان يقولوا انه هذا الساق قال الشاعر

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طراد الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها

واما حديث المخاصرة فضعيف وهو في اللغة ماخوذ من خصر وقد يكون الجارحة وقد يكون من المخصرة وهي العصا المعنى يعطيه ما يعتمد عليه ويدنيه منه بالمنى والامان حتي يكون بمنزلة من خاصر الملك . ثم يقال لهم قوله يضع السموات على اصبع ويقلب القلوب باصابع الرحمن من اين لكم ان اصابع الوضع المطلقة هي اصابع التقليب المضافة اليه . ثم انه قال ولتصنع على عيني . وقال تجري باعيننا من قال لكم انها عينان . وقال بيدي ويدي من قال لكم انها ايدي . فان قيل قوله والسماء بنيناها بايد لنا اتفقت الامة على انها لا تنافيها فلا سبيل ان تكون جمع يد . ثم يقال لكم لم لا تصلون بين القدم والرجل والساق والخاصرة والجنب — والجنب عبارة عن جهة القصد لانه قال فرطت في جنب الله ولا يكون ذلك ابدا الا من جهة طاعة لا تفريط في الجارحة منك ولا في الصفة منه سبحانه — ثم تصلون الاصبع بالكف بالذراع والساعد وتجمعون صورة فرقها العقل والشرع . ان هذا

لهو الكفر العظيم والخسران المبين . ثم الوطء هو وضع القدم بثقل وليس الباري ذا اجزاء تنتقل . فان قيل ففي الحديث ان العرش ليئط به اطيط الرحل براكبه . قلنا هذه باء السبب والمخلوقات كلها تئط به اي من اجله . فان قيل اجمعت الامة على ان اصابع الوضع هى اصابع تقليب القلب . قلنا اجمعت الامة على انها ليست هى . فان قيل عمن . قيل له وقل انت عمن . وتحقيق المسألة ان احدا لم يقل قط ان الاصابع والكف صفة انما اختلفوا فيما جاء به القرآن من طريق الاحاد فلا يثبت العلماء بها صفة وانما اقتحم ذلك هذه الطائفة العوجاء ، واما الضحك والفرح فحديث صحيح ولكن اجمعت الامة على انها ليست بصفات وانما الضحك عبارة عما يكون من فضله ويفيض من عطائه كما يقال ضحكت الارض اذا ابرزت زينتها قال ابو نصير

يضاحك الشمس منها كوكب شرق * موزر بعميم النبت مكتهل

وقال آخر

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

والفرح عبارة عما يظهر عنده من الجود والسخاء والبشر والقبول والاقبال . لهم(١)

(١) كذا بالاصل ولعل ثم حذفا هكذا ثم يقال لهم .

على م تقولون انه يفرح ويمشي ويهرول ويأتي وينزل . فهل يجوع ويعطش ويمشي ويمرض ويحتاج ويعرى . فان قالوا لا . قلنا فقد قال عبدي مرضت فلم تعدني جعت فلم تطعمني عطشت فلم تسقني وفي رواية استكسيتك فلم تكسني فيقول وكيف يكون ذلك وانت رب العالمين يقول كان ذلك بعبدي فلان ولو فعلت به ذلك لوجدتني عنده في حديث طويل هذا معناه . فان قالوا لا نقول بهذه لانها آفات وهذه صفات قلنا لهم بل هي جوارح وادوات وهي كلها نقص وآفات فان هذه الجوارح كلها انما وضعت للعبد جبلة لنقصه يتوصل ويتوسل بها الى قصده . ومن له الحول والقوة وانما هو اذا اراد شيئا قال له كن فيكون بلا (١) الة له ولا جارحة ، فكما اضاف هذه الالفاظ الجوارحية عندنا الى نفسه كذلك اضاف البيت والدار اليه فهل بيته الذي هو الكعبة على قدره او اكبر منه وهل يدخله ام لا وداره هل يسكنها او يدخلها . وانتم معشر الغافلين اى تل الجاهلين ان خسرتم (٢) فاصب بالضالين الكافرين مقتل الخطاب الصحيح فيهم . الارض كلها لله والمساجد لله والكعبة بيت الله والجنة دار الله واذا اراد الله ان يشرف

---

(١) في خ فلا الة عنده . وهذا هو المتعين . (٢) هذ اغرب ما ظهر من المحو

بيتا او دارا او آدم او عيسى قال انه منه وله وبيده كان والى جنبه يقعده وعلى عرشه ينزله معه وكل ملك له ويده (١) ورجله وقدمه وذراعه وساعده ، ولا سيما اذا تصرف في طاعته الا ترى الى قوله في الحديث الذي رويتم فساعد الله اشد وموساه احد فجعل له ساعدا وموسى والاضافة واحدة والكل صحيح المعنى حق . (٢) واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فقد تكلمنا على الحديث في مواضع واملينا فيه ما شاء الله ان يملى ولم يتفق لاحد فيه من الجمع ما اتفق لنا . ولبابه ان اصل القول معناه ثلاثة اوجه الاول ان يكون المراد به (٣) صورة الرحمن الثاني ان المراد صورة آدم نفسه الثالث ان المراد صورة العبد الملطوم الذي جاء الحديث على سببه حين لطم وجهه فقال اجتنبوا الوجه فان الله خلق آدم على صورته فرجع الثلاثة الاقوال الى اثنين وهما ان يعود الضمير الى آدم اصلا او تبعا او يعود الى الله فان قلنا انه يعود الى آدم كان معناه اكرمه فان اباك على صورته وكان ذلك اوعظ له من ان يقول له فانك على صورته لان للمرء ممكن ان يمتهن من نفسه ما يمتهن (٤) من ابيه فان الموجود

(١) معطوف هو و ما بعده على له (٢ و٣) هذا موجود في خ (٤) كذا بالاصل والصواب مالا يمتهن

اذا اشبه من له حرمة عندك راعيت شبهه جبلة وشريعة ومروءة الا ترى الى قول القائل

احب لحبها السودان حتي ❀ احب لحبها سود الكلاب

وقال الآخر :

اشبهت اعداءي فصرت احبهم ❀ اذ صار حظي منك حظي منهم

وان قلنا يعود الضمير الى الله كان معناه تشريف العضو بان فيه طرق العلم كلها البصر والسمع والشم والذوق واللمس وفيه شروط قيام العقل بالقلب او هو محل العقل على اختلاف غير ضار (١) فى الدين ولا يصح ان يكون ءادم ولا احد على صورة الرحمن باجماع واذا بطل الظاهر فلا معنى لا عتقاد المحال الذي يبطله العقل فى الباطن فإن العقل يزكي الشرع والشاهد بعد الله ومن المحال ان ياتى الشاهد بجرحة المزكى وتكذيبه فان ذلك عائد بابطال قوله وقد بينا ما كان يقوله ابو يعلى بن الفراء الحنبلي أنه يلتزم فى صفة الباري كل شيء الا اللحية والفرج فانظروا نبهكم (٢) الله الى هذا المفتري (٣) على الشريعة في جنب الله تعالى ويتال له فاين التزام الظاهر واين

---

(١) خ ضائر (٢) خ ثبتكم (٣) الافتراء

صفات المعانى من العلم والقدرة والكلام والارادة والحياة والسمع والبصر واذا ثبتت الجوارح الظاهرة فان الباطنة من القلب ونحوه فان قال هذه صفات نقص يقال له تكون صفات كمال بان يذهب عنها الآلام واللذات والقاذورات كما ذكر تعالى عن صفات اهل الجنة وكما فعلتم فى الجوارح الظاهرة واذا بلغتم الى هذا المقام فاحمدوا الله على ما وهبكم من العصمة عن هذه البدعة . ومن استطاع على التاويل وفهم المعنى فيها ونعمت ومن قصر نظره التزم الايمان ونفى التشبيه واعتقد تقديس الرب عن الافات والنظير ولا تصفوه الا بما صح ولا تنسبوا اليه الا ما ثبت فانتم تعلمون انه لا يقبل على احد من الخلق الا العدل فكيف تقبلون على ربكم من لم تعرف عينه ولم تثبت عدالته فيضاف اليه ويحكم به عليه . والاحاديث الصحيحة فى هذا الباب على ثلاث مراتب ، الاول ما ورد من الالفاظ كمال محض ليس للافات والنقائص فيه حظ فهذا يجب اعتقاده الثانية ما ورد وهو نقص محض فهذا ليس لله فيه نصيب فلا يضاف اليه الا وهو محجوب عنها فى المعنى ضرورة كقوله عبدى مرضت فلم تعدنى وما اشبهه . الثالثة ما يكون كمالا ولكنه يوهم تشبيها . فاما الذى ورد كمالا محضا

كالوحدانيه والعلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والاحاطة
والتقدير والتدبير وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه ولا توقف .
وأما الذي ورد بالافات المحضة والنقائص كقوله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا وقوله جعت فلم تطعمني وعطشت فقد علم المحفوظون
والمافوظون والعالم والجاهل ان ذاك كناية وانه واسطة عمن تتعلق
به هذه النقائص ولكنه اضافها الى نفسه الكريمة المقدسة تكرمة
اوليه وتشريفا واستلطافا للقلوب وتليينا . وهذا ايها العاقلون تنبيه
لكم على ما ورد من الالفاظ المحتملة فانه ذكر الالفاظ الكاملة المعانى
السالمة فوجبت له وذكر الالفاظ الناقصة والمعاني الدنية فنزه (١)عنها
قطعا : فاذا جاءت الالفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه وللنقصان
بوجه وجب على كل مومن حصيف ان يجعله كناية عن المعانى التي
تجوز عليه وينفي عنه ما لا يجوز عليه. فقوله فى اليد والساعد والكف
والاصبع عبارات بديعة تدل على معان شريفة فإن الساعد عندالعرب
عليه كانت تعول فى القوة والبطش والشدة الا ترى الى قول الزبير
وقد ضرب فابان المضروب وفصله وتجاوز الى ما تحته فقال له قائل

(١) او فتنزه

ان هذا السيف (١) فقال ما هو السيف انما هو الساعد ولهذا قال النبي في حديث ابي الاحوص عن ابيه فيجدع هذه فيقول ضرر ويقول بحيرة فساعد الله اشد وموساه احد تشديدا (٢) له على ما اتى من الفعل القبيح وتحذيرا له من النقمة والجزاء ، واضاف الساعد الى الله لان الامر كله لله كما اضاف الموسى اليه . وكذلك قوله ان الصدقة تقع في كف الرحمن عز وجل قبل ان تقع في كف المسكين تكرمة له حتى لقد قال بعضهم ان قوله اليد العليا خير من اليد السفلى المراد باليد العليا يد السائل المعطى الآخذ لهذا المعنى . واضافها اليه تكرمة كما قال ناقة الله وامثاله كثيرة . وقد بينا ذكر الاصابع وحكمته في ذكر التقليب به . وما يقلب بالاصابع يكون ايسر واهون ويكون اسرع فاراد الباري ان يبين عند قدرته مقدار السموات والارض والمخلوقات واراد في جعل القلب بين اصبعين الاشارة بذلك الى سرعة تقلبه وخفائه وحقارته وهو والمخلوقات سواء في حقارة ذلك عنده وحقارته بالاضافة الى قدرته . وقيل كنى بالاصبعين عن اللمتين لمة من الملك له في الايعاد بالخير وتصديق الحق ، ومن الشيطان

(١) في نخ لسيفا (٢) في نخ تهديدا

لة في الايراد بالشر والتكذيب بالحق . واما الذراع فقد بينا بانه انما ورد مطلقا غير مضاف الى الله قال الله سبحانه ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . والحديث الذي بذراع الجبار لم يصح كما قدمنا . وانما الصحيح في اسناده عن ابي هريرة غلظ جلد الكافر اربعون ذراعا مطلقا غير مضاف فلا يلتفت الى حديث الاضافة ❁ عاصمة ❁ مما يتعلق بها ويستذكر به وجرى فيه توقف وغلط احاديث يعارض ظاهرها المقتضى بالعقل لا تتعلق بالباري ولا صفاته ولكنها تتعلق بما اخبر عنه من المعاني وقد سبق بيانها بان العقل والشرع صنوان وان العقل مزكي الشرع ولا يجرح الشاهد المزكى ولا يكذبه فان ذلك ابطال له . واحكام العقل ثلاثة واجب وجائز ومستحيل فاما الواجب والمستحيل فالشرع لا يثبتها ولا ينفيها (١) لانه لم يات لبيان المحسوسات والضروريات وانما جاء ليعين جائزا ويبين حكما ابتلائيا وعلى الواجب والمستحيل بنى الشرع الادلة وبهذا وقع احتجاجه واليها في النظر كان مرجع البيان منه فاذا جاء ما ينفي العقل ظاهره فلا بد ايضا من تاويله لان حمله على ظاهره محال فيكون

---

(١) اي لا يتعرض لهما

غير مفهوم والشرع لا يأتي به فلا بد من تاويله . والاخبار على ثلاثة اقسام متواتر وهو قليل بل عزيز ومستفيض وهو كثير وآحاد وهو جملة اخبار الشرع وفى القرءان من التواتر ما يغنى والمستفيض والاحاد اذا جاء فى الاثار يرد الاحاد جماعة منهم ملك رضي الله عنه فى مواضع تعارضها اصول الشرع والقدرية لا تلتفت اليها (١) ولكنها تتناقض فيها وقد بينا حقيقة الاخبار في كتب الاصول ونحن نورد من ذلك امثلة مختلفة المباني ❀ خبر ❀ قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني فى المنام فقد رآني في اليقظة ان الشيطان لا يتمثل بي . فهذا يعلم قطعا انه لا يرى ذات النبي لوجهين احدهما ان ذاته لا تدرك فى اليقظة فضلا عن المنام الثاني انه يراه في صورة تخالف صورته الكريمة فدل على ان هنالك محذوفا تقديره من رأى مثالي فقد رءانى اي يكون ذلك دليلا على انه رأى الحق كما قال فى رواية اخرى فقد رأى الحق اذ الشيطان وان لعب بالانسان فى يقظته ومنامه فلا يلعب به بواسطة النبي فكان ذلك المثال الذي يرى في المنام هو مثال النبي ضرب عنه حقا . وقد سألت

(١) اي الى الآحاد

نشمند (١) عن الرجل يرى النبي في المنام فيقول له كان كذا او افعل كذا مما يوافق الحق او يخالف ما روى عنه او ما يقتضيه القياس فقال لي ذلك لا يوجب حكما ليس بشك في حقيقة المثال وتصديق الرؤيا ولكن لان الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه لا يوثق به فى تحصيل ما رأي فان المستيقظ قد يفوته التحصيل ويذهب عنه الوعى بغفلة او ذهول او نسيان فكيف بحال النوم انتهى قوله . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه وقد بينا ان الرؤيا اوهام او حقيقة ادراك على الاختلاف في ذلك . وعندي إنه حقيقة ادراك ولكن الملك يضرب بها المثل وذلك مختص بحالة النوم تصرف فيه الاشياء عن ظواهرها وتجري الكنايات والمجازات البعيدة فيها باذن صاحب الشريعة ووضعه كما انه منع الكنايات فى بيان التوحيد ووضع الاحكام وجرى كل على حكمه وبابه ۞ خبر ۞ قال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم الساعة قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه فقد اخبر الله انه خلق العرش والكرسي والقلم واللوح وامر القلم فكتب فائتلفت هاهنا خمسة

(١) هو ابو حامد الغزالي وا لكلمة اعجمية معناها عالم العلماء

معان . المعنى الاول العرش ولا خلاف بين المصلين ان العرش مخلوق جسم محدث عن اول سابق لعدم ولكنهم اختلفوا هل عبارة عن المخلوقات اجمع ام عن مخلوق اعظم منها قدرا واعلا منها مكانا والصحيح انهما جميعا صحيحان موجودان . المعنى الثانى الكرسي وقد اختلف الناس فيه فمنهم من قال انه العلم وقيل انه موضع القدمين ومعناه ان العرش منصوب كهيئتي الدست والكرسى موجود تحته كهيئة الكرسى الموضوع للملك فى الدنيا يرقى الى الدست عليه ويضع اذا جلس قدميه فيه وهى جلسة الجبارين فيما شاهدتهم عليه. ولم يرد فى هيئته حديث نعول عليه فلا يلتفت اليه . اما انه من الجائز ان يكون الحال كذلك والله (١) اعلم بوجه الحكمة فى خلقه اذ لا يصح بحال فى المعقول ان يكون مقرا له ونحن لا نعلم الحكمة في خلق الذر فكيف ان نعلم الحكمة فى خلق العرش والكرسي فلا معارضة بين القولين فيجب الايمان بالورود والتجويز للمعنيين، واعتقاد وجوب سعة العلم للكل ، وتنزيه الرب عن الحلول والاتصال ونكون حينئذ من الراسخين بفضل الله . المعنى الثالث القلم ليس

---

(١) خ ربنا

يمتنع ان يكون جسما مؤلفا ولا خلاف بين الامة انه كذلك وقد تظاهرت الاخبار والآثار انها اقلام وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح صريفها فى ليلة الاسراء في العلو الاعلا . ويحتمل ان يكون اول مخلوق قلما واحدا فكتب ثم خلقت سائر الاقلام بعده ، ويحتمل ان يكون قوله اول ما خلق الله القلم عبارة عن الجنس لا عن الواحد ، والظاهر عندي انه واحد خلقت بعده اقلام سواه والله اعلم ، المعنى الرابع انه قال له اكتب ، قد بينا فى قانون التاويل وجه الحاجة الى الكتابة وفضل الله فيها على الخلق وما يدفع من مضرتهم ويرفع من حاجتهم . ولما قال فى الحديث فقال له اكتب دل على ان هنالك مكتوبا فيه وهو المعنى الخامس عبر عنه فى آية باللوح وفى اخر (١) بالرق المنشور ويحتمل ان يكون لفظين لمعنى واحد ويحتمل ان يكونا لفظين لمعنيين والظاهر انهما واحد له اسمان بل له اسماء المذكور منها هذان الاسمان وعند الانتهاء الى هذا المقام قالت طائفة ان هذه (٢) عبارة عن انتقاش المعلومات فى قلوب العالمين . وعبر عنه بالقلم والكتب مجازا اذ معنى الكتابة تثبت (٣) صور

(١) كذا باصل والاولى اخرى (٢) خ هذا (٣) او تثبيت

العلوم وذلك كله ثابت في قلوب العالمين فعبر به (١) عنه . وهذا المعنى وان كان جائزا فى ذاته صحيحا فى وجوده فلا نقف بالقول فيه بل نقول انه مكتوب فى جسم بجسم وفى مؤلف بمؤلف ويكون ذلك كله من خلق الله وحكمه وحكمته بان كتبه محسوسا ومعقولا وجعله بالمعنيين موصولا . واذا كان كل ذلك جائزا فهذا هوالظاهر فان الله قال انه اول ما خلق القلم وقال له اكتب ولم يكن هنالك عالم ينتقش في قلبه معلوم فعبر عنه بانه مكتوب . وانما خلق ما خلق وكتب ما كتب ثم انشأ الخلق اطوارا وعلمهم بالقول البيان ، وبالقلم الكتاب ، واخبر عن الوجهين بقوله : الرحمن علم القرءان خلق الانسان علمه البيان (٢) وبقوله : اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم وقد زاد بعضهم بأن هنالك دواة وجعلها مذكورة في قوله ن والقلم ، وهذه دعوى من غير برهان فان المداد مادة لنا في تصوير القلم لما يكتبه في وجه اللوح وكتاب قلم الله لايحتاج الى مادة اما انه لو ثبت طريق وجودها لقلنا به وان (٣) لم يثبت فقد استغنى عنه ❀ تكملة ❀

---

(١) موجود في خ (٢) في الاصل زيادة : وبالقلم الكتاب والظاهر انه زائد اذ لا ارتباط له بسياق الكلام (٣) الظاهر اذ

وتبقى ههنا نكتة وهى ان كتابه يحتمل ان يكون بخلاف كتابة الخلق
ويحتمل ان يكون مثلها فقد روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما على اصحابه وفى يده
كتابان فقال عن الذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه
اسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على ءاخرهم فلا يزاد
فيهم ولا ينقص منهم ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين
فيه اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل ءاخرهم فلا يزاد
فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم
من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير . ولو أراد احد ان يكتب
اسماء اهل بلد فى قراطيس تسع بيته ما وسعت فيه فكيف كفه
ولكن كتابة الباري على ما تقتضيه قدرته . وخذوا دستورا فى كلامه
العربي الذى نظمه لرسوله الامى الذي ءاتاه جوامع الكلام وانزل
عليه القرءان معجزا للخلق فذكر قصة نوح فى خمس وعشرين ءاية
املينا عليكم فيها خمسمائة مسألة وذكر قصة موسى في تسعين ءاية املينا
عليكم فيها ثمانمائة مسألة وافرد ليوسف سورة املينا عليكم فيها الف
مسألة وليس يقدر احد من الخلق على ان يجمع فى قدر ذلك من الحروف

مقدارها من العلوم فإذا شاهدتم هذه القدرة في المؤلف بين اظهركم فماذا تستغربون من امر فيما غاب عنكم فقدر نفسك على ان الاقلام اجسام تكتب فى الالواح فوق السموات بصرير وتصريف وتقدير وتصوير وان ذلك المكتوب ينكتب فى قلوب الملائكة وينتقل منه الى قلوبنا و يثبت بصفته في كل موضع بحسب حاله والكل جائز مقدور ، والحديث فيه صحيح مأثور ❀خبر❀ ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتي يوم القيامة بالموت فى صورة كبش املح فيوقف على الصور بين الجنة والنار ثم يقال ياهل الجنة فيشرئبون ينظرون ثم يقال ياهل النار فيشرئبون ينظرون فيقال لهم اتعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت فيذبح ثم ينادي منادى ياهل الجنة خلود فلا موت وياهل النار خلود فلا موت فلولا ان الله قضى لاهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله قضى لاهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه لما سمع الناس هذا الحديث من ذهاب الصدر الاول قالت طائفة لا نقبله فإنه خبر واحد وايضا فإنه جاء بما يناقض العقل فإن الموت عرض والعرض لا ينقلب جسما ولا يعقل فيه ذبحا ولما استحال ذلك

عقلا وجب ان يمنح الحديث ردا . وقالت طائفة اخرى ان كان ظاهره محالا فان تاويله جائز واختلفوا فى وجه تاويله على اقوال قد بيناها فى كتاب المشكلين اصلها قولان احدهما ان هذا مثل كما لو راى احد ذلك فى المنام فى زمان وباء فيقال له هذا الوباء قد زال ويقع في قلبه فى المنام ان ذلك هو الوباء وأنه بذبحه يرتفع عن المكان الذى هو فيه . وهذا له رونق ، وربما تلفق وتنمق واخر الامر لا يستمر ولا يتحقق . الثاني ان الذى يوتي به متولى الموت وكل ميت يعرفه فإنه يتولاه فإذا استقرت المعرفة به اعدم لهم العدم الذى عهدوه ولو شاء ربنا لخلق لهم العلم بذلك ضرورة ولكنه رتب لهم هذه القصة بهذه الحكمة و يعبر عن المتولى لذلك الشيء باسم ذلك الشيء وقال فصيحهم :

يايها الراكب المزجي مطيته ❀ سائل بني اسد ماهذه الصوت

وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا ❀ قولا يبريكم انى انا الموت

والذى يعضد هذا التاويل ويحققه قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الضمئان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه فأخبر عن جزائه بذاته الكريمة فكذلك يخبر عن

الموت بتوليه فاعلموا ذلك وقد مهدنا القول مستوفى في تفاصيل الخبر
فى كتاب المشكلين بما لبابه ان خروج الروح من الجسد ان لم يكن
موتا اذ كان الموت لا يكون حياة الا برجوعه الى الجسد فاذا
ذبح الكبش ولم يخرج روحه فلا يرى احد الموت وإن رآه بعد
خروج روحه فلم يذبح الموت وان رآه وقد خرج بعضه فليس بموت
والموت فى حقيقته لا يتمعض وان توقفنا فى الروح هل يدخل أو
يخرج وإن قال أرى مقدماته عاد إلى المجاز وأهل القيامة لم تبق لهم
غريبة لم يروها ولا عادة منخرقة إلا عاينوها فإنهم رأوا الاجسام
الثقال تعلو وعاينوا فى الصراط الاجسام الثقال تمشي على الجوز الدحض
ثابتة وتجري كجري الخيل وتسير سير الريح وتخطو خطو البرق
وأحسوا بالظما قد ارتفع من شرب الحوض ورأوا العرق يسيل
فياخذ كل إنسان عرقه على مقدار ذنوبه فيكون الشخصان متجاورين
فى سطح كخبزة النقى وأحدهما قد غرق فى العرق حتى شرق وجاره
قد بلغ إلى نصف ساقه ورأوا المقسطين على كراسي في الهواء قعود
إلى غير ذلك من عظم الايات . وأعظم منه الحياة بعد الموت والقيام
من الوفاة إلى الحياة فقد تحققوا الحياة أولا وثالثا والموت ثانيا فلاسالف

إلا وقد حصل عندهم فى باب كـان ، وسعبوا عليه ذيل العرفان فلو ذبح ما . . ت قبل البعث لقال من رآه ولم يمت انى قداسترحت من الموت . . . يرى الموت قد ذبح وهو قد كان ذبح قبل ذلك وقطع آرابا ثم عاد حيا فكيف يمتنع عنده أن يعود الموت بعد الذبح حيا فكيف يانس بذبحه مع تجويز عودهفأنى لهم نفس مطمئنة أم كيف يتحققون الخلود فى نار أو جنة هيهات ليست الحقائق فى هذه الطرائق . ولا تنال المعانى ، بالامانى ، ولا توخذ التحف ، من الصحف . وإنما هى منقولة من الفؤاد إلى الفؤاد ، بواسطةاللسان والآذان . ونبذ ا . . ال ، بشد الرحال ، وأعمال المطي ، الى المكان القصي . وملاحظة الاعيان ، بالعيان ، وتحقيق القول فى ذلك أن الروح تخرج من الجسد فى الدنيا على أنواع تجمعها حالتان إحداهما أن تنتقض البنية ، وتنفك الرتبة . والثانية أن تزهق الروح والبنية بحالها من وقص أو رفس ومع عمل من الادمي كالخنق ولدم القلب ورض الانثيين وغير ذلك من الانواع الخفى على الناسوجه اتصالها بالموت . والموت وإن اعتقده المعتقدون خروج الروح من الجسد وأن الروح جسم ولا بد له من منفذ

لضيقته (١) المذكورة فإذا وقع الخنق فمن اين تخرج والمنفذ مستد. وان قال هو جسم لطيف قلنا اللطيف وا لكثيف له محله وسبيله بصفته (٢) والذى يدل عليه ان الريح التي هى شبيه الروح في الحروف تأليفا، وفى الاشتقاق وزنا وتصريفا، وفى الكيفية ظنا وتخمينا، اذا سد عليها المنفذ لم يكن لها مخرج ولقد روي ان الخزنة فتحت على عاد منفذ الريح فى مسلك محصور مثل حلقة الخاتم وعتت حتى فعلت ما فعلت بقدرة من مكنها فتمكنت. فأفاد أنه لا يكون سلوكها الاعلى مسلك بقدر فعلها. ومن يظن ان الروح لها دخول وخروج كدخول الاجسام وخروجها في المعتاد فيها. هيهات له هيهات المدى. بل له معنى بديع يبرزه النظر، ويشهد له الخبر. فإن قيل فقد روى ان يحيي ذبح او نشر ولم يمت قلنا اخبار من (٣) غير احبار. ولو صحت لقلنا انه ذبح ثم احيي وقد احيي بعد الموت فى الدنيا جماعة. ولابن ابنها (٤) كتاب فيهم كبير مفيد وقد يمكن ان يذبح الحي فلا يموت. فإن قيل فحركة المذبوح بعد الذبح ما هى قلنا لهم هى عندهم مستعارة وحقيقتها نبينها إن شاء الله.

---

(١) او لصفته (٢) اقرب ما ظهر (٣) خ عن (٤) اقرب ما ظهر

فإن قيل فكيف ياكل أهل الجنة من لحم حيوانها مع بقاء الحياة فقد روى أنه يقع بين أيديهم مشويا . قلنا ويجوز أن يكون مع ذلك حيا سويا . ويلقم وهو يتكلم . وكما انشؤوا من غير استواء ، كذلك يوكل حيا من غير اشتواء . وسقطت الذكاة لان الجنة ليست بدار تكليف . ولما سقطت الذكاة سقطت متعلقاتها ، والله أعلم . وطريقة الكلام فى المسألة المتقدمةان الله يخلق لهم العلم اليقيني فى دارالیقين بان الموت لا يعود أبدا . ولو خلق لهم هذا العلم ابتداء دون ذبح شيء لكان ذلك واقعا موقعه ولكنه بحكمته جعله مخلوقا منوطا بسبب كما عند العلم اليقيني فى الدنيا ان من ذبح او مات لا يعود فيها ابدا فرتب لهم سبحانه شيئا يشبهه حتى يكون العلم الثانى على ما رتب عليه العلم الاول وثبت فى نفوسهم العلم بالمراد كما أثبته من قبل وكان عود الحياة بعد الموت الاول بخبره كذلك يكون امتناع العود فى الموت الثانى بخبره وتطمئن نفوس أهل الجنة بالخلود ويزيدهم قوله لهم احل عليكم رضوانى فلا أسخط بعده أبدا . ويقع اليأس لاولئك وتطبق عليهم النار وينفذ الحكم ويقع الفصل ويظهر الوعد الصدق . والله يختم لنا ولكم بالحسني برحمته ✿ خبر ✿ ثبت

أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الانبياء ليلة الاسرى رؤيا عين لا رؤيا قلب فى المنام وذكر فيه انه رأى جميع الانبياء فى السماء ورأى موسى عند قبره يصلى مع انه رءاه في السماء وروي انه رءاهم في المسجد الاقصى وصلى معهم وصلى بهم ورأى عيسى يهادي بين رجلين كانما خرج من ديماس ورأى او قال كأني انظر الى يونس يلبي وتجيبه الجبال وعليه عباءتان قطوانيتان . ولاجل هذا قال جماعة بان الاسراء بالنبي كان مناما فأنكروا صحيحا جائزا لانه تعذر عليهم ثقيل يعلو وميت يحيا من طريق العادة واطمأنت به نفوس العلماء فإن اعتلاء الثقيل كنزوله وإذا نزل جبريل مع خفته جاز ان يعلو محمد مع ثقله والذي يمسك السموات بغير عمد والارض معها بغير امد (١) مجدد يجوز فى حكمته ويتيسر فى قدرته ان يعلو بالثقيل الى ذلك المنتهى ويجوز ان يحي له الانبياء فيردهم الله الى هيئتهم فريهم اياه في مواضع مختلفة فى اوقات متباينة . ونحن انما نتكلم مع اهل الملة ومن يتوجه إلى القبلة فإن تكلم معنا سواهم رجعنا معه الى الاصل المتقدم ويجوز ان يقول النبى فى يونس كأني اراه يلبي كما

---

(١) او امر (٢) خ ويريهم

تقول انت اليوم كاني بالنبي محمد في عرفة فى حجته والناس حوله واسامة رديفه لانك قد تحققته والاول في جهة النبي اصح اذ قال راى وهو جائز اذ قال كاني ❀خبر❀ ومن ذلك قوله فى حديث الكسوف رايت الجنة والنار فى عرض هذا الحائط ودنت فاردت ان اتناول منها عنقودا فقد علمنا ان عرض الحائط لا يتسع لاقل حائط بالمدينة فكيف للجنة وانما اراد انه رآها فى جهة القبلة وهذا مما لا يؤمن به القدرية ابدا لان الرؤية عندهم انما هى اتصال الاشعة من نور البصر الى المرئى على خطوط مستقيمة او معوجة بحسب اختلاف المناظر وهى بواطل قد بيناها فى غير موضع من كتبنا وانما الرؤية ادراك يخلقه الله تعالى يجوز عندنا ان يجعله في الرأس والرجل والخد والظفر وان كان اجرى العادة ان يكون فى المقلة. فالمعنى ان الله خلق لرسوله الادراك وهو فى عرض الحائط وخطر بباله ان يتناول منها عنقودا فلو حاول ذلك لاخذه كما قال لانه قد كان التي فى نفسه او سمعه انه ان شاء ان يتناول تمكن وليس من شرط التمكن اللمس بل يمد يده وارادته ياتى ذلك الى ايده من مكان بعيد بل ارادته يجدها . وهذا كله وان كان خلافا

العادة فانه مقتضي القدرة . ولما بعد ذلك عند القدريه قالوا صقلت له صفحة الحائط فتمثلت له الجنة والنار في ذلك الجسم الصقيل . فيا عجبا لهم هذا خلاف العادة مما تقتضيه القدرة وليست القدرة في صحة ما يتعلق بها من الجائزات موقوفة على ما قالوا من الصقيل خاصة بل جائزة في الصقل والتمثل (١) وإذا جاز صقل الحائط فلا يرى فيه الجنة ممن قابله الا بمد جاز ان يخلق له الادراك وحده بها . ويحتمل ان يكون قوله رأيت الجنة والنار في عرض الحائط اي مستقرب يوازي في القرب عرض الحائط بما اطلع عليه منهما والتي اليه من التمكن بها وإذا مكن المرء من البعيد صار قريبا كما انه اذا لم يمكن كان ابعد من السماء وإن كان مصاقبا له وهذا لا يخفى على ناظر منصف . يعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما اسري به وقال لقريش كنت البارحة في القدس فقالوا له صفه لنا قال فكربت كربة لم يصبني قط مثلها واراني الله اياه عند دار ابي جهم فطفقت انظر إلى بابه واخبرهم عنه . فإن كان نقل رؤية فقدرة وآية ، وان كان خلق له الادراك حتى صار في التبيين له كانه

---

(١) هذا اغرب ما ظهر او التمثل

قريب منه كقرب دار ابي جهم ف ية والكل جائزوربنا عليه قادر .
قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه وبعد هذا اخبار كثيرة هذا دستورها وقد يضاف اليها بالجهل ما ليس له اصل كقولهم اول ماخلق الله تعالى العقل فقال له اقبل الحديث وهذا لم يصح ولو تعدل راويه لكان له وجه بان يخلقه في محل ويكون الخبر عنه صحيحا معقولا وقد بينا انه العلم فإليه يرجع معناه وعليه يتركب المراد به . وبقيت بعد ذلك ❀ معضلة ❀ وهي ان القيامة يوم عظيم فيه اعلام واحكام واجسام فقد روى في الحوض والصراط احاديث صحيحة واما الميزان فإنما ذكر في القرآن وانفرد القرآن بذكر الميزان والوزن وانفردت السنة بذكر الصراط والحوض ، اما انه روى عن انس انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم احب ان تشفع لي يوم القيامة قال انا فاعل قال قلت يارسول الله اين اطلبك قال اطلبني اول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قال فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض . والحديث لم يصح بل انه ثبت في الاحاديث الصحاح من الشفاعة اخرجوا من النار من في قلبه دينار ، نصف دينار ، شعيرة ، ذرة ، وذلك مما لا يعرف الا

بالوزن . فكانه نبه بالسنة على ما صرح به القرءان من امر الصراط والحوض . فلما كان هذا الامر هكذا اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال ان الاعمال توزن حقيقة فى ميزان له كفتان ، وشاهين فى قبان ويجعل فى الكفتين صحائف الحسنات والسيئات ويخلق الله الاعتماد فيها على حسب عمله بها وصفة اعمال عباده لها . وانبنى ذلك على التعديل والتجويز والتحسين والتقبيح وان الله يفعل ما يشاء ولا يترتب عليه حكم في فعل يناسب عملا من اهل الدنيا . وانما هو الخبر كما جاء . والحكم لله العلي الكبير كما اراد . وتعارضت ءايات الوعد والوعيد وجرى فيها ما بيناه فى غير موضع . ومنهم من قال وهم المبتدعة انما يرجع الخبر عن الوزن الى تعريف الله سبحانه العباد بمقادير اعمالهم . ونقل الطبري وغيره عن مجاهد انه كان يميل الى هذا القول فان كان هذا النقل عنه صحيحا انه لمزلة قدم وفاتحة ان يري قلب الالفاظ لغير صورة مع امكان حملها على ظاهرها وليس يمتنع ان يكون الميزان والوزن على ظاهره وانما يبقى النظر في كيفية وزن الاعمال وهي اعراض فهاهنا يقف من وقف ويمشي على هدى من مشى فمن كان رأيه الوقوف فمن الاول ينبغي

ان يقصد ويشق آثار المشي ليجدن سبيلا مبينا فانه يجد هاهنا ثلاثة معاني ميزانا ووزنا وموزونا وكل واحد منها معلوم وبعضها مرتبط ببعض لا يصح ان يفرد منها واحد عن الآخر للملازمة التى يقتضيها اللفظ ويقضي بها العقل فقال الله تعالى والوزن يومئذ الحق فعلمنا ان هنالك وزنا . وقال فمن ثقلت موازينه فعلمنا ان هنالك ميزانا نصا وموزونا نصا نصا (١) لانه قال موازينه بعد قوله ثقلت فاقتضى ثقلا فى ميزان وذلك هو الموزون فصارت الثلاثة كلها فى القرآن واقتضى ذلك موزونا يخف تارة و يثقل أخرى فيخف الميزان و يثقل ولم يبق الا تعيين الموزن . وقد ورد الحديث الصحيح انه يوزن عمله من ايمانه ومن حسناته وبه يخرج من النار كما ان بعمله السيء دخلها فاذا ...ت السيئات ودخل النار روعي له عند الخروج الايمان ... ذرة شعيرة الى دينار ولو روعي له ذلك فى الوزن الاول ما دخل النار لرجحانه له ولكنه تأخر اما لوزن السيئات ورجحها واما لانه مؤخر للخروج من النار وقد بينا ذلك في موضعه من المشكلين فدل صحيح هذا الخبر على ان اعمال الجوارح

---

(١) كذا مكرر بالاصل ولعله للتاكيد

توزن وبها ينجو من العذاب او يقع فيه وانه يخرج بما في قلبه من الايمان اذ الاعمال تضعفه فاذا بقي له مقدار ذرة عصم من الخلود به . ومن مشى فى طريق الوزن وتبع الفاظه وجدلا صحيحا في كل لفظة حتى اذا بلغ الى تعيين الموزون ولم يتبين له لا ينبغي ان يرجع القهقرى فيبطل بل يبقى ما تقدم على حقيقته وصحته ويسعى فى تاويل هذا وتبيينه . وانما يكون الرجوع في قياس الخلف النظري في المعقولات على الوجه الذي بيناه في ابواب النظر فلا تقول اذا لم نعلم عين الموزون يسقط الكل . وانما وجب الرد فى قياس الخلف لابتناء بعض المقدمات على بعض . واما هاهنا بالفاظ صحيحة ومعان صائبة وامكان موجود فينبغي اذا عرض فى اثناء ذلك التعذر ان يفرد بالنظر . واذا ثبت هذا قلنا قد ثبت ان اعمال العباد مكتوبة فى صحائف تنشر له فيقع الوزن فى الصحائف ويخلق الله فيه الثقل والخفة على حسب عمله بها وهذا كله مبني على اصل يخالف فيه الفلاسفة والقدرية التى فرت من الوزن لاجله وذلك ان الثقل والخفة عندهم انما هو بكثرة الاجزاء وقلتها وعندنا فما يخلقه الله فيها فجرت العادة في الدنيا بان

يتبع الثقل كثرة الاجزاء والخفة قلتها فاذا خرق العادة ارتبط الثقل والخفة بخلقه . وزمان القيامة زمان خرق العادة عندنا وعندهم . ومجاهد لايحتاج معه الى هذا بل يلزمه الامر من اول كرة لمساعدته لنا فى عموم القدرة وهذا ربط به الثقل والخفة في الدنيا ليجعله سبيلا الى معرفة الخلق بالمقدار . والمقدار فى الآخرة انما يكون بما عمله من الاعمال لا بثقل ولا بخفة فيها لانها ليست باجزاء . وقد فعل الله سبحانه فى الدنيا فعلا من ربط الثقل والخفة بكثرة الاجزاء عايناه واخبرنا انه يفعل في الآخرة غيره والقدرة عامة فوجب التصديق للخبر اذا لابد من الرجوع الى عمله بها باتفاق منا ومنهم اجمين . فان قيل فيعلمهم فاي حاجة الى الميزان . قلنا نصب الميزان ليس لحاجة ولا نصب الصراط لحاجة وانما ذلك لحكمة ليرى الخلق عيانا ما كان اخبرهم عنه برهانا وللعيان تاثير لابد منه في الدنيا والآخرة كما اخبر به فلا ترجعوا عن الظاهر الى الباطن ولاتخترسوا في امر لابد لكم منه فى كيفية احوال الاعمال في الآخرة فانه قد ثبت من تصورها صورا وتشكلها اشكالا مالامدفع فيه لاحد . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان البقرة وآل

عمران معاياتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او كأنهما خرقان (١) من طير صواف يظـلان صاحبهما والسورة لا تأتي والاصوات لا تتشكل والخبر قد صح وتأويل من قال ياتي ثوابها كلام متسور لا علم عنده فيرعد به لسانه ، فى الذي ليس من شأنه ، بما لا يتحصل حدوده ، ولا يثبت وجوده ، وانما عمل على معان منها ان الصحيفة التي قرأ فيها او كـتب الملك فيها قراءته تطلبه او ينشي الله له غمامة يقال هذه سورتك التي كنت تقرأ . فان قيل فهذا هو الثواب قلنا نعم ولكن ليست الغمامة السورة ولم يرد تسميتها ثوابا فكيف يخبر عما يشكل بما يشكل وانما كان يقول يأتي ثوابها لو قاله النبي صلى الله عليه وسلم فيفسر واما تفسير المشكل والمحتمل بمشكل محتمل فما لا يجوز شريعة ولا يصح عربية ✿ خبر ✿ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر اخير اهل النار خروجا من النار فقال يوتي مثل الدنيا وعشرة امثالها وذلك اقل اهل الجنـة منزلة فلما سمع قوم هذا عظم ذلك عندهم لوجهين خطأين احدهما جهلهم بعموم قدرة الله وعلمه وسعـة مخلوقاتـه قياسا على انفسهم ، وقصرا لخواطرهم القاصرة عن منتهى

(١) او فرقان

العلوم . الثاني اعتقادهم ان الجنة هي السموات وهي لا تتسع لهذا وكيف وهي من الدنيا فذلك ابعد . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه فقال لي ابو حامد الغزالي انما يوتى مثل الدنيا في القيمة والقدر لا في المساحة وقيد شبر من الجنة خير الدنيا بغير حصر بمثل ولا بعشرة امثالها ولا باكثر من ذلك كما يقال هذه الياقوتة خير من الف مثقال لا في الوزن ولكن في القيمة والمنفعة لانها تساوي بالتقويم اكثر من الف فقلت هذا المذكور يوتي مثل الدنيا في عشر مرات مساحة وقيمة فان القيمة لا تنحصر اذ نصيف حورية خير من الدنيا والقدرة متسعة للمساحة والقيمة جميعا والخلاء يحتملها فافرض ماشئت في العدم واخرجه الى الوجود جاز عقلا وصح اذا خلق وجودان وقد روى عن ابن عباس انه قال ليس في الجنة من الدنيا الا الاسما وليس هذا باخراج لها من حد المحسوس الى المعقول كما تقوله الفلاسفة وانما هو الفرق بينهما من اوجه كثيرة احدها ان الجنة لا تفنى والدنيا تفنى والجنة لا تستحيل ولا تتغير والدنيا بخلافها والجنة لا آفة فيها والدنيا كلها آفات من لغو وهم وغول ومالك وغل وحسد ومنازعة وكل ما يكدر نعم الدنيا

فالجنة منزهة عنه في ذات وصفات وافعال وبذلك تم النعيم وكمل الاخذ وطاب العيش والدنيا ما يكون فيها ينشا بتركيب وتدريب وترتيب والجنة انما يقول العبد فيها لشيء كن فيكون وكل شيء في الدنيا ينفع ويضر والجنة منفعة بجميع ما فيها لا مضرة معها فهذه سبعة وجوه اصول يله ما يتبعها من اعظم التفصيل . وبالجملة فاذا اردت ان تعقل امرك في الجنة فتصور نفسك وقدرها في جنتك مع من تحب من اهلك لا ينقصك امل ولا يتوقع حول ، وما تمنت نفسك وصل اليك وما كرهته من شيء دفع عنك ، واجتمع عندك الامران نيل كل مطلوب على العموم والامن من كل مرهوب على العموم ورضى ربك ورؤيته اعظم من ان تقدر لذته او تتصور واقرأ اذا اردت ان تعلم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ۞ قاصمة ۞ قد سبق انه انقسم حال السامعين لكلام الله الى من جعله كله باطنا وآخر جعله كله ظاهرا وان الذي جعله ظاهرا بدأ بالباري وصفاته فقال فيها ما تقدم وقمنا بفرض البيان فيه بما امكن وعصمنا البيان فيه مما عصمنا به . وهنالك من تعلق به في مسائل الاحكام خاصة وجعله الدليل على الاحكام

وحده واسقط الاستنباط لانه مستغني عنه قال ان الله لم يبق حكما الا نص عليه ولا مشكلا الا بينه وارشد اليه فلا يوخذ حكم الا منه ولا يوجد بيانه الا فيه والحكم بالرأي والقول بالقياس ضلال فى الدين وعدول عن سنن المرسلين ومشاقة لله ورسوله والمؤمنين وهى امة سخيفة تسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم تفهمه تلقفوه من اخوانهم الخوارج حين حكم على رضي الله عنه يوم صفين فقالت لا حكم الا لله . وكان اول بدعة لقيت فى رحلتي كما قلت لكم القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب (١) سخيف كان من بادية اشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب الى داوود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم انه امام الامة يضع ويرفع ويحكم لنفسه ويشرع وينسب الى دين الله ما ليس فيه ويقول عن العلماء مالم يقولوا ينفر القلوب عنهم وتشنيعا عليهم وخروجا عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته فجاء فيه بطوام قد بيناها في رسالة الغرة واتفق له ان يكون بين اقوام لا نظر لهم الا المسائل فاذا طالبهم بالدليل كاعوا

(١) خ بسخيف اي بسبب سخيف وهى الظاهرة

فتضاحك مع اصحابه منهم وعضدته الرياسة بما كان عنده من أدب وشبه كان يوردها على الملوك مع عامتهم فكانوا يحملونه حفظا لقانون الملك ويحمونه لما كان يلقي اليهم من شبه البدع والشرك وفى حين عودتي من الرحلة الفيت حضرنى منهم طائفة ونار (١) لائحة فقاسيتهم مع غير اقران وفى عدم انصار الى حساد يطؤون عقبى فيدوسون ذيلي فاذا دنوا عدموا حافي فتارة تذهب لهم نفسي ، واخرى تنكسر لهم ضرسي ، وانا ما بين اعراض عنهم او تشغيب بهم ولم يكن هنالك من يقف الامر على حد المناظرة فينصر الحق ويظهر الصدق فدربت الانام ودارت الايام وقد كان جاءنى بعض الاصحاب بجزء لابن حزم سماه نكت الاسلام فيه دواهى فجرد عليه نواهى وجاءنى آخر برسالة الدرة فى الاعتقاد فنقضتها برسالة الغرة والامر افحش من ان ينقض ما فسد من ان يفسد اذ ليس له ارتباط ولا ينتهي الى تحصيل يقولون لا قول الا ما قال الله ولا نتبع الا رسول الله فان الله لم يأمر بالاقتداء باحد ولا بالاهتداء بهدي بشر ولا بالانقياد الى احد ❀ عاصمة ❀ قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه اعلموا ارشدكم الله

(١) هذا بياض لعله بدعتهم

الى طريق التعليم ويسر لكم اسباب التفهيم انا لقد مهدنا في
النواهي عن الدواهي وجه الرد عليه وطريق الدخول اليهم ويجب
ان تتحققوا انهم ليس لهم دليل على عقولهم ولا حجة على رأيهم
وانما هي سخافة في تهويل فانا اوصيكم بوصيتين احداهما لا
تستدلوا عليهم ولا تطالبوهم بالدليل فان المبتدع اذا استدللت
عليه شغب عليك واذا دعوته الى الاستدلال لم يجد اليه سبيلا فان
الله لم يجعل له على الباطل دليلا فاما قولهم لا قول الا ما قال الله فحق
ولكن ارني ما قال الله واما قولهم لا حكم الا لله فغير مسلم على
الاطلاق بل من حكم الله ان جعل الحكم لغيره فيما قاله
واخبر به قال النبي صلى الله عليه وسلم في الثابت من الحديث واذا
حاصرت اهل حصن فطلبوا ان ينزلوا اليك فلا تنزلهم على
حكم الله فانك لا تدري ما حكم الله ولكن انزلهم على حكمك
وهذا نص في مسئلتين بديعتين احداهما انه يجوز ان يقال الحكم الى
فيك شرعا والثانية وتقوي الاولى ان حكم الله لا يعلم الا بقوله وما
لم يقل فيه شيئا لما فاز بركته دون حكم ولكنا نحكم فيه
بما يقتضيه النظر في امثال احكامه واشباهها والا فكان قوله

ولكن انزلهم على حكمك بمعنى انفذ فيهم ما تشتهى وما تريد
وانما افاد بهذا هذه المسئلة البديعة وهو انه لا يقول المجتهد هذا حكم
الله وانما يقول هذا فرضى وعملى فى عملى ، واما قولهم ان الله لم
يامرنا بان نقتدي باحد ولا نهتدى بغيره فكذبوا على الله وعلى
رسوله فانه ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بسنتى
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجد فامر
بالاقتداء بسنة الخلفاء كما امر بالاقتداء بسنته وانما يقتدي بالخلفاء فيما
لم يكن عنه فيه نص والا فما كان فيه منه النص لا ينسب الى الخلفاء
وهذا قاطع في انه صلى الله عليه وسلم لم ينص على كل مسئلة
اذ لو نص عليها لما كان للخلفاء سنة غيرها ويقال لهم ايضا قد صح انه
قال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وهذا كالاول في
الاقتداء بهما فيما لم يكن فيه عن النبي نص وقال صلى الله عليه وسلم
اهتدوا بهدي عمار وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ارحم امتى
بامتي ابوبكر واشدها فى امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان واقراهم
لكتاب الله ابي بن كعب وافرضهم زيد ابن ثابت واعلمهم بالحلال
والحرام معاذ بن جبل الا وان لكل امة امينا وان امين هذه الامة

ابو عبيدة بن الجراح ولو كان كل الشريعة نصا ما تفاوت فيه هؤلاء الجلة ولكان دركه عندهم سواء كما تقول انت وشعيتك ان كل احد يدركه ويستغنى عن كل احد فيه . وغريبة امرهم انهم يقولون لا رجوع الا الى النص عن الله وعن رسوله وهى كلمة مخترعة لم تجر على لسان احد قبل الشافعى اخذتها منه الشيعة فقالت ان النبى نص على علي فى الامامة والخلافة على الامة وكان ابن حزم اولا قد تعلق بمذهب الشافعي سترة متهكما مدة ثم فضح نفسه بمذهبه آخرا وتعلق بكلمات من لدنه منها النص فيقال لهم باى نص تردون الامر الى النص وهم لا يجدونه ابدا وتحقيق القول فى ذلك ان الله انزل كتابه محكما ومتشابها واوعز الى نبيه بان يبين للناس ما نزل اليهم ولو كان كله مبينا يدركه كل احد لما كان له محلا للبيان فامتثل ما امره الله به ، والبيان على اقسام كثيرة عند العلماء ولكل احد طريقة فى العبارة عنه فاما طريقة الاصوليين فقد اثبتناها فى مواضعه مقتدين بغيرنا فيها . واما المحدثون الذين تعلق بحبلهم وتزعم انك تتقفيا بظلهم فهو عندهم على عشرة مراتب الاول بيان التصريح كقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله

السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات
ذو القعدة وذو الحجة ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان الثانية قال
البراء اشار النبى صلى الله عليه وسلم بيده ويدى اقصر من يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اربعة لا تضحى بهن العور البين عورها
والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها والعجفاء التى لا تنقى
الثالثة قال سمرة بن جندب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسمين
عبدك افلح ولا نجيح ولا رباح ولا يسار وانظر الا تزيد على. الرابعة
قول النبى صلى الله عليه وسلم ايما رجل اعمر عمرى له ولعقبه من بعده
فانها لمن يعطاها لا يرجع الى صاحبها ابدا لانه اعطا عطاء وقعت
فيه المواريث الخامسة قام رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فسئله عن
الصلوة فى ثوب واحد فقال او كلكم يجد ثوبين السادسة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الهرج
قيل يارسول الله ما الهرج قال هاكذا بيده وحرفها يريد القتل
السابعة قال رجل فى حجة الوداع ذبحت قبل ان ارمى فاوما بيده وقال
لاحرج الثامنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى
تقاتلوا قوما عراض الوجوه ذلف الانوف صغار العيون كان وجوههم

الجنان المطرقة التاسعة جاء ابوبكر والقوم ركوع فركع دون الصف ثم مشى فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ايكم الذي ركع دون الصف ثم مشى قال ابوبكر انا يارسول الله قال زادك الله حرصا ولا تعدل• العاشرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الرطب بالتمر فقال اينقص الرطب اذا يبس قالوا نعم قال فلا اذن فانظروا رحمكم الله الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم للاحكام على درجات واين النص من هذه المراتب . يزيده ايضاحا ان النبي صلى الله عليه وسلم صح أنه قال اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وقد اختلفا فى مسائل قطعا منها الجد وتفصيل التفضيل (١) والعطا ولا يمكن الجمع بينهما فى الاقتداء فاين النص ولكم ابين هذه المسالة لاهم ومن الاقتداء بهم أن يرى الفقيه منكم ان كل واحد منهم لم يرجع إلى صاحبه ولا ينظر كل واحد الا لما يقتضيه اجتهاده وكذلك فعل سائر الصحابة دونهم وكذلك فعل التابعون وكذلك فعل مالك والشافعى فليقتد بهما فى ذلك ومن الاهتداء بهدى عماران فقهه كان فيما اذا عارضه أمران أحدهما أشد من

(١) نخ فى

الاخر واكثر احتياطافى الدين أخذ به وهذا صحيح منه فاقتدى بـه
مالك وجماعة فراوا اذا تعارض دليلان ان يوخذ بالاشد والاحوط منهما
ومن الاقتداء بعمر ان لا يقبل حديث النبي من كل راو فنراه قد رد
على ابن موسى حديثه وطلب منه البينة عليه ومن الاقتداء بعلى وهو
احد الخلفاء انه كان لا يرى راى ابي بكر وعمر فى الحد فقد
تعارضوا فكيف يكون الاقتداء فعلى قولهم ما بين النبي صلى الله
عليه وسلم ما انزل اليه ولا احال الا على مشكل ومن الاقتداء بعمر
الا يمكن الناس من ان يقولوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يذيعوا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم حتى يحتاج اليها وان
درست وهذه الحكمة بديعة وهى ان الله قد بين المحرمات والمفروضات
في كتابه وقال تعالى لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وثبت
عنه انه قال ان الله أمركم باشياء فامتثلوها ونهاكم عن اشياء
فاجتنبوها وسكت لكم عن اشياء رحمة منه فلا تسئلوا عنها وقد
اتفقت الصحابة على جمع القرءات لئلا يدرس وتركت الحديث
يجري مع النوازل واكثر قوم من الصحابة الحديث عن النبى صلى الله
عليه وسلم فسجنهم عمر فلو درس ما درس من الحديث الوحداني

لما أثر في الشريعة فانه كان يبقى مسكوتا عنه فيكون عفوا وما ضمن الله الحفظ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ضمنه للقرآن على الاختلاف ايضا بين العلماء في تاويل قوله انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فانا نقول لهم ليس المراد بالذكر ههنا القرآن وانما هو النبي صلى الله عليه وسلم أو الدين أو القرآن وإنما حفظ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله والله يعصمك من الناس وحفظ الدين بقوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وحفظ القرآن بان الصحابة وفقوا لنسخه وضبطه وارسال الامهات إلى امصار المسلمين به ولو كان المراد به الحديث لكان أول من يبادر بذلك الصحابة رضي الله عنهم حين قالوا لابي بكر استحر القتل بالقراء يوم اليمامة ياامير المومنين ادرك القرآن وما جاء اليه أحد قال له ادرك حديث رسول الله وأنت ترى حديث النبي ياتى فى كل زمان وعلى يد كل شيخ واحدا بعد اخر فاعل حفظه هكذا ولكن فيه ان الاحكام تجرى على بابها ولا ينتظر بها الاحاديث حتي إذا وجدت على شرطها وتبينت البيان الشافى المراد فيها ومنها لم يحل لاحد ان يتعداها ولا (١) سنزيده بيانا والله اعلم بحقيقة انهم

(١) لعلي لا هذه زائدة

يقولون على الاجماع ولا اجماع عندهم الا للصحابة خاصة ولا يسمع اجماع
الصحابة الا بان ينقل عن كل واحد منهم وهذا مما لم يوجد فاذا قالوا هم لا
حكم الا بنص قلنا ولا نص على من ترك النص وهذا القول اصح
لان به قال جماعة من العلماء والذي قالوه ما قال به احد قط والاختبار
في ذلك كله يكشف الحقيقة فان قائله اجهل الجهال أو اضل
الضلال فاذا طالبتهم بنص فذكروه وجدت الاحتمال يتطرق اليه
ضرورة فاذا عارضتهم فيه لم يجدوا ملجأ وذلك بان تتبع مسائل
لهم وهي كثيرة فلا نكلمهم فيما ساعدهم عليه الشافعي وابو حنيفة
فانهم يتكلمون بحجتهم ويتقوون بهم وانما نتكلم معهم فيما ينفردون
به فنرى الفضيحة المعجلة وما سلكوا في الظاهر الا سبيل اخوانهم
من اليهود فانهم قيل لهم لا تصطادوا يوم السبت فسكروا الانهار
في أوايلها فلما كان في يوم الاحد أمكنهم الحوت فان الحوت
قبل ذلك كان ياتي يوم السبت ولا ياتي في سائر الايام فاخذوا بظاهر الامر
فسدوا افواه الانهار فلم يجد الحوت منفذا وصادوه فعوقبوا ولم يعدلوا
عن ظاهر ما أمروا حين تركوا المفهوم من ذلك وهو تفويت الحوت
وكذلك اخوانهم الروافض قالوا لا تكون الامامة الا بالنص من النبي

على ان فلانا خليفتى وهذا باطل قطعا ليس لهم في ذلك حديث يعول عليه . مسئلة . قال أهل الخيال لو ان رجلا بال في ماء دائم لم يتوضا منه ولو جرى فيه من بول فى مجاورته لم يمتنع الوضوء به وكذلك لو غاط فيه لم يمتنع من الوضوء به فانظروا رحمكم الله إلى هذا الهوس في الدين والاعتداء على الشريعة والاستخفاف بحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم إن كان المتبع لفظ الشارع بعينه فقد قال لا يبولن أحدكم فى الماء الدايم ثم يغتسل به فهذا يقتضى بظاهره أن نقصر المنع على البايل دون غيره ويقتضى انه لو بال فى كوز وصبه فيه ان لا يمنع ذلك من وضوءه منه ويقتضي أنه لو بال فيه قطرة من بول لم يتوضا به ولو غاط فيه رطلا لم يمتنع من الوضوء به فانظر إلى ما يؤدي اليه مذهبهم ويعطيه غرضهم كبر كلاما يخرج من أفواههم ان يقولوا إلا محالا على الشريعة وافتراء وقبل وبعد فليقولوا ما شاؤا وليخرجوا دقائق المحلى بالحاء المهملة فعندنا فيه نقطة واحدة فوق حايهم واخرى تحت ميمنا (١) فيحلى بـه ما يقتضى ان يكون كتابهم متروكا لا يلتفت اليه قال القاضي ابوبكر رضى الله عنه وقد كنت

---

(١) هذا اقرب ما ظهر

أتتبع لكم مسائل داود مسئلة مسئلة الا ان أبن حزم لا يبالى
عن داود ولا عن سواه فاكون ضاربا معه فى حديد بارد ولكنى
أذكر لكم دستورا تقهرونه به قهرا بان تقولوا له قال الله تبارك
وتعالى وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وقال النبى صلى الله عليه
وسلم صلوا كما رايتمونى اصلى وحفظنا صلاته فعلا وما امر به غيره
وبقى علينا من نسى تكبيرة الاحرام او القراءة او الركوع او
السجود أو الجلوس أو السلام أو اثنتين من ذلك ماذا عليه أيجزيه
أم لا يجزيه والنبى صلى الله عليه وسلم قد نسى وسجد فى موضع
فهل كل موضع مثله أم لا وما سجد فيه من ترك السجود وقد
رفع الله عنا قطعا ما نسينا فيه او اخطانا فلا تقولون شيئا يقوم
على ساق ابدا لانهم لا يجدون فى كل حرف نصا وكذلك القول فى
أبواب الشريعة كلها ﴿مسئلة﴾ هى اشد قول ابن حزم ان الله قادر
على ان يتخذ ولدا وان يخلق الهاما اذا شاء ذلك واراده بقوله لو
اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء فانظروا إلى
هذه الداهية العظما كيف جهل الجائز من المستحيل فى العقل
والمعقول المفهوم من الكلام دون ما لا يعقل فان هذا الكلام

ليس له معنى مفهوم اذ قوله هل يقدر الله ان يتخذ ولدا ليس يفهم لأن الله هو الذي لا يتصور ان يكون له ولد ولا يمكن فاذا معنى ذلك من قول القائل هل يقدر الله الذي لا يصح ان يوخذ منه ولد على ان يكون له ولد فنقض اخر الكلام اوله فلم يكن له معنى معقول في نفسه فيستحق به جوابا وكذلك قوله هل يقدر الله على ان يخلق ولدا الاها لان الله هو الذي لا يصح ان يكون معه اله سوالا فنقض اخر الكلام او له ومن ينتهي إلى هذا الحد فقد سقطت مكالمته وقال منتهجا للشريعة مستخفا بطرف الملة ان من ترك الصلاة متعمدا حتى خرج وقتها فقد سقط عنه فرضها ولم يتوجه عليه خطاب بها وقد راى اصول الشريعة ثابتة فى الذمة تقضى متى تعذر عملها من صوم وزكاة وحج فهلا ارعوى ، ولم يغو فيمن غوى ، ولا ضبح على الدين وعوي . فان قيل فقد قال الله تعالى إن الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا فربطها بوقت كما ربطها بطهارة فاذا زال ربطها سقط الامر بها الجواب عن ذلك من خمسة اوجه الاول ان اعظكم بواحدة تكشف خفا المسئلة وتهتك سترها وترفع حجابها وهو ان تناقشوهم فى الالفاظ حتي

تتمكنوا من ان يخرجوا عنها إلى المعانى فانهم تجدهم لا يتبعون لفظا ولا يصح ذلك بيس قم (١) رون انهم مهتدون وهم ضالون قوله تعالى إن الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا فلفظ موقوت مفعول من الوقت التقدير إن الصلاة كانت على المومنين كتابا مفعولا في وقت ولا شك في ان كل عبادة وعمل شرعى موقوف (٢) فتفسيرهم مرتبط بوقت لا يقتضيه اللفظ فان لفظة مفعول لا تقتضي الارتباط بوقت ببنائه ولا بمعناه الجواب الثانى ليس بقاء وقت من الزمان خاصة بل هو موضوع لكل محدود قد قال في الحديث الصحيح وقت النبي صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة ذا الحليفة ولاهل الشام الجحفة ولاهل نجد قرن المنازل فاستعمل التوقيت فى الامكنة ليبين انه لفظ موضوع للتحديد والتعيين في الاقوال والاعمال كانت لوقت او لمكان اولوصف . الجواب الثالث ان قوله موقوتا تفيد ان الوقت شرط من شروطها كالقبلة وستر العورة والطهارة و كل شرط منها كلها إذا فقد لا يمنع من فعلها باجماع فكذلك فقد الوقت وليس فى هذه الشروط كلها

(١) كذا يظهر بالاصل ولعله قوم (٢) لعله موقوت

احاديث يتعلقون بها انما هى كلها ثابتة بالقياس الجواب الرابع نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ابان الحقيقة واوضح سواء الطريقة فى نوم اصحابه عن الصلاة لحضرته في ثلاثة احوال عرضت لهم معه من نام عن صلاة او نسيها فليصلها إذا ذكرها وبفعله فى قضائها حين لم يفعلها معهم فى وقتها وقد تساوى معهم فى الترك وإن كانوا قد اختلفوا فى سبب الترك وقد بينا فيما سلف من كلامنا ان ما يعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه المعانى التي هى جبلة الادمى هى بركة على الامة فانها لهم فيها يصيبهم سلوة ولاتباعهم له في ذلك اسوة وقد تفطن لذلك حبر الامة فيما روي عنه الائمة قال مسروق عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فعرسوا من الليل فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس قال فامر بلالا فاذن ثم صلى ركعتين فما يسرني ان لى بها الدنيا وما فيها قال علماؤنا لما كان فى ذلك من النسيان لمن عراه بمثل ما عراه وشغله عن طاعة ربه اي شغله حتى اذهله وانساه ثم عاد إلى ذكراه ولو كان قوله موقوفا (١) مربوطا بوقت مخصوص معين لم

(١) لعله مرقوتا كما في نسخ

يكن في غيره واقعة موقعها لان ذلك يبطل ارتباطه بها فان قيل ذلك الوقت الذي ربطت به إنما يعلم من قبله بجعله معينا للعالم وجعله للذاهل في النائم وقت الذكر قلنا قد بينا ان اللفظ لا يقتضي ذلك ولا يعطيه الاشتقاق وقد بينا إن الشريعة لا تخص بذلك كل عمل محدود لا بد له من وقت الا انه قد يكون مطلقا وقد يكون معينا بحسب ما قامت عليه أدلة الشريعة من صلاة وزكوة وصوم وحج وفرض ونفل الجواب الخامس انه لم يزل الامة من عصر الصحابة متفقة على ان من ترك الصلاة باي وجه تركها حتى يخرج الوقت الذي يقولون انه يلزمه قضاؤها أبدا من نسيان او سهو او نوم واختلفوا في المغلوب على عقله بالاغما والجنون وقد تولجت تلك الاقطار الكريمة ودخلت تلك الامصار العظيمة وجبت الافاق القاصية نيفا على عشرة اعوام فما رايت احدا تفوه بهذا الكلام ولا وجدته مسطورا في كتب ائمة الاسلام ولو ان اهل بلدنا اذ سمعوها تفلوا عليها ولم يلتفتوا اليها اذنا ولا قلبا ولا ليتا لماتت فقال احمد بن حنبل وابن حبيب من المشاهير هو كافر لالفاظ وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله العهد الذي

بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر وهذا قول صريح في حديث صحيح ولو لم يعارضه سواه لقلنا به ولكن صدنا عن ذلك معان المعني الاول ان لفظ كفر قد يرد في الشريعة بمعني اشرك وخرج عن الملة وقد يرد بمعنى لم يشكر حق النعمة قال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء اني رايتكن اكثر اهل النار قالوا بما يا رسول الله قال بكفرهن قيل ايكفرن بالله قال يكفرن الاحسان ويكفرن العشير لو احسنت إلى احداهن الدهر كله ثم اساءت اليها (١) قالت ما رايت منك خيرا قط وقد يرد بمعني ستر لقوله صلى الله عليه وسلم ايما عبدا ابق من مواليه فقد كفر قيل ستر نفسه عمن يجب عليه اظهارها له وقيل انه كالاول في انه كفر نعمة سيده اي لم يشكرها كنحو قوله واشكروا لى ولا تكفرون فجعله من الكفر الذي هو ضد الشكر لا ضد الايمان الذي هو توحيد الله المعني الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان المعني الثالث ان عبادة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم

(١) خ زيادة يوما واحدا

والليلة من جاء بهن لم يضع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وهذا نص قاطع فان الكافر لا يكون في مشيئة المغفرة بما أخبر به عن ذلك سبحانه ﴿درجة﴾ اما ان العلماء اختلفوا فى قتله إذا ترك الصلاة عمدا فقال أبو حنيفة لايحل أراقة دمه لكنه يؤدب على استخراج هذا الحق منه بالسوط وان ادى ذلك إلى تلف نفسه وقال مالك والشافعى يقتل في آخر الوقت قال متاخروا علمائنا لا يقتل ضربه بالسيف ولكنه (١) بالحديد حتى تفيظ نفسه أو يقوم بالحق الذي عليه من فعلها وبهذا أقول قال أبو المعالى لا أرى ان يسفك دم امرئى مسلم على ترك الصلاة بغير نص كتاب الله ولا سنة ولا قياس حتى يناط بمثله المحظورات والذي حمل أبو المعالى على ذلك نكتة فارغة تعلق بها أهل ما وراء النهر من اصحاب ابى حنيفة وهى عسرة المبدا ولكنها سهلة المنتهى قالوا ان الشريعة لم تبح قط دما بترك مفروض كالوضوء والصوم والزكاة والحج وانما أباحت الدم بفعل المحظور كالزنى والقتل

(١) يحس او يجس مخرج بالهامش وعليه علامة الصحة

والحرابة والذي انتهى اليه التحقيق فى ذلك المتفق عليه ما اوردناه فى مسائل الخلاف . لبابه يتحصل في ثلاثة مسالك المسلك الاول منع الوضوء والصوم وارتكاب اباحة دم من تركها متعمدا فاما الحج فهو على غير الفور عند قوم فلا يتحقق فيه الترك المتفق عليه واما الزكاة فمقصودها الاوكد هو اخذ المال ممكن وتبقى النية وهو الركن الثاني فليس يمتنع فى الشريعة استقلال الامر باحد ركنيه وقد بيناه في مسائل الخلاف فلا نطول فى هذه الاشارة المسلك الثانى انا نقول لهم قد اتفقنا على قتله فلم يقتل بالسوط وقلنا يقتل بالحديد والحقوق تستخرج بالحديد كما تستخرج بالسوط الا ترى انا نستخرج حق الله في الاسلام من المرتد بالحديد . المسلك الثالث ان قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وهذا وان لم يفد حقيقة الكفر فليفد جزاء الكفر ليلا يبقى اللفظ عاريا عن احدى فائدتيه وهى الحقيقة والمجاز فان قيل فكيف تقول فى الامثلة التى استشهدتم بها وهى قوله فى النساء وفى العبد الابق . قلنا ليس هنالك حق يستخرج بالفعل المؤدي الى تلف النفس بخلاف مسالتنا فانا اتفقنا على انه يستخرج منه هذا

الحق وان ادى إلى تلف نفسه واراقة دمه وان اختلفنا فى صفة ذلك ❀ درجة ❀ فاما تخصيص التارك متعمدا بدليل على وجوب القضا وقد قدر الله تعالى انه لا بد من النظر في ذلك مع هذه الطائفة الركيكة فنأخذ ذلك من وجوه . أحدها انا نقول ان الامة لم تزل من السلف الاول على وجوب قضا الصلاة على المتعمد فلا يراعى ما طرأ في هذه الاوقات الاخيرة التي طرأت فيها البدع المضلة وقد كان أهل البدع لا يتحدثون بمثل هذه الطائفة حتى اجراها الشيطان بقضاء الله وقدره على لسان من اجراها لتكون زيادة في الاضلال . ولو راعينا كل خلاف يطرا لما استقر الدين على قاعدة . الثاني ان داود واصحابه الذين احدثوا بدعته لا يختلفون فى قضا المتعمد لترك الصلاة وذلك منصوص في كتبهم فانظروها هنالك . الثالث ان من الثابت انعقاد الاجماع على انه من ثبت فى ذمته شيء لا بد أن يخرج عنه ومن تعينت عليه عهدة لا غنى من ان يتفصى عنها . وهذا متعمد قد لزمته الصلاة وثبت فى ذمته فلا يخرجه عنه الا اداؤها على حكم كل حق ثبت في الذمة . فان قيل حق موقت أو مربوط بوقت فقد سبق الجواب . على

انه تبطل بالصوم فانه مربوط بوقت ويقضى تاركه متعمدا وربط الصوم بوقته أعظم من ربط الصلاة بوقتها فان قيل قد زال وقت الاداء فلا يجب القضا الا بامر ثان قلنا ليس لاخرها حد الا فعلها. جواب آخر . انا نقول اذا توجه الامر بالفرض لم ينبج المكلف من ذلك الا فعله كان ذلك مذكورا فى وقت اومطلقا ولا نقول ان الاداء والقضاء شيء ان الاداء هو القضا والقضا هو الاذا شرعا وعربية. وانما ذكر الفرق بينهما المتاخرون من اصحابنا اصطلاحا وهذه الالفاظ التي اصطلح عليها العلماء اخرا لما احتاجوا اليه من البيان لايجوز بناء الاحكام الشرعية عليها وانما تبنى الاحكام الشرعية على قول الله وقول الرسول أو العربية التى نزل القرءان بها وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانها. الرابع . انا نتعلق بظواهر الاحاديث التي يزعم الجاهلون القائلون بذلك انها لهم وهى ستة احاديث الحديث الاول قوله من نام عن صلاة او نسيها فليصلها إذا ذكرها لا وقت لها الا ذلك فاخبر النبي ان من نام عن صلاة او نسيها أو تركها انه يصليها متى ذكرها والنسيان فى العربية قسمان احدهما ذهول والاخر تعمد وذلك اشهر من ان يدل عليه فبين

النبي صلى الله عليه وسلم انها متى تركت بغير عقل كالنوم او بعقل
كالذهول والعمد انه يجب قضاؤها الا ترى انه لم يقل من سهى وذكر من
نسى ليستوفي البيان صلى الله عليه وسلم وقال اذا ذكرها فالذاهل
يذكر بعد ذلك فيلزمه وقت الذكر والمتعمد ذاكر ابدا فيلزمه
أبدا وهى مرتبة على الذكر فمن وجد منه الذكر لزمته حتى يفعل
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقولن احد لم نسيت ءاية كذا بل هو
نسى وذلك لقوله اتتك ءاياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى .
الحديث الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له رجل
او امراة ان فريضة الله في الحج ادركت ابى وامى وانه لا
يستطيع ان يحج افأحج عنه قال ارايت لو كان على ابيك او امك
دين اتقضيه قال او قالت نعم قال فدين الله احق ان يقضى فبين
ان كل حق لله في ذمة العبد لا يخرجه عنه الا فعله فان عادوا إلى
ذكر الوقت قلنا لهم قد بينا فساده الحديث الثالث قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر حتى
غابت الشمس ملأ الله قلوبهم وقبورهم نارا ثم قضاها بعد غروب
الشمس ولم يكن تركها سهوا وانما كانت اشتغالا بالحرب والتدبير

لها والاحتراس من غرة المشركين . الحديث الرابع روى فى الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى الخندق لاصحابه سيروا إلى قريضة ولا يصلين احد منكم الا فيها فساروا ففاتتهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلى حتى نبلغها وقال بعضهم لم يرد رسول الله هذا منا وصلوا فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفتين التى صلت والتى أخرت الصلوة عن وقتها متعمدة وقضت ولو كانت مقصورة الوجوب على الوقت لا فعل لها الا فيه لبين لهم ذلك واعلمهم ان ما أتوا به بعد خروج الوقت تكلف . الحديث الخامس قوله صلى الله عليه وسلم فما ثبت وصح انه سيكون بعدي امراء يؤخرون الصلوة عن وقتها قال فنصليها معهم قال نعم ولم يقل إن الصلوة لا تفعل (١) فى وقت مخصوص . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو الحديث السادس ليس التفريط في النوم إنما التفريط على من لم يصل الصلوة حتى دخل وقت الاخرى وهذا نص فى ان المفرط حتى يخرج الوقت يصلى ولكنه يكون مفرطا وهذا القدر كاف لكم في المسئلة . والذي

(١) لعل الا سقطت والاصل الا في وقت

إراه الانسكام قائل هذا الا بالاستتابة أو القتل لمخالفة اجماع الامة والله أعلم ❀ مسئلة ❀ ومن اعظم ما جاء من التخليط قول ابن حزم والقرآن كلام الله تعالى وهو علمه ويعبر بالقرآن ، بكلام الله عن خمس مسميات يعبر بذلك عن علم الله ومن المسموع في المحاريب، قال الله حتى يسمع كلام الله ، ومن المحفوظ في الصدور ، قال الله تعالى بل هو ءايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم . ومن المكتوب في الصحف ، قال الله تعالى بل هو قرءان مجيد فى لوح محفوظ ، وقال فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة ونهى عليه السلام عن ان يسافر بالقرءان إلى ارض العدو ، ومن المعانى المفهومة من التلاوة . و كل هذه الاربعة إذا أفردت وعبر عنها بالصوت والخط حاشى لله فكل ذلك مخلوق . واذا عبر عن علم الله فهو غير مخلوق ، فكل ما وقع من ذكر فرعون والكفار والسموت والارض فى القرءان فكل ذلك مخلوق ، واذا أطلق جملة فهو غير مخلوق قال الله تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا . وهذا يدل على انه غير مخلوق وقال ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فصح يقينا انه أراد

علمه السابق فعلمه هو كلامه وهو غير مخلوق وقال وتمت كلمة ربك وقال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فدل على ان ثم غير الذي لا ينفد والذي ثم هو ترتيبه لمقادير ما خلق . وقول الله غير كلام الله والبرهان ان التكليم فضيلة قال الله تعالى منهم من كلم الله والقول رذيلة قال الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه ما لهذا مثلا الا ما قال الشاعر

وخلا الغبي بها يضلل نفسه ❀ كفرا كفعل الاحمق المتهوج

عبثا يرد مقاله بمقاله ❀ فعل الجهول على الطريق الاعوج

هذا الكلام من تخليطه . قوله كلام الله هو علمه لا عقل ولا شرع من اين أخذ هذا أدلة العقول تنفيه ، والشرع لم يرد به ثم قال يعبر بكلام الله عن خمس مسميات عن علم الله وعن المسموع في المحاريب (١) والمسموع فى السفر والمسموع في الكتب إذا تلي القرءان هنالك أحد كلام من يكون ثم قال وعلى المحفوظ فى الصدور قال لقوله بل هو ءايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم ولا يصح

(١) خ زيادة والمسموع في الدور

ان يكون ذات القرءان الذي هو كلام الله انه ثم قال في صدور الذين اوتوا العلم فان حفظه من لم يقرا العلم كالصبي الصغير والعجوز والاعرابي المتقدم هل هو محفوظ في صدره ام لا والله لم يقل الا في صدور الذين اوتوا العلم فلا يرد عليه ولا يجعل الخصوص عموما فانه تحويل محض بالطريقة وخروج عن الظاهر به ثم قال وعن المكتوب في المصحف لقوله في لوح محفوظ واللوح المحفوظ هو عند الله وليس بمصحف وقال تعالى فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعني ما بايدي الملائكة فالذي يقتضيه القرءان انه في صحف الملائكة فاما في صحف بني ءادم أو الواحهم فيفتقر فيه الى دليل نص فان قال واي فرق بينهم هذا مثل ذلك قلنا هذا قياس والحاق وتقدير وتشبيه وتنظير واين اصالك في انه لا شيء الا قول الله وقول الرسول واما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يسافر بالقرءان الى الارض العدو فمتى كان ذلك الوقت مصحف يسافر به وقد كتب هو صلى الله عليه وسلم بالقرءان إلى الروم وهم انجاس واذا كان في صدور الرجال وحملوا الى ارض العدو فكيف هذا ولا يحمل

المصحف والرجال المومنون اعظم حرمة وقد قال بعض الناس لا يغزوا العلماء قال ويعبر بالقرءان عن المعاني المفهومة من التلاوة ومن قال له هذا واين وجده في كتاب الله او في سنة رسول الله وانا (١) له ان الآيات يراد بها المعاني ولعل يراد بها الالفاظ ثم قال و كل هذا اذا عبر به عن غير الله مخلوق واذا عبر به عن الله غير مخاوق فكيف تكون الحروف التي يكتب بها الله ويعبر بها عنه غير مخلوقة فاذا عبر بها عن غيره تكون مخلوقة وكلاهما موجود عن عدم وهذا الكلام ينفيه العقل والشرع ولا يرضى ان يتكلم به معتوه وترته ان كلمات الله قد تمت بمعنى مقاديره وكلماته التي لا تنفد غير مخلوقاته سخافة وكلمات الله على حقيقة واحدة تعالى ان يكون شيئا منها مخلوقا او من صفاته تعالى او من اسمائه الحسنى . ثم قال وقول الله غير كلام الله وهذه سخافة قالتها المعتزلة ولكن بطريقة معلومة من العربية سلكوها ومن البدع ذكروها معقولة يصح ان تسمع فيرد عليها . واما هذا الذي قال ان كلام الله فضيله وقوله رذيلة فهذا خذلان لا ينتهي اليه

---

(١) هي انى

جبلة النسوان يا لك من جعل برحض خلالك اتجب فدحرج وارحض . ولفها من قذر وحيض . ❀ مسئلة ❀ عربية وهي ان الله سبحانه قال والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة فاوجب الكفارة بالعود بعد الظهار فقال الياس داوود ان معنى ذلك يظاهر مرة اخرى بلسانه ولم يحتشم من العربية ولا من الله ولا من رسوله ولا من الناس وانا اكلمه لكم ظاهريا حتى ابرزه لكم بررا من المعرفة عريا . قال الله والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فننزل معه منزلة فنقول اخبرني ياداود كيف الظهار الذي اخبر الله عنه هل هو قول بالجنان ام قول باللسان وجئني بنص نصا من النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح اوسقيم ولن تجد ذلك ابدا واخبرني ياداوود عن صفة ترتيبه في الاعتقاد وفي نظم الحروف عن النبي صلى الله عليه وسلم او عن احد من الصحابة وهذه مسئلة قد استرحنا معك فيها فانها ليست باجماع فاذا عين او قال ماقال قيل له ومن اين تقول ذلك وانت لا تتكلم الا بنص ولا سبيل ابدا ان تتكلم بحرف مما نقوله الا وفيه من الله قول او رسوله فان زاد على قول الله او

قول رسوله حرفا فزد انت حرفين ❀ منزلة اخرى ❀ انا نقول لك في الظهار انه قول الرجل لزوجته في تشبيه ظهرها بظهر امه هل هو قول محدد او اي قول كان باي صيغة ظهر منه وورد فان قال هو مثل قوله انت علي كظهر امي (١) او تقول ظهرك علي كأمي وهذا هو صريح القرآن فيلزمه الا يجعل الظهار شيئا غير هذا ولو قال انه ظهرك علي كظهر امي كان اميل الى قرب القرآن وينبغي ان يقال له انه اذا قال ظهرك فمن حرم عليه بطنها او سائر اعضائها وهو يقول لو طلق يدها لم تطلق وان قال تطلق وقع في اشد من ذلك واطم وطولب بالدليل فان رام ان يتعلق بالاجماع لم يجده الا من الفقهاء ولا قدر لهم عنده وانما الاجماع الذي يرى اجماع الصحابة ويجب ان تعلموا ان البخاري ومسلما لم يدخلا في الظهار حرفا واحدا من الحديث اما الائمة ادخلوا منها جملة فذكر ابو داود والطبري حديث خولة قالت ظاهر مني

---

(١) وانت ظهر امي دون او بطنك علي كظهر امي او فرجك او جملتك كظهر امي او يسقط الظهر من امه ويجعله في الزوجة . هذا كله كما هو مخرج بالهامش على انه من الاصل وعليه علامة الصحة

زوجي وذكرت نزول القرءان وروى الترميذي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقد ظاهر من امرأته وروى ابو داود ان رجلا جعل امرأته كظهر امه وهذا أقرب الالفاظ الى التقصين (١) فانه لم يذكر احد منهم لفظله ولكن ظاهر هذا يقتضي ان يقول امرأتي كظهر امي فينبغي ان يقتصر ياداود عليه ولئن فعلت ذلك لنقولن لك هل جعلها بقوله او باعتقاده ذلك فيها فان قيل ومن اين علمت ذلك قلنا قال لها اعتقدت فيك الا اعلوك كما لا اعلو أمي او قال لها فرجك كفرج أمي ❁ منزلة اخرى ❁ ثبت عن الترمذي وغيره ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل ان اكفر قال وما حملك على ذلك يرحمك الله قال رأيت خلخالها في ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما امرك الله به فاعلمه ببقاء كفارة الظهار عليه وانما كان قد وطئ وبقي النظر في العود الذي احال عليه رسول صلى الله عليه وسلم ولم يتثبته فيرجع اليه فيقول ان الله سبحانه قال ثم يعودون لما قالوا وانت لم يتبين لك بعد قولهم الذي

(١) كذا بالاصل ولعله التفسير

يرتبط به الحكم فترى ان يكون العود اليه هل هو قول القلب ام قول اللسان وما صفـة ذلك القول ارايت ان قاله ثم نسيه وانت قد عينته وان قلت اخذ بالعموم فيه فكل قول يكون ذلك فيه اقول به مهمى كان فيه ذكر الظهر . قلنا له و يكون فيه ذكر الظهر فيهما جميعا او الزوجة وحدها او في الام وحدها ❁ منزلة اخرى ❁ يقال له ارايت ان لم يعد بما قال ولا كلم الزوجة فليس له ما يقول مما فيه اثر عن النبي صلى عليه الله عليه وسلم وانظروا رحمكم الله الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي وقع على امرأته المظاهر منها قبل ان يكفر لا تقربها حتى تفعل ما امر الله به وقال للاخر الذي وقع على امرأته قبل ان يكفر اعتق رقبة او اطعم ولم يقل له عد لما قلت لانه قد رآه عاد لما قال ومعنى الآية قدمناه في الاحكام و ❁ تحقيقه ❁ انه قال ثم يعودون لما قالوا انهم لا يعودون اليه لانه لو قال انت علي كظهر امي قد قال انه لا يطأها فلما عاد الى الوطئ لزمته الكفارة او الى التمسك بالزوجية والى الغرم (١) على ما بيناه هنالك والله اعلم . اي وهكذا فخذ مسائلهم تجدها كما قلناه بتوفيق

---

(١) كذا بالاصل ولعله العزم

الله ويحل من ذلك كله المعنى المطلوب وهو تنزيل الشريعة منازلها وتوفيتها مقاديرها وعصمها بعواصم من مطالبها واعدائها حتى قام عمود الدين على اسه . واطرد نظره على رسه . وتسق بنيانه برصه . ورأى الطالب الاعظم ان مداخل الالحاد لا تجد فمدد لها بعد ذلك سبلا من الباطل سالك فيها اثما وتوصل اليها عصبا . وجرى اليها خلفا كثيرا ﴿اصلها﴾ بعد ان استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وسلم وقد اكمل له ولنا دينه واتم عليه وعلينا نعمته كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وما من شيء في الدنيا يكمل الا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة وذلك العمل الصالح والدار الآخرة فهي دار الله الكاملة . قال انس ما نفضنا ايدينا من تراب قبر رسول صلى الله عليه وسلم حتى انكرنا نفوسنا واضطربت الحال ثم تدارك الله الاسلام ببيعة ابي بكر . فكان موت النبي صلى الله وسلم قاصمة الظهر ، ومصيبة العمر فاما علي فاستخفى في بيته مع فاطمة واما عثمان فسكت واما عمر فاهجر وقال ما مات رسول صلى الله عليه وسلم وانما وعده كما وعد موسى وليرجعن رسول فليقطعن ايدي ناس

وارجلهم وتعلق بال العباس وعلي بامر انفسهما في مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال العباس لعلي اني ارى الموت في وجوه بني عبد المطلب فتعال حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا علمناه وتعلق بال العباس وعلي بميراثهما فيما تركه النبي من فدك وبني النظير وخيبر واضطرب امر الانصار يطلبون الامر لانفسهم او الشركة فيه مع المهاجرين وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع اسامة ابن زيد بالجرف ❁ عاصمة ❁ فتدارك الله الاسلام والانام وانجابت انجياب الغمام ونفذ وعد الله باستيثار رسول الله واقامة دينه على التمام وان كان قد اصاب ما اصاب من الرزية الاسلام — (١) بابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان اذا مات النبي غائبا في ماله بالسنح فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها وفيه مات النبي صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه واكب عليه يقبله وقال بابي وامي يارسول الله طبت حيا وميتا والله لايجمع الله عليك الموتتين اما الموتة التي كتب الله عليك قدمتها ثم خرج الى المسجد والناس فيه وعمر ياتى بهجر

(١) يتعلق بتدارك

من القول كما قدمنا فرقي المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم قرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين . فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كانها لم تنزل الا ذلك اليوم واجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون ولا يدرون ما يفعلون ، فقالوا (١) نرسل اليهم ياتوننا فقال أبو بكر بل نمشي اليهم فسار اليهم المهاجرون منهم ابوبكر وعمر وأبو عبيدة فتراجعوا الكلام فقال بعض الانصار منا امير ومنكم أمير فقال ابو بكر كلاما كثيرا مصيبا يكثر ويصيب . منه نحن الامراء وانتم الوزراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأئمة من قريش وقال اوصيكم بالانصار خيرا ان تقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ان الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين وقد امركم ان تكونوا معنا حيث ما كنا فقال يايها الذين ءامنوا

---

(١) اي المهاجرون

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى غير ذلك من الاقوال المصيبة
والادلة القوية فتذكرت الانصار ذلك وانقادت اليه وبايعوا ابا
بكر الصديق رضى الله عنه وقال ابوبكر لاسامة انفذ لامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر كيف ترسل هذا
الجيش والعرب قد اضطربت عليك فقال لو لعبت الكلاب
بخلاخيل نساء اهل المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال له عمر وغيره اذا منعتك العرب الزكاة فاصبر
عليهم فقال والله لو منعوني عقالا كانوا يودونه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه والله لاقاتلن من فرق بين
الزكوة والصلوة قيل ومع من تقاتلهم قال وحدى حتى تنفرد
سالفتي وقدم الامراء على الاجناد والعمال في البلاد مختارا لهم
مرتبا (١) فيهم فكان ذلك من اشد عمل وافضل مقدمة للاسلام
وقال لفاطمة وعلي والعباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا نورث من تركنا صدقة فذكر الصحابة ذلك وقال سمعته
يقول لا يدفن نبي الا حيث يموت وهو في ذلك كله رابط

(١) هذا اقرب ما ظهر

الجأش ثابت العلم والقدم في الدين ثم استخلف عمر فظهرت بركة الاسلام ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين ثم جعلها عمر شورى فاخرج عبد الرحمان بن عوف نفسه من الامر حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم فقدم عثمان فكان عند الظن به ما خالف له عهدا ، ولا نكث عقدا ، ولا اقتحم مكروها ، ولا خالف سنة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بان عمر شهيد وبان عثمان شهيد وبان له الجنة على بلوى تصيبه وهو وزوجه رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اول مهاجر بعد ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم . دخل به في باب اول من . وهو عالم كبير جمع الناس. ولما صحت امامته قتل مظلوما ، ليقضي الله امرا كان مفعولا ، ما نصب حربا ، ولا جيش عسكرا ، ولا سعى الى فتنة ، ولا دعا الى بيعة ، ولا حاربه ولا نازعه من هو من اضرابه ، ولا اشكاله ، ولا يرجوها لنفسه . ولا خلاف انه ليس لاحد ان يفعل ذلك في غير عثمان فكيف في عثمان رضي الله عنه وقد سموا من قام عليه فوجدناهم اهل اغراض سوء حيل بينهم وبينها . فوعظوا وزجروا واقاموا عند عبد الرحمان بن خالد بن الوليد وتوعدهم حتى تابوا وارسل

بهم الى عثمان فتابوا وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد فارسلهم فلما سار كل الى ما اختار انشئوا الفتنة ، والفوا الجماعة ، وجاءوا اليه في جملتهم (١) فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم وذكرهم وورعهم عن دمه وخرج طلحة يبكي ويورع الناس وارسل علي ولديه ، وقال الناس لهم انكم ارسلتم الينا اقبلوا الى من غير سنة الله فلما جئنا قعد هذا في بيته يعنون عليا وخرجت انت تفيض عينيك والله لا برحنا حتى نريق دمه وهذا قهر عظيم ، وافتيات على الصحابة وكذب في وجوههم بهت لهم ولو اراد عثمان لكان مستنصرا الصحابة ولنصروه في لحظة وانما جاء القوم مستجيرين متظلمين ذو عظهم فاستشاطوا فاراد الصحابة اليهم فاوعز اليهم عثمان الا يقاتل احد بسببه ابدا فاستسلم واسلموه برضاه . وهي مسئلة من الفقه كبيرة هل يجوز للرجل ان يستسلم ام يجب عليه ان يدافع عن نفسه . واذا استسلم وحرم على احد ان يدافع عنه بالقتل هل يجوز لغيره ان يدافع عنه ولا يلتفت الى رضاه . اختلف العلماء فيها . فلم يات عثمان منكرا لا في اول الامر ولا في آخره

(١) او حملتهم

ولا جاء الصحابة بمنكر . وكلما سمعت من خبر باطل اياك ان
تلتفت اليه ❀ قاصمة ❀ قالوا مبعدين متعلقين برواية كذابين جاء
عثمان في ولايته بمظالم ومناكير منها ضربه لعمار حتى فتق
امعاءه ، ولابن مسعود حتى كسر اضلاعه ، ومنعه عطاءه وابتدع
في جمع القرءان وتأليفه وفي حرق المصاحف وحمى الحمى
واجلى اباذر الى الربذة ،واخرج الى الشام ابا الدرداء ، ورد الحكم
بعد ان نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابطل سنة القصر في
الصلوات في السفر ، وولي معاوية ومروان ممن لم يكن من
اهل الولاية ، واعطا مروان خمس افريقية ، وكان عمر يضرب
بالدرة وضرب هو بالعصا ، وكتب مع عبده على جمله كتابا الى
ابن ابي سرح في قتل من ذكر فيه ، وعلا على درجة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد انحط عنها ابوبكر وعمر ، ولم يحضر بدرا ،
وانهزم يوم حنين ، وفر يوم احد ، وغاب عن بيعة الرضوان ، وولي
الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من اهل الولاية ، ولم يقتل عبيد
الله بن عمر بالهرمزان الذي اعطا السكين لابي لولوة وحرضه على
عمر حتى قتله ❀ عاصمة ❀ هذا كله باطل سندا ومتنا اما قولهم

جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطل . واما ضربه لعمار وابن مسعود
ومنعه عطاءه فزور وضربه لعمار افك مثله ولو فتق امعاءه ما عاش
ابدا وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي ان يشتغل بها
لانها مبنية على باطل ولا يبنى حق على باطل ولا يذهب الزمان في
مماشاة الجهال فان ذلك لا ءاخر له . واما جمع القرءان فتلك
حسنته العظمى وخصلته الكبرى وان كان وجدها كاملة ولكنه
اظهرها ورد الناس اليها وحسم مادة الخلاف فيها وكان نفوذ وعد
الله بحفظ القرءان على يديه حسبما بيناه في كتب القرءان وغيرها .
روى الائمة باجمعهم ان زيد بن ثابت قال ارسل الي ابوبكر
بقتل اهل اليمامة فاذ عمر بن الخطاب عنده فقال ابوبكر ان عمر
اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرءان واني اخشى
ان يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرءان واني
ارى ان تامر بجمع القرءان قلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى
شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد
قال ابوبكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب

الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امروني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فامر زيد ابن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمان بن الحرث ابن هشام

فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرءان فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القرءان في كل صحيفة ومصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال فقدت ءاية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة ابن ثابت الانصاري من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف واما ما روى انه حرقها او خرقها بالحاء المهملة او الخاء المعجمة وكلاهما جائز اذا كان في بقائها فساد او كان فيها ما ليس من القرءان او ما نسخ منه او على غير نظمه وقد سلم في ذلك الصحابه كلهم الا انه روي عن ابن مسعود انه خطب بالكوفة فقال اما بعد فان الله قال ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة واني غال مصحفي فمن استطاع منكم ان يغل مصحفه فليفعل واراد ابن مسعود ان يوخذ

بمصحفه وان يثبت ما يعلم فيه فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال
فاكرهه عثمان على رفع مصحفه ومحا رسومه فلم يثبت له قراءة ابدا
ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الارض . واما نفيه اباذر الى الربذة
فلم يفعل. كان ابوذر زاهدا وكان يقرع عمال عثمان ويتلو عليهم
والذين يكنزون الذهب والفضة ويراهم يتسعون فى المراكب
والملابس حين وجدوا فينكر ذلك عليهم ويريد تفريق جميع ذلك من
بين أيديهم وهو غير لازم قال ابن عمر وغيره من الصحابة ان ما
اديت زكاته فليس بكنز فوقع بين ابى ذر ومعاوية كلام بالشام
فخرج الى المدينة فاجتمع اليه الناس فجعل يسلك تلك الطريق
فقال له عثمان لو اعتزلت معناه انك على مذهب لا يصلح لمخالطة
الناس فان للخالطة شروطا وللعزلة مثلها ومن كان على طريق ابى
ذر فحاله يقتضي ان ينفرد بنفسه او يخالط ويسلم لكل احد حاله مما
ليس بحرام فى الشريعة فخرج الى الربذة زاهدا فاضلا وترك جلة
فضلاء . وكل على خير وبركة وفضل . وحال ابى ذر افضل ولا
تمكن لجميع الخلق فلو كانوا عليها لهلكوا فسبحان مرتب المنازل .
ومن العجب ان يوخذ عليه فى امر فعله عمر . قد روى ان عمر بن

الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فاطلقهم عثمان وكان سجنهم لان القوم اكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله وسلم ووقع بين ابى ذر ومعاوية كلام وكان ابو ذر يطلق من الكلام بما لم يكن يقوله فى زمان عمر فاعلم معاوية بذلك عثمان وخشى من العامة ان تثور منهم فتنة فان ابا ذر كان يحملهم على التزهد وامور لايحتملها الناس كلهم وانما هى مخصوصة ببعضهم فكتب اليه عثمان كما قدمنا ان تقدم المدينة فلما قدم اجتمع اليه الناس فقال لعثمان اريد الربذة فقال له افعل فاعتزل ولم يكن يصلح له الا ذلك لطريقته . ووقع بين ابى الدرداء ومعاوية كلام وكان ابو الدرداء زاهدا فاضلا قاضيا لهم فلما اشتد فى الحق واخرج طريقة عمر فى قوم لم يحتملوها عزلوه فخرج الى المدينة وهذه كلها مصالح لا تقدح فى الدين ولا تؤثر في منزلة احد من المسلمين بحال . وابو الدرداء وابو ذر برءاء من عاب وعثمان بريء اعظم براءة واكثر نزاهة ، فمن روى انه نفي وروى سببا فهو كله باطل . واما رد الحكم فلم يصح وقال علماؤنا فى جوابه قد كان اذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال لابي بكر وعمر فقالا له ان كان معك شهيد رددناه فلما ولي قضا بعلمه في رده وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان اباه ولا لينقض حكمه . واما ترك القصر فاجتهاد اذ سمع ان الناس افتتنوا (١) بالقصر وفعلوا ذلك في منازلهم فرأى ان السنة ربما ادت الى اسقاط الفريضة فتركها خوف الذريعة مع ان جماعة من العلماء قالوا ان المسافر مخير بين القصر والاتمام واختلف في ذلك الصحابة واما معاوية فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها واقره عثمان بل انما ولاه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لانه ولى اخاه يزيد واستخلفه يزيد فاقره عمر لتعلقه بولاية ابي بكر لاجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر واقره فانظروا الى هذه السلسلة ما اوثق عراها واقدر (٢) ولن يأتي احد مثلها ابدا بعدها . واما عبد الله بن ابي كريز فولاه كما قال لانه كريم العمات والخالات واما تولية الوليد بن عقبة فان الناس على فساد النيات اسرعوا الى السيئات قبل الحسنات فذكر الاسفرائيون انه انما ولاه للمعنى الذي تكلم به قال عثمان ماوليت الوليد لانه

---

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) قدر هذا البياض بالاصل

اخي وانا وليته لانه ابن ام حكيم البيضا عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوءمة ابيه وسياتى بيانه ان شاء الله والولاية اجتهاد قد عزل عمر سعيد بن ابي وقاص وقدم اقل منه درجة . واما اعطاؤه خمس افريقية لواحد فلم يصح على انه قد ذهب مالك وجماعة الى ان الامام يرى رأيه في الخمس وينفذ فيه ما اداه اليه اجتهاده واما اعطاه لواحد جائز وقد بينا ذلك فى مواضعه واما قولهم انه ضرب بالعصا فما سمعته ممن اطاع ولا عصا وانما هو باطل يحكى وزور يثنى فبالله وللنهى . واما علوه على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما سمعته ممن فيه تقية وانما هى اشاعة منكر ، ليروى ويذكر ، فيتغير قلب من يتغير . قال علماؤنا ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه ولا يخلو ان يكون ذلك حقا فلم ينكره الصحابة عليه اذ رأت جوازه ابتداء او لسبب اقتضى ذلك وان كان لم يكن فقد انقطع الكلام . واما انهزامه يوم حنين وفراره يوم أحد ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم في شأن البيعة وبدر وأحد واما يوم حنين فلم يبق الا نفر يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يجر فى

الامر تفسير من بقي ممن مضى في الصحيح وانما هي اقوال منها انه ما بقي معه الا العباس وابناه عبد الله وقثم فناهيك بهذا الاختلاف وهو امر قد اشترك فيه الصحابة وقد عفا الله عنه ورسوله فلا يحل ذكر ما اسقطه الله ورسوله والمومنون خرج البخاري جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر محاسن عمله فقال لعل ذلك يسوؤك قال نعم قال فارغم الله انفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال هو ذلك بيته اوسط بيوت النبي ثم قال لعل ذلك يسوؤك قال اجل قال فارغم الله انفك فانطلق فاجهد على جهدك . وقد تقدم في حديث بني الاسلام على خمس زيادة فيه للبخاري في علي وعثمان وقد اخرج البخاري ايضا من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال جاء رجل من اهل مصر يريد حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم فقالوا هؤلاء قريش قال فمن الشيخ فيهم قالو عبد الله بن عمر قال يا بن عمر اني سائلك عن شيء فحدثني هل تعلم ان عثمان فر يوم احد قال نعم قال تعلم انه تغيب عن بدر ولم يشهد قال نعم قال تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله اكبر . قال ابن عمر تعال ابين لك اما

فراره يوم احد فاشهد ان الله قد عفا عنه ، واما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد اعز ببطن مكة من عثمان لبعثه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده وقال هذه لعثمان ثم قال ابن عمر اذهب بها الآن معك . واما امر الحمى فكان قديما فيقال ان عثمان زاد فيه لما زادت الراعية . واذا جاز اصله للحاجة اليه جازت الزيادة فيه از يادة الحاجة . واما امتناعه من قتل عبيد الله بن عمر ابن الخطاب بالهرمزان فان ذلك باطل فان كان لم يفعل فالصحابة متوافرون والامر في اوله وقد قيل ان الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد . ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله وايضا فان احدا لم يقم بطلبه . وكيف يصح مع هذه الاحتمالات كلها ان ينظر في امر لم يصح . واما قوله

القائل في مروان والوليد فشديد عليهم وحكمهم عليهم بالفسق فسق منهم . مروان رجل عدل من كبار الامة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين اما الصحابة فان سهل ابن سعد الساعدي روى عنه واما التابعون فاصحابه فى السن وان حارهم (١) باسم الصحبة في احد القولين . واما فقهاء الامصار فكلهم على تعظيمه واعتبار خلافته والتلفت الى فتواه والانقياد الى روايته . واما السفهاء من المؤرخين والادبا فيقولون على اقدارهم . واما الوليد فقد روى بعض المفسرين ان الله سماه فاسقا في قوله ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فانها في قولهم نزلت فيه ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق فاخبر عنهم انهم ارتدوا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم خالد بن الوليد فتثبت فى أمرهم فبين بطلان قوله وقد اختلف فيها فقيل نزلت فى ذلك وقيل فى علي والوليد فى قصة اخرى وقيل ان الوليد سبق يوم الفتح فى جملة الصبيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رءوسهم وبرك عليهم الا هو فقال انه كان على رأسي خلوق فامتنع من مسه

---

(١) كذا بالاصل ولعله جازهم

فن يكون في هذا السن يرسل مصدقا . وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الاحاديث القوية وكيف يفسق رجل بمثل هذا الكلام فكيف رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واما حده في الخمر فقد حد عمر قدامة بن مضعون على الخمر وهو امير وعزله ثم قيل له صالحه وليست الذنوب مسقطة للعدالة اذا وقعت منها التوبة وقد قيل لعثمان انك وليت الوليد لانه اخوك لامك اروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال بل لانه ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حكيم البيضا جدة عثمان وجدة الوليد لامهما اروى المذكورة ام حكيم توأمة عبد الله ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأي حرج على المرء ان يولي اخاه او قريبه . واما تعلقهم بان الكتاب وجد مع راكب او مع غلامه ولم يقل احد قط انه كان غلامه الى عبد الله بن سعد ابن ابي سرح يامره بقتل حامليه فقد قال لهم عثمان اما ان تقيموا شاهدين على ذلك والا فيميني اني ما كتبت ولا امرت وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطه وينقش على خاتمه فقالوا تسلم لنا مروان فقال لا افعل ولو سلمه لكان ظالما

و نا عليهم ان يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه فما ثبت كان هو منفذه وآخذه والممكن لمن ياخذه بالحق . ومع سابقته وفضيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلا عن قتله . وامثل ما روى في قصته انه بالقضاء السابق تألب عليه قوم لاحقاد اعتقدوها ممن طلب امرا فلم يصل اليه وحسد حسادة اظهروها (١) وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين وايثار العاجلة على الآجلة واذا نظرت اليه دلك صريح ذكرهم على دناءة قلبهم وبطلان امرهم . كان الغافقي المصري امير القوم وكنانة ابن بشر التجيبي وسودان ابن حمران وعبد الله بن يزيد ابن ورقا الخزاعي وحكم ابن جبلة من اهل البصرة وملك بن الحرث الاشتر في طائفة هؤلاء رءوسهم فناهيك بغيرهم وقد كانوا اثاروا فتنة فاخرجهم عثمان بالاجتهاد وصاروا في جماعتهم عند معاوية فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الامة حتى قال له زيد ابن صوحان فيما يروى كم تكثر علينا بالامرة وبقريش فما زالت العرب تاكل من قوايم سيوفها وقريش تجار فقال له معاوية لا ام

---

(١) خ اظهر داءها

لك اذكرك بالاسلام وتذكرني بالجاهلية قبح الله من كثر على
امير المومنين بكم فما انتم ممن ينفع ولا يضر اخرجوا عني واخبره
ابن الكوا باهل الفتنة في كل بلد ومؤامرتهم فكتب الى
عثمان يخبره بذلك فارسل اليه باشخاصهم عليه فاخرجهم معاوية
فمروا بعبد الرحمان بن خالد بن الوليد فحبسهم ووبخهم وقال لهم
اذكروا ما كنتم تذكرون لمعاوية وحصرهم وامشاهم بين يديه اذلاء
حتى تابوا بعد حول وكتب الى عثمان بخبرهم وكتب اليه ان سرحهم
الي فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة وحلفوا على صدقهم وتبرءوا
مما نسب اليهم ... حيث يسيرون فاختار كل واحد ما اراد من
البلاد كوفة وبصرة ومصر فاخرجهم فما استقروا في جنب (١)
ما ساروا حتى ثاروا والبوا حتى انضاف اليهم جمع وساروا اليه على
اهل مصر عبد الرحمان بن عديس البلوى وعلى اهل البصرة حكيم
ابن جبلة وعلى اهل الكوفة الاشتر مالك بن الحارث النخعي
فدخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس وثلاثين فاستقبلهم عثمان
فقالوا ادع بالمصحف فدعا به فقالوا افتح التاسعة يعني يونس فقالوا

(١) هذا اقرب ما يظهر وفي خ حيث

اقرأ فقرأ حتى انتهى الى قوله آ الله اذن لكم ام على الله تفترون
قالوا له قف قالوا له ارأيت ما حميت من الحمى اذن الله لك ام على
الله افتريت قال امضه (١) انما نزلت في كذا وقد حمى عمر
وزادت الابل فزدت فجعلوا يتبعونه هكذا وهو ظاهر عليهم حتى
قال لهم ما ذا تريدون فاخذوا ميثاقه وكتبوا عليه ستا او خمسا
ان المنفي يعاب (٢) والمحروم يعطى ويوفر الفيء ويعدل في
القسم ويستعمل ذوو الامانة والقوة فكتبوا ذلك في كتاب واخذ
عليهم الا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة ثم رجعوا راضين وقيل ارسل
اليهم عليا فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين فبيناهم
كذلك اذا راكب يتعرض لهم ثم يفارقهم مرارا قالوا مالك قال انا
رسول امير المومنين الى عامله بمصر ففتشوه فاذاهم بالكتاب على
لسان عثمان عليه خاتمه الى عامل مصر ان يصلبهم ويقطع ايديهم
وارجلهم فاقبلوا حتى قدموا المدينة فاتوا عليا فقالوا له الم تر الى
عدو الله كتب فينا بكذا وقد احل الله دمه قالوا له فقم معنا اليه

---

(١) كذا بالاصل ولعله يريد امض حكم الكتاب (٢) كذا بالاصل ولعله يقلب
اي يرجع الى اهله

قال والله لا اقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال والله ما كتبت اليكم فنظر بعضهم الى بعض وخرج علي من المدينة فانطلقوا الى عثمان فقالوا له كتبت فينا كذا قال لهم اما ان تقيموا اثنين من المسلمين او يميني كما تقدم ذكره فلم يقبلوا ذلك منه ونقضوا عهده وحصروه وقد روى ان عثمان جيء اليه بالاشتر فقال له يريد القوم منك اما ان تخلع نفسك اوتقص منها او يقتلوك فقال اما خلعي فلا اترك امة محمد بعضها على بعض واما القصاص فصاحباي قبلي لم يقصا من انفسهما ولايحتمل ذلك بدني وروى ان رجلا قال له نذرت دمك قال خذ جبتي نشرط فيها شرطة بالسيف اراق منه دمه ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف في الحين ولقد دخل عليه ابن عمر فقال انظر ما يقول هؤلاء يقولون اخلع نفسك او نقتلك قال له امخلد انت في الدنيا قال لا قال هل يزيدون على ان يقتلوك قال لا قال هل يملكون لك جنة او نارا قال لا قال فلا تخلع قميص الله عنك فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم خلعوه او قتلوه وقد اشرف عليهم عثمان واحتج عليهم بالحديث الصحيح في بنيان المسجد وحفر بئرر ومةوقول النبي

حين رجف بهم احد واقروا له به فى اشياء ذكرها . وقد ثبت ان عثمان اشرف عليهم وقال افيكم ابنا محدوج انشدكما الله الستما تعلمان ان عمر قال ان ربيعة فاجر او غادر واني والله لا اجعل فرائضهم وفرائض قوم جاؤوا من مسيرة شهر وانما مهر احدهم عند طبيبه (١) واني زدتهم (٢) في غزاه واحدة خمس مائة حتى الحقتهم بهم قالوا بلى قال اذكركما الله الستما تعلمان انكما اتيتماني فقلتما ان كندة اكلة رأس وان ربيعة هي الرأس وان الاشعث ابن قيس قد اكلهم فنزعته واستعملتكما قالا بلى قال اللهم انهما كفروا معروفي وبدلوا نعمتي فلا ترضهم عن امامهم . ولا ترض اماما عنهم . وقد روى عبد الله ابن عامر ابن ربيعة قا كنت مع عثمان في الدار فقال اعزم على كل من رأى ان عليه سمعا وطاعة الا كف يده وسلاحه ثم قال قم يابن عمر وعلي ابن عمر سيفه متقلدا فاجر (٣) بين الناس فخرج ابن عمر وعلي ودخلوا فقتلوه . وجاء زيد ابن ثابت فقال له ان هؤلاء الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله قال لاحاجة لي في ذلك كفوا . وقال له ابو هريرة

(١) و (٢) هذا اقرب ما يظهر في الموضعين (٣) هذا اقرب ما ظهر

اليوم طاب الضرب معك قال عزمت عليك لتخرجن وكان الحسن
ابن علي آخر من خرج من عنده فانه جاء الحسن والحسين وابن عمر
وابن الزبير ومروان فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم
ولزوم بيوتهم فقال له ابن الزبير ومروان نحن نعزم على انفسنا
لا نبرح ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه في اصح الاقوال فقتله
المرء الاسود وقيل اخذ ابن ابي بكر بلحيته وذبحه رومان وقيل
رجل من اهل مصر يقال له حمار فسقطت قطرة من دمه على المصحف
على قوله فسيكفيكهم فانها فيه ما حكت الى الآن . وروى
ان عائشة رضي الله عنها قالت غضبت لكم من السوط ولا اغضب
لعثمان من السيف استعتبموه حتى اذا تركتموه كالعبد المصفى
ومصتموه موص الاناء وتركتموه كالثوب المنقى من الدسن ثم
قتلتموه قال مسروق فقلت لها هذا عملك كتبت الى الناس تامريهم
بالخروج عليه فقالت عائشة رضي الله عنها والذي امن به المومنون
وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم سوادا في بياض قال الاعمش
فكانوا يرون انه كتب على لسانها وقد روى انه ما قتله احد الا
اعلاج من اهل مصر. قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه فهذا اشبه

ما روى في الباب . وبه يتبين — واصل المسئلة سلوك سبيل الحق — ان احدا من الصحابة لم يسع عليه ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب الف او اربعة آلاف غرباء عشرون (١) الفا بالمدينين او اكثر من ذلك ولكنه القى بيده الى المصيبة . وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها هل يلقي بيده او يستنصر . واجاز بعضهم ان يستسلم ويلقي بيده اقتداء بفعل عثمان وبتوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في الفتنة قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ولقد حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك يرى في الارض منكر واشتد الخطب على اهل الغضب (٢) وعظم على الفسقة الكرب فتألبوا وألبوا وثاروا الي فاستسلمت لامر الله وامرت كل من حولي الا يدفعوا عن داري وخرجت على السطوح بنفسي فعاثوا علي وأمسيت سليب الدار ولولا ما سبق من حسن المقدار . لكنت قتيل الدار وكان الذي حماني على ذلك ثلاثة امور احدها وصاية النبي صلى الله عليه وسلم المهدي (٣). والثاني الاقتداء بعثمان . الثالث سوء الاحدوثة

---

(١) الصواب عشرين (٢) او الغصب (٣) خ المتقدمة

التي فر منها رسول الله صلى الله عليه المؤيد بالوحي . فان من غاب عني بل من حضر من الحسدة معي خفت ان يقول ان الناس مشوا اليه مستغيثين له فاراق دماهم . وامر عثمان كله سنة ماضية ، وسيرة راضية ، فانه تحقق انه مقتول بخبر الصادق له بذلك وانه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وانه شهيد وروى انه قال له فى المنام ان شئت نصرناك او تفطر عندنا الليلة وقد انتدبت المردة والجهلة الى ان يقولوا ان كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبا مؤلبا ، وبما جرى عليه راضيا واخترعوا كتبا (١) فيها فصاحة وامثال كتب عثمان به مستصرخا الى على وذلك كله مصنوع ليوغر قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين . قال القاضي ابوبكر فالذي يحل من ذلك ان عثمان مظلوم محجوج بغير حجة ، وان الصحابة برءاء عن دمه باجمعهم لانهم اتوا ارادته ، وسلموا له رأيه في اسلام نفسه . ولقد ثبت زايدا الى ما تقدم عنهم ان عبد الله ابن الزبير قال لعثمان انا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله باقل منهم فاذن لنا فقال اذكر الله رجلا اراق لي دمه او قال دما

---

(١) نخ كتابا فيه وهى الظاهرة

قال سليط بن ابي سليط نهانا عثمان عن قتالهم فلو اذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من اقطارنا . وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة كنت مع عثمان في الدار فقال اعزم على كل من رأى ان لي عليه سمعا وطاعة الا كف يده وسلاحه فان افضلكم غناء من كف يده وسلاحه . وثبت ان الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار فقال عثمان اعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم اسلحتكم ولزمتم بيوتكم فلما قضى الله من امره ما قضا ، ومضى في قدره ما مضى ، علم ان الحق لا يترك الناس سدا ، وان الخلق بعده مفتقرون الى خليفة مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاث كالرابع قدرا وعلما وتقا ودينا فانعقدت له البيعة ولولا الاسراع بعقد البيعة لعلي لجرى على من بها من الاوباش مالا يرقع خرقه ولكن عزم عليه المهاجرون والانصار ورأى ذلك فرضا عليه فانقاد اليه . وعقد له البيعة طلحة فقال الناس بايع عليا يد شلاء . والله لا يتم هذا الامر . فان قيل بايعا (١) مكرهين قلنا حاشى لله ان يكرها لهما ولمن بايعهما

---

(١) الضمير عائد على طلحة والزبير وان لم يتقدم للزبير ذكر

ولو كانا مكرهين ما اثر ذلك لان واحدا او اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له وهو مكره على ذلك شرعا ولو لم يبايعا ما اثر ذلك فيهما ولا في بيعة الامام . واما من قال يد شلاء وامر لا يتم فذلك ظن من القائل ان طلحة اول من بايع ولم يكن كذلك فان قيل فقد قال طلحة بايعت واللج على قفي . قلنا اخترع هذا الحديث من اراد ان يجعل في القفا لغة قفي كما يجعل في الهوى هوى وتلك لغة هذيل لا قريش فكانت كذبة لم تدبر . واما قولهم يد شلاء لو صح فلا متعلق لهم فيه فان يدا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم لها كل امر ، ويتوقى بها من كل مكروه . وقد تم الامر على وجهه ، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه . وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه فان قيل بايعوه على ان يقتل قتلة عثمان . قلنا هذا لا يصح في شرط البيعة وانما يبايعونه على الحكم بالحق وهو ان يحضر الطالب للدم ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب وتقوم البينة ويقع الحكم فاما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق او فعل غير محقق ، او سماع كلام ، فليس ذلك في دين الاسلام .

قالت العثمانية تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن ابي وقاص ومحمد بن مسلمة وابن عمر واسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم . قلنا اما بيعته فلم يتخلف عنها واما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكرتم لانها كانت مسئلة اجتهادية . فاجتهد كل واحد واعمل نظره واصاب قدره . ❀ قاصمة ❀ روى قوم ان البيعة لما تمت لعلي استأذن طلحة والزبير عليا في الخروج الى مكة فقال لهما على لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسما الا يفعلا وكانت عائشة بمكة وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة الى مكة . ويعلي ابن امية عامل عثمان على اليمن فاجتمعوا بمكة كلهم ومعهم مروان بن الحكم واجتمعت بنو امية وحرضوا على دم عثمان واعطا يعلي لطلحة والزبير وعائشة اربع مائة الف درهم واعطا لعائشة عسكرا جملا اشتراه باليمن بمائتي دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال لا ميعاد لكم بمعاوية ولي بالبصرة صنائع ولكن اليها فجاءوا الى ماء الحوءب ونبحت كلابه فسألت عائشة فقيل لها هذا الحوءب فردت خطامها عنه وذلك لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ايتكن صاحبة الجمل الازب ، التي تنبحها كلاب

الحوءب . فشهد طلحة والزبير انه ليس هذا ماء الحوءب وخمسون رجلا اليهم . وكانت اول شهادة زور دارت في الاسلام . وخرج على الى الكوفة وتعسكر الفريقان والتقوا . وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة ما تطلبون قالوا نطلب دم عثمان قال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق . والتقى على والزبير فقال له على اتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لي انك تقاتلني فتركه ورجع وراجعه ولده فلم يقبل واتبعه الاحنف من قتله . ونادى على طلحة من بعد ، ما تطلب قال دم عثمان قال قاتل الله اولانا بدم عثمان الم تسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وانت اول من بايعني ونكث ❀ عاصمة ❀ اما خروجهم الى البصرة فصحيح لا اشكال فيه . ولكن لاي شيء خرجوا، ولم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه باحد لان الثقة لم ينقله وكلام المتعصب (١) لا يسمع . وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الاسلام واستنقاص الصحابة فيحتمل انهم خرجوا خلعا لعلى لامر ظهر لهم

(١) في خ زيادة غير مقبول

وهو انهم بايعوا لتسكين الثائرة وقاموا يطلبون الحق ، ويحتمل انهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان ، ويمكن انهم خرجوا في جمع (١) طوائف المسلمين وضم نشرهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح لا شيء سواه . وبذلك وردت صحاح الاخبار . فاما الاقسام الاول فكلها باطلة وضعيفة . اما بيعتهم كرها فباطل قد بيناها . واما خلعهم فباطل لان الخلع لا يكون الا بنظر من الجميع فيمكن ان يولي واحد او اثنان . ولا يكون الخلع الا بعد الاثبات والبيان . واما خروجهم في امر قتلة عثمان فيضعف لان الاصل قبله تأليف الكلمة ويمكن ان يجتمع الامران . ويروى ان في تغيبهم قطع (٢) الشغب بين الناس فخرج طلحة والزبير وعائشة ام المومنين رضي الله عنهم رجاء ان يرجع الناس الى امهم فيرعوا حرمة نبيهم . واحتجوا عليها بقول الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس . وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح وارسل فيه . فرجت المثوبة ، واغتنمت

(١) بالاصل في جميع (٢) الصواب قطعا

القصة ، وخرجت حتى بلغت الاقضية مقاديرها . واحس بهم اهل البصرة فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان للناس وقال اخرجوا اليهم حتى تروا ما جاءوا اليه فبعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة فلقي طلحة والزبير بالزابوقة فقتل حكيم ولو خرج مسلما مستسلما لا مدافعا لما اصابه شيء . واي خير كان له في المدافعة ، وعن اي شي كان يدافع ، وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة وانما جاءوا ساعين في الصلح راغبين في تأليف الكلمة فمن خرج اليهم ودافعهم وقاتلهم دافعوا عن مقصدهم كما يفعل في سائر الاسفار والمقاصد . فلما وصلوا الى البصرة تلقاهم الناس باعلى المربد مجتمعين حتى لو رمى حجر ما وقع الا على رأس انسان . فتكلم طلحة وتكلمت عائشة رضي الله عنها . وكثر اللغط وطلحة يقول انصتوا فجعلوا يركبونه ولا ينصتون (١) فقال اف اف فراش نار وذباب طمع ، وانقلبوا عن غير بيان وانحدروا الى بني نهد فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل ، والتقى طلحة والزبير وعثمان ابن حنيف عامل علي على البصرة وكتبوا بينهم ان يكفوا عن

(١) او ولا ينصتوا

القتال ولعثمان دار الامارة والمسجد وبيت المال وان ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي . وروى ان حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ فقتل بعد الصلح . وقدم علي البصرة وتدانوا ليتراءوا فلم يتركهم اصحاب الاهواء ، وبادروا باراقة الدماء ، واشتجر الحرب وكثرت الغوغاء على البوغاء ، كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا يقف الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان . وان واحدا في جيش يفسد تدبيره فكيف بالف ، وقد روى ان مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف على طلحة قال لا اطلب اثرا بعد عين ورماه بسهم فقتله ، ومن يعلم هذا الا علام الغيوب . ولم ينقله ثبت . وقد روي اصابة سهم بأمر مروان لا انه رماه . وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس ان يريقوا دماءهم فاصابه سهم غرب فقتله ، ولعل طلحة مثله ، ومعلوم ان عند الفتنة وفي ملحمة القتال يتمكن اولوا الاحن والحقود ، من حل العرى ونقض العهود ، وكانت آجالا حضرت ، ومواعد انجزت ، فان قيل فلم خرجت عائشة رضي الله عنها وقد قال صلى الله عليه وسلم لهن في حجة الوداع

هذه ، ثم ظهور الحصر ، قلنا حدث حديثين امراة ، فان ابت فاربعة ، يا عقول النسوان ، الم اعهد اليكم الا ترووا احاديث البهتان ، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان ، فلم تقولون ما لا تعلمون ، وتكررون ما وقع الانفصال عنه كانكم لا تفهمون ، إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، واما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوءب ، فقد بؤتم في ذكرها باعظم حوب ، ما كان قط شيء مما ذكرتم . ولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث ، ولا جرى ذلك الكلام ولا شهد أحد بشهادتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تعلمون (١) ❀ قاصمة ❀ ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق ، هؤلاء يدعون الى علي (٢) بالبيعة وتاليف الكلمة على الامام وهؤلاء يدعون إلى التمكين في (٣) قتلة عثمان ويقولون لا نبايع من ياوى القتلة وعلي يقول لا امكن طالبا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ، ومعاوية يقول لا نبايع متهما بقتله او قاتلا له وهو أحد من يطلب فكيف نحكمه

---

(١) نخ تسئلون (٢) نخ في (٣) لعل الاولى من

أو نبايعه وهو خليفة عدا وتسور وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات آلت الى استفعال رسائل واستخراج اقوال وانشاء اشعار وضرب امثال تخرج عن سيرة السلف يقراها الخلف (١) وينبذها الخلف (٢) . ❀ عاصمة ❀ اما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعا . واما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعا . واما الصواب فيه فمع علي لان الطالب للدم لا يصح ان يحكم ، وتهمة الطالب للقاضي لا يوجب عليه ان يخرج عليه بل يطلب عنده فان ظهر له قضاء والا سكت وصبر فكم من حق يحكم الله فيه . وان لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه فيقوم له عذر في الدنيا . ولئن اتهم علي بقتل عثمان فليس في المدينة أحد من اصحاب النبي الا وهو متهم به او قل معلوم قطعا انه قتله لان الف رجل لا يغلبون أربعين الفا جاءوا القتل عثمان ، وهبك ان عليا وطلحة والزبير تظافروا على قتل عثمان فباقي الصحابة من المهاجرين والانصار ومن اعتد فيهم وضوى اليهم ما ذا صنعوا بالقعود عن نصرته . ولا يخلو ان يكون لانهم رأوا اولئك طلبوا حقا وفعلوا حقا فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام

(١) بسكون اللام (٢) بفتحها

لاهل الشام . وان كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين وانهم لم يكن لهم رأس في الحال ولا مبالاة عندهم بالاسلام ولا فيما يجرى فيه من اختلال فهي ردة ليست معصية ، لان التهاون بحدود الدين واسلام حرمات الشريعة للتضييع كفر . وان كانوا قعدوا لانهم لم يروا ان يتعدوا حد عثمان واشارته فاي ذنب لهم فيه ، واي حجة لمروان و(١) عبدالله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر واعيان العشرة معه في داره يدخلون اليه ويخرجون عنه في الشكة والسلاح ، والطالبون ينظرون ولو كان لهم (٢) بهم قوة او أووا الى ركن شديد لما مكن [illegible] احدا ان يراه منهم (٣) ولا يداخله ، وانما كانوا نضارة ، فلو قام في وجوههم الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ما جسروا ، ولو قتلوهم ما بقي على الارض منهم حي، ولكن عثمان سلم نفسه فترك ورايه ، وهي مسألة اجتهاد كما قدمنا واي كلام كان يكون لعلي لو كتبت (٤) عنده البيعة وحضر عنده ولي عثمان وقال له يايها الخليفة ، وما تمالى عليه الف نسمة حتى قتلوه وهم معلومون ، ما ذا كان يقول الا اثبت وخذ . وفي يوم كان يثبت

(١) الواو للحال والخبر قوله معه (٢) الضمير للطالبين (٣) الضمير للصحابة (٤) اقرب مايظهر

الا أن يثبتوا هم ان عثمان كان مستحقا للقتل . وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين انه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدا وكان يكون الوقت امكن للطالب وارفق في الحال وايسر وصولا الى المطلوب. والذي يكشف الغطاء فى ذلك ان معاوية لما صار اليه الامر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان احدا الابحكم الا من قتل في حرب بتاويل اودس عليه فيما يقال حتى انتهى الامر الى زمان الحجاج . وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة . فتبين لكم انهم ما كانوا فى ملكم يفعلون ما أصبحوا له يطلبون . والذي تثلج به صدوركم ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في الفتن واشار وبين وانذر بالخوارج وقال تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق . فبين ان كل طائفة تتعلق بالحق . ولكن طائفة علي أدنى اليه . وقال تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . فلم يخرجهم عن الايمان بالبغي بالتاويل، ولا سلبهم اسم الاخوة بقوله بعده انما المومنون اخوة فاصلحوا

بين اخويكم . وقال فى عمار تقتله الفئة الباغية . وقال فى الحسن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فحسن له خلعه نفسه واصلاحه . وكذلك يروى انه اذن في الرؤيا لعثمان فى ان يستسلم ويفطر عنده الليلة . فهذه كلها امور جرت على رسم النزاع ، ولم تخرج عن طريق من طريق الفقه ، (١) ولا عدت سبيل الاجتهاد الذي يوجر فيه المصيب عشرة والمخطئى اجرا واحدا . وما وقع من روايات في كتب التاريخ عدا ما ذكرنا فلا تلتفتوا إلى حرف منها فانها كلها باطله * قاصمة التحكيم * وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله . واذا لحظتموه بعين المروة دون الديانة رايتم انها سخافة حمل على سطرها فى الكتب في الاكثر عدم الدين ، وفي الاقل جهل متين . والذي يصح من ذلك ما روى الائمة كخليفة بن خياط والدار قطنى انه لما خرج الطائفة العراقية مائة الف والشامية فى سبعين أو تسعين الفا ونزلوا على الفرات بصفين اقتتلوا فى اول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب

---

(١) في خ العقد

اهل العراق عليه ثم التقوا يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر سنة ١ ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ورفعت المصاحف من اهل الشام ودعوا الى الصلح وتفرقوا على ان تجعل كل طائفة امرها الى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق فكان من جهة علي ابو موسى ومن جهة معاوية عمرو بن العاصي وكان ابو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما حسب ما بيناه في كتاب سراج المريدين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن مع معاذ وقدمه عمر واثنى عليه بالفهم . وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة انه كان ابله ضعيف الراي مخدوعا فى القول وان ابن العاصي كان ذا دهاء وارب حتى ضربت الامثال بدهائه تاكيدا لما ارادت من الفساد . (٢) اتبع في ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا فيها حكايات . وغيره (٣) من الصحابة كان احذق منه وادهى وانما بنوا ذلك على ان عمرا لما غدر ابا موسى فى قصة التحكيم صار له بذلك الذكر في الدهاء والمكر . وقالوا انهما لما اجتمعا باذرح من دومة الجندل وتفاوضا اتفقا على ان يخلعا الرجلين فقال

---

(١) بياض قدر كلمة (٢) لعل الوا وسقطت من الاصل (٣) الضمير لعمرو

عمرو لابي موسى اسبق بالقول فتقدم فقال اني نظرت فخلعت عليا عن الامر وينظر المسلمون لانفسهم كما خلعت سيفي هذا من عنقي اومن عاتقي واخرجه من عنقه فوضعه في الارض وقام عمرو فوضع سيفه بالارض وقال اني نظرت فاثبت معاوية في الامر كما اثبت سيفي هذا في عاتقي وتقلده فانكر ابو موسى فقال عمرو كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف ❀ عاصمة ❀ قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه هذا كله كذب صراح ما جرى منه قط حرف ، وانما هو شيء اخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثته اهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع . وانما الذي روى الائمة الثقاة الاثبات انهما لما اجتمعا للنظر في الامر في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه عزل عمرو معاوية(١) ذكر الدار قطني سنده عن حصين بن المنذر قال لما عزل عمرو معاوية جاء فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية فبلغ ثناه معاوية

(١) زاد في خ اخبرنا ابو الحسين الازدي عن العشاري عن الدار قطني ثنا ابراهيم بن همام ثنا ابو يوسف الفلوسي يعقوب بن عبد الرحمن بن جرير ثنا الاسود بن شيبان عن عبد الله بن مضارب (كذا) عن حصين بن المنذر قال لما عزل الخ

فارسل اليه (١) فقال انه بلغني عن هذا (٢) كذا وكذا فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه فاتيته فقلت اخبرني عن الامر الذي وليت انت وابو موسى كيف صنعتما فيه قال قد قال الناس في ذلك ما قالوا والله ما كان الامر على ما قالوا ولكن قلت لابي موسى ما ترى في هذا الامر قال ارى انه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قلت فاين تجعلني انا ومعاوية فقال ان يستعن بكما ففيكما معونة ، وان يستغن عنكما فطالما استغنى امر الله عنكما قال فكانت هي التي فتل (٣) معاوية منها نفسه فاتيته فاخبرته ان الذي بلغه عنه كما بلغه فارسل الى ابي الاعور الذكواني فبعثه في خيله فخرج يركض فرسه ويقول اين عدو الله أين هذا الفاسق (٤) — قال ابوسف اظنه قال انما يريد حوباء نفسه — فخرج (٥) الى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عريانا (٦) فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول ان الضجور

---

(١) لعل الضمير الى حصين (٢) الاشارة الى عمرو (٣) كذا بالاصل ومعنى فتل نفسه صرف نفسه ولعل المراد انه من هذه الكلمة فهم عزل عمرو اياه (٤) يريد عمرا (٥) اي عمرو كانه لما سمع النداء (٦) في نخ عريا

قد تحتاب العلبة يامعاوية ان الضجور قد تحتلب العلبة فقال معاوية احسبه وتزيد الحالب فتدق انفه وتكفأ اناه . قال الدارقطني وذكر سندا عدلا (١) ربعي عن ابي موسى عن عمرو بن العاصي قال والله لئن كان ابوبكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رايهما وايم الله ما كانا مغبونين ولا نا قصي الرأي . ولئن كانا امرأين يحرم عليها من هذا المال الذي اصبناه بعدهما لقد هلكنا وايم الله ما جاء الوهم الا من قبلنا . فهذا كان بدا الحديث ومنتهاه . فاعرضوا عن الغاوين ، وازجروا العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين، الى سنن المهتدين ، وامسكوا الالسنة عن السابقين الى الدين ، واياكم ان تكونوا يوم القيامة من الهالكين ، بخصومة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد هلك من كان اصحاب النبي خصمه . ودعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه ما قضى . وخذوا لانفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا ، ولا تسترسلوا

---

[٤] وساق الحديث قال ثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم ودعلج بن احمد قالا حدثنا محمد بن احمد بن النضر ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عبد الله بن عمر عن ربعي الخ هذا مخرج بالهامش على انه من الاصل وعليه لفظة صح

بالسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ما جن (١) اتخذ الدين هملا ، فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ، ورحم الله الربيع بن خيثم . فانه لما قيل له قتل الحسين قال أقتلوه قالوا نعم فقال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك الاية ولم يزد على هذا ابدا. فهذا (٢) العقل والدين والكف عن احوال المسلمين ، والتسليم لرب العلمين . ❀ قاصمة ❀ فان قيل انما يكون ذلك فى المعانى التى تشكل ، واما هذه الامور كلها فلا اشكال فيها ، لان النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بعده ، فقال انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند . فتعدى عليه ابوبكر واقتعد في غير موضعه ، ثم خلفه فى التعدى عمر ، ثم رجا ان يوفق عمر للرجوع الى الحق فابهم الحال وجعلها شورى قصدا (٣) للخلاف الذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ثم تحيل

---

[١] خ ناعق [٢] من فهذا الى العلمين مخرج بالهامش على انه من الاصل وعليه علامة الصحة [٣] الظاهر قصد الخلاف .

ابن عوف حتى ردها عنه الى عثمان ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة وعلى احكام الشريعة وصار الامر الى علي بالحق الالاهى النبوى فنازعه من عاقده ، وخالف عليه من بايعه ، ونقض عهدلا من شده ، وانتدب اهل الشام مع معوية الى الفسوق في الدين بل الكفر. وهذه حقيقة مذهبهم ان الكل منهم كفرة ، لان من مذهبهم التكفير بالذنوب . وكيف تقول هذه الطائفة التي تسمى بالامامية ان كل عاص بكبيرة كافر على رسم القدرية ولا اعصا من الخلفاء المذكورين ومن ساعدهم على امرهم واصحاب محمد احرص الناس على دنيا وتلزم حماية على دين واهدمهم لقاعدة شريعة ❁ عاصمة ❁ قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه يكفيك من شر سماعه ، فكيف التمادي به . خمس مائة عام كلا الى يوم مقالي هذا لا ينقص منها يوما ولا تزيد يوما وهو مهل شعبان سنه ست (١) وخمسمائة ماذا يرجا بعد التمام الا النقص . ما رضيت النصارى واليهود فى اصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين حكموا عليهم بانهم قد اتفقوا على الكفر

[١] بالاصل بعد ست [ويلزم] ولم يظهر لها معنى

والباطل . فما يرجى من هؤلاء وما يستبق منهم . وقد قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم . وهذا قول صدق ووعد حق وقد انقرض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تمكين ولا أمن ولا سكون الا في ظلم وبعدي وعصب (١) وهرج وتشتيت واثارة ثائرة . وقد اجمعت الامة على ان النبي صلى الله عليه وسلم ما نص على احد يكون من بعده . وقال (٢) قال العباس لعلي فيما روى عنه عبد الله ابنه قال عبد الله بن عباس خرج علي بن ابى طالب رضي الله عنه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس يا أبا حسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له انت والله بعد ثلاث عبد العصا ولانى (٣) لارى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفي من وجعه هذا انى لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسئله فيمن يكون هذا الامر بعده فان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا علمناه فاوصى بنا فقال علي انا والله لئن سالناها

---

(١) اوغصب (٢) كذا بالاصل والظاهر وقد قال (٣) الظاهر واني

رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وانى والله لا اسئالها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال القاضى ابوبكر رضى الله عنه راي العباس عندى اصح واقرب الى الاخرة والتصريح بالتحقيق . وهذا يبطل قول مدعى الاشارة باستخلاف علي فكيف ان يدعى فيه نص فاما ابوبكر فقد جاءت امراة الى النبي فسالته شيئا فامرها ان ترجع اليه قالت له فان لم اجدك كانها تعني الموت قال تجدين ابا بكر . وقال النبي لعمر وقد وقع بينه وبين ابي بكر كلام فتمعروجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اشفق من ذلك ابوبكر وقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انتم تاركو لي صاحبي مرتين اني بعثت اليكم فقلتم كذبت وقال ابوبكر صدقت الا انى ابرا الى كل خليل من خلته وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا في الاسلام خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكن اخى وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا لا يبقين فى المسجد خوخة الاخوخة ابى بكر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم رايتني على قليب عليها دلو فرغت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابى قحافة فرغ منها ذنوبا او ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر

له ثم استحالت غربا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن . وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان . وقال صلى الله عليه وسلم انه كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء فان يكن في امتي منهم احد فعمر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في مرضه ادع لي (١) ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول انا اولى ويابى الله والمومنون الا ابا بكر . وقال ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ارى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فارى الناس يتكففون بايديهم فالمستكثر والمستقل وارى سببا واصلا من السماء الى الارض فاراك اخذت به فعلوت ثم اخذ به رجل اخر فانقطع ثم وصل له فعلا . وذكر الحديث ثم عبرها ابو بكر فقال واما السبب الواصل من السماء الى الارض (٢) فالحق الذي

---

(١) الصواب في الرسم ادعى (٢) في الاصل شبه ضرب على لفظ الارض

انت عليه فاخذته فيعليك الله ثم ياخذ به رجل اخر بعدك فيعلو به ثم ياخذه رجل اخر فيعلو به ثم ياخذه رجل اخر فينقطع به (١) ثم يوصل له فيعلو به . وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل انا رايت كان ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابوبكر فرجحت ووزن ابوبكر وعمر فرجح ابوبكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فراينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه الاحاديث جبال في البيان ، وحبال في السبب الى الحق لمن وفقه الله ولو لم يكن معكم ايها السنية الا قوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين فجعلها (٢) في نصيف وجعل ابابكر في نصيف اخر وقام معه (٣) جميع الصحابة . واذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصا وعموما . وقد قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

(١) في الاصل لفظة من وهي زائدة (٢) لعل الضمير للامة (٣) في خ به

خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا . واذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فاين ينفذ ، واذا لم يكن فيهم فيمن يكون . والدليل عليه انعقاد الاجماع انه لم يتقدمهم في الفضيلة احد الى يومنا هذا وما بعدهم مختلف فيه فاولئك مقطوع بهم متيقن (١) امامتهم ثابت نفوذ وعد الله لهم فانهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين . قال علماؤنا ومن بعدهم تبع لهم من الائمة الذين هم اركان الملة ودعائم الشريعة الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد الى الله فاما من كان من الولاة الظلمة فضرورة مقصور (٢) على الدنيا واحكامها . واما حفاظ الدين فهم الائمة العلماء الناصحون لدين الله وهم اربعة اصناف . الصنف الاول . حفظوا اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بمنزلة الخزان لاقوات المعاش . الصنف الثاني . علماء الاصول ذبوا عن دين الله اهل العناد واصحاب البدع فهم شجعان الاسلام وابطاله المداعسون عنه في مأزق الضلال . الصنف الثالث . قوم ضبطوا اصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، واحكموا الخراج والديات ، وبينوا

---

(١) الظاهر متيقنة (٢) الظاهر مقصورة

معاني الايمان والنذورات ، وفصلوا الاحكام في الدعاوي فهم في الدين بمنزلة الوكلاء المتطرفون (١) في الاموال . الصنف الرابع ، تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق ، وهم في الاخرة كخواص الملك في الدنيا . وقد اوضحنا في كتاب سراج المريدين في القسم الرابع من علوم القرءان اي المنازل افضل من هؤلاء الاصناف وترتيب درجاتهم ، قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه وهذه كلها اشارات او تصريحات او دلالات او تنبيهات ، مجموع ذلك يدل على صحة ما جرى وتحقيق ما كان من العقلاء ، ونقول بعد هذا البيان على مقام آخر لو كان هنالك نص على ابي بكر (٢) او على علي لم يكن بد من احتجاج علي به ، او يحتج له به على غيره من المهاجرين والانصار ، فاما حديث غدير خم فلا حجة فيه لانه انما استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هرون في حياته عند سفره المناجاة على بني اسرائيل ، وقد اتفق الكل من اخوانهم اليهود على ان موسى مات بعد هارون فاين الخلافة . واما قوله اللهم وال من والاه فكلام صحيح ،

(١) الظاهر المتصرفين (٢) في خ بذكر او بذكر .

ودعوة مجابة . وما يعلم (١) احد عاداه الا الرافضة فانهم انزلوه فى غير منزلته ، ونسبوا اليه ما لا يليق بدرجته . والزيادة في الحق نقصان من المحدود . ولو تعدى عليها (٢) ابوبكر ما كان المتعدى وحده بل جميع الصحابة كما قلنا لانهم ساعدوه على الباطل . ولا تستغربوا هذا من قولهم فانهم يقولون ان النبى كان مداريا لهم ومنحنيا (٣) بهم على نفاق وتقية . واين انت من قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قول عائشة رضي الله عنها مروا عمر فليصل بالناس . انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر. وقوله حين سمع صلاة عمر يابى الله ذلك والمسلمون مروا ابابكر فليصل بالناس . وما قدمنا من تلك الاحاديث . لقد اقتحموا عظيما ، ولقد افتروا كبيرا . وما جعلها عمر شورى الا اقتداء بالبني (٤) اذ قال ان استخلفت فقد استخلف من هو خير منى وان لم استخلف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف . فما رد هذه الكلمات احد . وقال اجعلها شورى في النفر الذين توفي

---

(١) اونعلم احدا (٢) اي المنزلة اوالدرجة وفي خ عليه اي علي (٣) هذا اقرب ما ظهر [٤] كذا بالاصل وكتب بالهامش هكذا : صح بابى بكر صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . وقد رضي عن اكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا وشهد لهم بالاهلية للخلافة . واما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان . فلئن كانت حيلة ثم لم يكن سواها فلأن الحول ليس اليه واذا كان عمل العباد (١) حيلة ولو كان القضاء بالحول (٢) فالحول والقوة لله ، وقد علم كل احد انه لا يليها الا واحد فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالامر بعد ان اخرج نفسه على ان يجتهد للمسلمين في الاسد والاشد فكان كما فعل وولاها من استحقها ولم يكن غيره اولى منه بها حسب ما بينا في مراتب الخلافة من انوار الفجر وفي غيره من الحديث ، وقتل عثمان فلم على الارض احق منها [٣] بعلي لجاءته على قدر في وقتها ومحلها ، وبين الله على يديه من الاحكام والعلوم ما شاء ان يبين ، قد قال عمر لولا علي هلك عمر ، وظهر من فقهه وعلمه في قتال اهل القبلة من استدعائهم ومناظرتهم وترك مبادرتهم [٤] والتقدم اليهم قبل نصب الحرب معهم

---

[١] هذا اقرب ما ظهر [٢] في خ بالحق وهي الظاهرة [٣] هذا مقلوب والاصل من علي بها [٤] خ مباداتهم

وندائه لا نبدا بالحرب ولا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولا تهاج امرأة ولم يغنم لهم مالا ، وامره بقبول شهادتهم والصلاة خلفهم حتى قال اهل العلم لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال اهل البغي . واما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه . واما تكفيرهم للخلق فهم الكفار . وقد بينا احوال اهل الذنوب الذين ليس منها سبر (١) في غير ما كتاب وشرحناها في كل باب . فان قيل فقد قال العباس في علي ما رواه الائمة ان العباس وعليا اختصما عند عمر في شأن اوقاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس لعمر ياامير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الظالم الكاذب الغادر الآثم الجائر (٢) . فقال الرهط لعمر ياامير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الآخر فقال عمر انشدكما الله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا قد قال ذلك فاقبل على العباس وعلي فقال انشدكما الله هل تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك قالا نعم . قال عمر ان الله خص رسول الله

(١) كذا بالاصل وهو غير مفهوم (٢) خ الخائن

صلى اله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه احدا غيره فعمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم توفي فقال ابو بكر انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها سنتين من امارته فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتما تزعمان ان ابا بكر كاذب غادر خائن والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق وذكر الحديث . قلنا اما قول العباس لعلي فقول الاب للابن وذلك على الرأس محمول ، وفي سبيل المغفرة مبذول ، وبين الكبار والصغار فكيف الآباء والابناء مغفور موصول . واما قول عمر انهما اعتقدا ان ابا بكر ظالم خائن غادر وكذلك اعتقدا فيه فانما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الاحكام رأى فيها هذان رأيا ، ورأى فيها اولئك رأيا . فحكم ابو بكر وعمر بما رأيا . ولم ير العباس وعلي ذلك . ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه ، والمحكوم عليه فرأى انه قد وهم ، ولكن سكت وسلم ، فان قيل انا يكون ذلك في اول الحال والامر لم يظهر اذا كان الحكم باجتهاد وانما ادا (١)

(١) ادا كذا بالاصل ولعله زائد

هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبي لا نورث ما تركنا صدقة . وعليه ازواج النبي واصحابه العشرة وشهدوا به فبطل ما قالتموه . قلنا يحتمل ان يكون ذلك في اول الحال والامر لم يظهر بعد فرأيا ان خبر الواحد في معارضة القرآن والاصول والحكم المشهور فى الزمن الذي لا يعمل به حتى يتقرر الامر (١) . فلما تقرر سلما وانقادا بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح الى آخره فلينظر فيه . وهذا ايضا ليس بنص في المسئلة لان قوله لا نورث ما تركنا صدقة يحتمل ان يكون لا يصح ميراثنا ولا انا اهل له لانه ليس لي ملك ولا تلبست بشيء من الدنى ينتقل الى غيرى عنى . ويحتمل لا نورث حكم ، وقوله ما تركنا صدقة حكم آخر معين اخبر به انه قد انفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير اليه بتسويغ الله له . وكان من ذلك مخصوصا مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب . وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموا بما اخذوا عنوة ، ويحتمل ان يكون

---

(١) الظاهر ان لا يعمل به هو خبر ان فيبقى الموصول بدون صلة فلعل لفظة الذي زائدة

صدقة منصوبا على ان يكون حالا من المتروك ، الى هذا اشار اصحاب ابي حنيفة وهو ضعيف وقد بيناه في موضعه بيد انه يأتيك فى هذا ان المسئالة مجرى الخلاف ومحل الاجتهاد وانها ليست بنص من النبي ، فتحمل التصويب والتخطئة من المجتهدين ، والله اعلم ❀ قاصمة ❀ ثم قتل علي ، قالت الرافضة فعهد الى الحسن فسلمها الحسن الى معاوية فقيل له مسود وجوه المؤمنين ، وفسقته جماعة من الرافضة ، وكفرته طائفة لاجل ذلك ، ❀ عاصمة ❀ قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه اما قول الرافضة انه عهد الى الحسن فباطل ما عهد الى احد ولكن البيعة للحسن منعقدة ، وهو احق من معاوية ومن كثير من غيره ، وكان خروجه لمثل ما خرج اليه ابوه من دعاء الفئة الباغية الى الانقياد الى الحق والدخول في الطاعة فآلت الوساطة الى ان تخلي عن الامر صيانة لحقن دماء الامة ، وتصديقا لوعد نبي الملحمة ، حيث قال على المنبر ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فنفذ الميعاد ، وصحت البيعة لمعاوية وذلك لتحقيق رجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فمعاوية خليفة وليس بملك ، فان قيل فقد روى عن سفينة ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال الخلافة ثلاثون سنة ثم يعود ملكا . فاذا عددنا من ولاية ابي بكر الى تسليم الحسن كانت ثلاثين لا تزيد ولا تنقص يوما . قلنا

خذ ما تراه ودع شيئا سمت به ❀ فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

هذا الحديث في ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه لجريان الصلح على يديه . وتسليمه الامر لمعاوية عقد منه له . وهذا حديث لا يصح ، ولو صح فهو معارض لهذا الصلح المتفق عليه فوجب الرجوع اليه ، فان قيل الم تكن في الصحابة اقعد بالامر من معاوية قلنا كثير ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهي ان عمر جمع له الشامات كلها وافرده بها لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور واصلاح الجند والظهور على العدو وسياسة الخلق ، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم فى صحيح الحديث بالفقه وشهد بخلافته في حديث ام حرام ان ناسا من امته يركبون ثبج هذا البحر الاخضر ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الاسرة وكان ذلك في ولايته ، ويحتمل ان يكون مراتب في الولاية خلافة ثم ملك فيكون ولاية الخلافة

للاربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية وقد قال الله في داود وهو خير من كل معاوية فآتاه الله الملك والحكمة فجعل النبوة ملكا . فلا تلتفتوا الى احاديث ضعف سندها ومعناها . ولو اقتضت الحال النظر في الامور لكان والله اعلم رأي آخر للجمهور ، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله على الوجه الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحا له راضيا عنه راجيا هدنة الحال فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين . وقد تكلم العلماء في امامة المفضول مع وجود من هو افضل منه . فليست المسئلة في الحد الذي يجعلها فيه العامة . وقد بيناها في موضعها . فان قيل فقد قتل حجر بن عدي وهو من الصحابة مشهور بالخير صبرا اسيرا بقول زياد ، وبعثت اليه عائشة في امره فوجدته قد فات بقتله ، قلنا علمنا قتل حجر كلنا واختلفنا فقائل يقول قتله ظالما ، وقائل يقول قتله حقا ، فان قيل الاصل قتله ظالما الا ان ثبت عليه ما يوجب قتله ، قلنا الاصل ان قتل الامام بالحق فمن ادعى انه بالظلم فعليه الدليل ، ولو كان ظلما محضا لما بقي بيت الا لعن فيه

معاوية . وهذه مدينة السلام دار خلافة بني العباس ، وبينهم وبين بني امية ما لم يخف على الناس . مكتوب على ابواب مساجدها . خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم معاوية خال المؤمنين رضي الله عنهم . ولكن حجر فيما يقال رأى من زياد امورا منكرة فحصبه وخلعه واراد ان يقيم الخلق للفتنة ، فجعله معاوية ممن سعى في الارض فسادا ، وقد كلمته عائشة في امره حين حج فقال لها دعيني وحجرا حتى نلتقي عند الله ، وانتم معشر المسلمين اولى ان تدعوهما حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل الامين ، المصطفى المكين ، وانتم (١) ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون فان قيل قد دس على الحسن من سمه ، قلنا هذا محال من وجهين احدهما انه ماكان ليتقي من الحسن بأسا وقد سلم الامر ، الثاني انه امر مغيب لا يعلمه الا الله ، فكيف تحملونه بغير بينة على احد من خلقه في زمان متباعد لم يثق فيه بنقل ناقل بين يدي قوم ذي اهواء ، وفي حال فتنة وعصبية ينسب كل واحد الى صاحبه ما لا ينبغي ، فلا يقبل

(١) الظاهر وما انتم

منها الا الصافي ، ولا يسمع فيها الا من العدل الصمم ، فان قيل فقد عهد الى يزيد وليس بأهل ، وجرى بينه وبين عبد الله بن عمر وابن الزبير والحسين ما قصه عن (١) وهب ابن جرير بن حازم عن ابيه وعن غيره . لما اجمع معاوية ان يبايع لابنه يزيد حج فقدم مكة في نحو الف رجل فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر . فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر ابنه يزيد فقال من احق بهذا الامر منه ثم ارتحل فقدم مكة فقضى طوافه ودخل منزله فبعث الى ابن عمر فتشهد وقال اما بعد يا ابن عمر فقد كنت تحدثني انك لا تحب ان تبيت ليلة سوداء ليس عليك امير . واني احذرك ان تشق عصا المسلمين وان تسعى في فساد ذات بينهم. فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فانه قد كانت قبلك خلفاء لهم ابناء ليس ابنك بخير منهم ، فلم يروا في ابنائهم ما رأيت في ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار . وانك تحذرني ان اشق عصا المسلمين ولم اكن لافعل . انما

(١) بياض قدر كلمة يظهر انها محيت قصدا

انا رجل من المسلمين ، فاذا اجتمعوا على امر (١) فانما انا واحد منهم فخرج ابن عمر وارسل الى عبد الرحمن بن ابي بكر فتشهد ثم اخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه . فقال انك والله لوددت انا وكلناك في امر ابنك الى الله . وانا والله لا نفعل ، والله لتردن هذا الامر شورى في المسلمين او لتعيدنها عليك جذعة ثم وثب فقام . فقال معاوية اللهم اكفنيه بما شئت . ثم قال على رسلك ايها الرجل لا تشرفن لاهل الشام فاني اخاف ان يسبقوني بنفسك حتى اخبر العشية انك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك (٢) ما بدا لك من امرك . ثم ارسل الى ابن الزبير فقال يابن الزبير انما انت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل في آخر ، وانك عمدت الى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما . فقال ابن الزبير ان كنت قد مللت الامارة فاعتزلها وهلم ابنك فلنبايعه . ارايت اذا بايعنا ابنك معك لايكما نسمع لايكما نطيع لا تجتمع البيعة لكما ابدا . ثم قام فخرج معاوية فصعد المنبر فقال انا وجدنا احاديث الناس ذوات عوار ، وزعموا ان ابن عمر وابن الزبير

---

(١) خ رجل (٢) خ على ما بدالك

وابن ابي بكر لم يبايعوا يزيد . قد سمعوا واطاعوا وبايعوا له ، فقال اهل الشام لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤس الاشهاد والا ضربنا اعناقهم . فقال مه سبحان الله ما اسرع الناس الى قريش بالشر . لا اسمع هذه المقالة من احد بعد اليوم . ثم نزل فقال الناس بايعوا ويقولون هم لم نبايع ويقول الناس قد بايعتم . وروى وهب من طريق آخر قال خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال والله ليبايعن او لاقتلنه فخرج عبد الله ابن عبد الله بن عمر الى ابيه وسار الى مكة ثلاثا واخبره فبكى ابن عمر فبلغ الخبر الى عبد الله بن صفوان فدخل على ابن عمر فقال اخطب هذا بكذا قال نعم قال فما تريد اتريد قتاله . قال يابن صفوان الصبر خير من ذلك . فقال ابن صفوان والله لئن اراد ذلك لاقاتلنه . فقدم معاوية مكة فنزل (١) ذات طوى وخرج اليه عبد الله بن صفوان فقال انت الذي تزعم انك تقتل ابن عمر ان لم يبايع لابنك . قال انا اقتل ابن عمر ، انى والله لا اقتله ، وروى وهب من طريق ثالث قال ان معاوية لما راح عن بطن مر قاصدا الى مكة قال

---

(١) الصواب ذا

لصاحب حرسه لا تدع احدا يسير معى الا من حملته . فخرج يسير وحده حتى اذا كان وسط الاراك لقيه الحسين بن علي فوقف وقال مرحبا واهلا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد شباب المسلمين . دابة لابي عبد الله يركبها . فاتي ببرذون فتحول عليه ، ثم طلع عبد الرحمن ابن ابي بكر ، فقال مرحبا واهلا بابن شيخ قريش وسيدهم وابن صديق هذه الامة. دابة لابى محمد يركبها فاتى ببرذون فركبه ، ثم طلع ابن عمر فقال مرحبا واهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ودعاله بدابة فركبها ، ثم طلع ابن الزبير فقال مرحبا واهلا بابن حوارى رسول الله وابن الصديق وابن عمة رسول الله ودعاله بدابة فركبها ، ثم اقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ثم كانوا اول داخل واخر خارج ليس في الارض صباح الا لهم فيه حباء وكرامة لا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت اثقاله وقرب مسيره الى الشام وانيخت رواحله فاقبل بعض القوم على بعض فقالوا ايها القوم لا تخدعوا انه والله ما صنع هذا بكم لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه الا لما يريد فاعدوا له جوابا واقبلوا

على الحسين فقالوا انت يا ابا عبد الله قال وفيكم شيخ قريش وسيدها وهذا احق بالكلام فقالوا انت يا ابا محمد لعبد الرحمن بن ابي بكر فقال لست هناك وفيكم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن سيد المسلمين يعني ابن عمر فقالوا لابن عمر انت فقال لست بصاحبكم ولكن ولوا الكلام ابن الزبير يكفكم قالوا انت يا ابن الزبير قال نعم ان اعطيتموني عهودكم ومواثيقكم ان لا تخالفوني كفيتكم الرجل فقالوا فلك ذلك فخرج الاذن فاذن لهم فدخلوا فتكلم معاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال لقد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لارحامكم وصفحي عنكم وحملي لما يكون منكم ويزيد ابن امير المومنين اخوكم وابن عمكم واحسن الناس لكم رأيا وانما اردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا انتم الذين تتبرعون (١) وتامرون وتجبون وتقسمون لا يدخل عليكم في شيء من ذلك. فسكت القوم فقال الا تجيبوني فسكت القوم فقال الا تجيبوني فسكتوا فاقبل على ابن الزبير فقال هات يا ابن الزبير فانك لعمري صاحب خطبة القوم فقال نعم

(١) او تنزعون

يأمير المؤمنين اخيرك بين ثلاث خصال ايها اخذت فبي لك رغبة قال لله ابوك اعرضهم قال ان شئت صنعت ماصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان شئت صنعت ماصنع ابوبكر فهو خير هذه الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان شئت صنعت ماصنع عمر فهو خير هذه الامة بعد ابي بكر قال لله ابوك ماصنعوا قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستخلف احدا فارتضى المسلمون ابا بكر فان شئت ان تدع امر هذه الامة حتى يقضي الله فيها (١) قضاءه فيختار المسلمون لانفسهم فقال ايه ليس فيكم اليوم مثل ابي بكر واني لا آمن عليكم الاختلاف . قال فاصنع كما صنع ابوبكر عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من بني ابيه فاستخلفه قال لله ابوك . الثالثة قال تصنع ماصنع عمر جعل الامر شورى في ستة نفر من قريش ليس احد منهم من ولد ابيه . قال عندك غير هذا . قال لا قال فانتم . قالوا ونحن ايضا قال امالا فاني احببت ان اتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر ، وانه كان يقوم القائم منكم الي فيكذبني على رءوس الناس فاحتمل له ذلك . واني قائم بمقالة فان صدقت فلي

(١) خ فيه

صدق وان كذبت فعلي كذبي . واني اقسم بالله لكم لئن رد علي انسان منكم لا ترجع اليه كلمته حتى يسبق الي رأسه ، ثم دعا بصاحب حرسه فقال اقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك فان ذهب رجل يرد على كلمة بصدق او كذب فليضرباه بسيفيهما . ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يستبد بامر دونهم ولا نقضي امرا الا عن مشورتهم وانهم ارتضوا وبايعوا اليزيد ابن امير المؤمنين من بعده فبايعوا باسم الله فضربوا على يده ثم جلس على راحلته وانصرف فلقيهم الناس فقالوا زعمتم وزعمتم فلما ارضيتم وحبيتم فعلتم قالوا انا والله ما فعلنا قال فما منعكم ان تردوا على الرجل اذ كذب ثم بايع اهل المدينة والناس ثم خرج الى الشام . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه لسنا ننظم (١) ولا تبلغ (٢) بنا الجهالة ولا لنا في الحق حمية جاهلية ولا ننطوي على غل لاحد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . بل نقول ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان

---

(١) في خ ننكر وهي ظاهرة بخلاف ما في الاصل (٢) خ بلغت

ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا انك رءوف رحيم الى (١) ان نقول ان معاوية ترك الافضل في ان يجعلها شورى ولا يخص بها احدا من قرابته فكيف ولدا وان يقتدى بما اشار به عبد الله بن الزبير فى الترك او الفعل فعدل الى ولاية ابنه وعقد له البيعة وبايعه الناس وتخلف عنها من تخلف فانعقدت البيعة شرعا لانها تنعقد بواحد وقيل باثنين . فان قيل ان فيه شرط الامامة . قلنا ليس السن من شروطها ولم يثبت انه يقصر يزيد عنها . قيل كان منها العدالة والعلم ولم يكن يزيد عدلا ولا عالما . قلنا وباي شيء تعلم عدم علمه اوعدم عدالته ولو كان مساويهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الذين اشاروا عليه بان لا يفعل وانما رموا الامر بعيب التحكم وارادوا ان تكون شورى . فان قيل كان هنالك من هو احق منه عدالة وعلما منهم مائة وربما الف . قلنا امامة المفضول كما قدمنا مسئلة خلاف بين العلماء كما ذكر العلماء في موضعه . وقد

---

(١) اذا كانت الى متعلقة بتبلغ يصير المعني لا تبلغ بنا الجهالة الى القول بان معاوية ترك الافضل . مع ان الظاهر من مساق كلامه ان يعترف بان معاوية عقد البيعة للمفضول . فلعل لا سقطت والاصل الى ان لا نقول . فتامل

حسم البخاري الباب ، ونهج جادة الصواب . فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم . وهو ان معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته فيما رواه البخارى عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر قال دخلت على حفصة ونؤساتها تنطف قلت قد كان من امر الناس ما ترين فلم يجعل لى من الامر شيء. فقالت الحق فانهم ينتظرونك واخشى ان يكون في احتباسك عنهم فرقة ، فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد ان يتكلم في هذا الامر فليطلع لنا قرنه فلنحن احق به منه ومن ابيه قال حبيب بن مسلمة فهلا اجبته . قال عبد الله فحللت حبوتي وهممت ان اقول احق بهذا الامر منك من قاتلك واباك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق الجمع . وتسفك الدماء ، وتحمل عني غير ذلك فذكرت ما اعد الله فى الجنان فقال حفظت وعصمت . وروى البخاري. ان اهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة . وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وانى لا اعلم غدرا اعظم من ان نبايع رجلا

على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال وانى لا اعلم احدا منكم خلعه ولا بايع فى هذا الامر الا كانت الفيصل بينى وبينه . فانظروا معشر المسلمين الى ما روى البخارى فى الصحيح والى ما سبق ذكرنا له من رواية بعضهم ان عبد الله بن عمر لم يبايع وان معاوية كذب وقال قد بايع (١) وتقدم الى حرسه يامرلا بضرب عنقه ان كذبه . وهو قد قال فى رواية البخارى قد بايعناه على بيع الله ورسوله ، وما بينهما من التعارض ، وخذوا لا نفسكم بالارجح فى طلب السلامة والخلاص من بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم تشاهدوهم وقد عصمكم الله من فتنتهم ممن دخل بلسانه فى دمائهم فيلغ فيها واوغ الكلاب بقية الدم على الارض بعد رفع الفريسة باجمعها لم يلحق الكلاب منها الا بقية دم سقط على الارض . وروى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن محمد بن المنكدر قال قال ابن عمر حين بويع يزيد ان كان خيرا رضينا وان كان شرا (٢) صبرنا . وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال دخلنا على رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

(١) زاد هنا في خ ووكل به من امره (٢) خ بلاء

استخلاف يزيد بن معاوية فقال تقولون ان يزيد بن معاوية ليس بخير امة محمد ، لا افقهها فيها فقها ، ولا اعظمها فيها شرفا . وانا اقول ذلك ، ولكن والله لان تجتمع امة محمد احب الى من ان تفترق . اريتم بابا دخل فيه امة محمد ووسعهم اكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه . قلنا لا . قال ارايتم لو ان امة محمد قال كل رجل (١) منهم لا اريق دم اخي ولا آخذ ماله اكان هذا يسعهم . قلنا نعم . قال فذلك ما اقول لكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياتيك من الحياء الا خير ، فهذه الاخبار الصحاح كلها تعطيك ان ابن عمر كان مسلما في امر يزيد وانه بايع وعقد له والتزم ما التزم الناس ودخل فيما دخل المسلمون وحرم على نفسه ومن اليه بعد ذلك ان يخرج على هذا او ينقضه . وظهر لك ان قول من قال ان معاوية كذب فى قوله بايع ابن عمر ولم يبايع ، وان ابن عمر واصحابه سئلوا فقالوا لم نبايع . فقد كذب ، فقد صدق البخارى في روايته قول معاوية على المنبر ان ابن عمر قد بايع باقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديه عليه . فأي الفريقين

(١) خ واحد

احق بالصدق ان كنتم تعلمون . الفريق الذي فيه البخاري ، او الذي فيه غيره . فخذوا لانفسكم بالاحزم والاصح ، او اسكتوا عن الكل . والله يتولى توفيقكم وحفظكم . والصاحب الذي كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر والله اعلم وان كان غيره فقد اجمع رجلان عظيمان على هذه المقالة . وهي تعضد مااصلناه لكم من ان ولاية المفضول نافذة وان كان هنالك من هو افضل منه اذا عقدت له . ولما في حلها او طلب الافضل من استباحة مالا يباح وتشتيت الكلمة وتفريق امر الامة . فان قيل كان يزيد خمارا . قلنا لايحل الا بشاهدين فمن شهد بذلك عليه ، بل شهد العدل بعدالته ، فروى يحيي بن بكير عن الليث بن سعد قال الليث توفى امير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا فسماه الليث امير المؤمنين (١) بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ماقال الا توفي يزيد

(١) بهامش الاصل ما نصه : قال ابن ابي الفرات في تاريخه كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال قال امير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال قال امير المؤمنين . وامر بضربه عشرين سوطا . انتهى نقله عنه الشيخ البناني في شرحه لاسيرة الكلاعية فاعرفه اه الطرفي

فان قيل ، ولو لم يكن ليزيد الا قتله للحسين بن علي ، (١) قلنا يا اسفا على المصائب مرة ، ويا اسفا على مصيبة الحسين الف مرة ، وان بوله يجرى على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن يا لله ويا للمسلمين ، وان امثل ماروى فيه ان يزيد كتب الى الوليد ابن عقبة ينعى له معاوية ويامره ان ياخذ له البيعة على اهل المدنية ، وقد كانت تقدمت ، فدعا مروان فاخبره وقال له ارسل الى الحسين ابن علي وابن الزبير فان بايعوا والا فاضرب اعناقهم ، قال سبحان الله تقتل الحسين بن علي وابن الزبير ، قال هو ماأقول لك ، فارسل اليهما فاتاه ابن الزبير فنعى له معاوية وساله البيعة ، فقال ومثلي يبايع هاهنا ، ارق المنبر ابايعك وانا مع الناس علانية ، فوثب مروان وقال اضرب عنقه فانه صاحب فتنة وشر فقال فانك لهنالك يابن

(١) للامام ابن العربي في هذا الاصل من كلامه رأي قد انكره عليه الناس وكانوا عليه قسمين : علماء ردوا عليه بعلم ولم يقولوه ما لم يقل ، وآخرين زادوا على ذلك بالتهويل والتشنيع حتى زعموا ان ابن العربي يبغض الحسين ويستحل دمه . اما رأيه فقد وضحه توضيحا لا يحتاج معه الى زيادة بيان وهو متحمل تبعته . واما بغضه للحسين فحاشاه منه وعباراته صريحة في شدة تعظيمه للحسين وشدة حزنه عليه وقد وضعنا تحتها سطورا بارزة ليتنبه لها .

الزرقاء واستبا ، فقال الوليد اخرجاهما عنى ، وارسل الى الحسين ولم يكلمه بكلمة فى شيء وخرجا من عنده وجعل الوليد عليهما الرصد فلما دنا الصبح خرجا مسرعين الى مكة فالتقيا بها فقال له ابن الزبير مايمنعك من شيعتك وشيعة ابيك فوالله لو ان لي مثلهم لذهبت اليهم . فهذا ماصح . وذكر المورخون ان كتب اهل الكوفة وردت على الحسين وانه ارسل مسلم بن عقيل ابن عمه اليهم لياخذ عليهم البيعة وينظر هو فى اتباعه فنهاه ابن عباس واعلمه انهم خذلوا اباه واخاه واشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج فلم يبلغ الكوفة الا ومسلم بن عقيل قد قتل واسلمه من كان استدعاه ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ فتمادى واستمر غضبا للدين وقياما بالحق . ولكنه رضي

الله عنه لم يقبل نصيحة اعلم اهل زمانه ابن عباس ، وعدل عن راى شيخ الصحابة ابن عمر ، وطلب الابتداء فى الانتهاء ، بالاستقامة فى الاعوجاج ، ونضارة الشبيبة فى هشيم المشيخة . ليس حوله مثله ، ولا له من الانصار من يرعى حقه ، ولا من يبذل نفسه دونه . فاردنا ان نطهر الارض من خمر يزيد ، فارقنا دم الحسين . فجاءتنا

مصيبة لا يجبرها سرور الدهر، (١) وما خرج اليه احد الا بتاويل ،

---

(١) للامام عبد الرحمن بن خلدون في فصل ولاية العهد من مقدمة تاريخه كلمة جلية جامعة في هذا الموضوع الذي اخطأ فيه الامام بن العربي ننقلها هنا قال : « واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان يأتيهم فيقوموا بامره فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة واما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت في بني امية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فاغفلوا امور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت واصبحت مضر اطوع لبني امية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لك غلط الحسين الا انه في امر دنيوي لا يضره الغلط فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيره الى الكوفة وعلموا غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا في الحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا ان الخروج على

ولا قاتله الا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل ، الخبر بفساد الحال ، المحذر عن الدخول فى الفتن ، واقواله فى ذلك كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم ، انها ستكون هناة وهناة ، فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهو جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان ،

يزيد وان كان فاسقا لايجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا أثموه لانه مجتهد وهو أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأثيم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وابا سعيد الخدري وانس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك لايذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحد الشافعي ، والمالكي ، الحنفي ، على شرب النبيذ واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد واصحابه ولا تقولن ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز هؤلاء الخروج عليه فافعاله عندهم صحيحة واعلم انه انما ينفذ من اعمال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة

فما خرج الناس الا بهذا وامثاله ولو ان عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته او ضيعته او ابله ، ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر — لم يلتفت اليهم وحضره ما انذر به النبي صلى الله عليه وسلم وما قال في اخيه ورأى انها قد خرجت عن اخيه ومعه جيوش الارض وكبار الخلق يطلبونه ، فكيف ترجع اليه باوباش الكوفة وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه . ما ادرى ما هذا الا التسليم لقضاء الله والحزن على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية الدهر . ولولا معرفة اشياخ وانبياء الامة بانه امر صرفه الله عن اهل البيت ،

الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين في زمانه في امامته وعدالته في قتال اهل الآراء واما ابن الزبير فانه رأى في مقامه ما رآه الحسين وظن كما ظن وغلطه في امر الشوكة اعظم لان بني أسد لا يقاومون بني أمية في جاهلية ولا اسلام والقول بتعين الخطأ في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لنا به ولم نجده هاهنا »

وحال من الفتنة لا ينبغي لاحد ان يدخلها ما اسلموه ابدا . وهذا احمد بن حنبل على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه قد ادخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد انه كان يقول في خطبته . اذا مرض احدكم مرضا فاشفى ثم تماثل فلينظر الى افضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر الى اسوإ عمل عنده فليدعه . وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم . ونعم . وما ادخله الا في جملة ذكر الصحابة قبل ان يخرج الى ذكر التابعين . فاين هذا من ذكر المؤرخين له في الخمر وانواع الفجور . الا تستحيون .

« بقية التعليق » وقال ابن العربي نفسه في كتاب الاحكام : « (المسألة العاشرة) لا نقاتل الا مع امام عادل يقدمه اهل الحق لا نفسهم ولا يكون الا قرشيا وغيره لاحكم له الا ان يدعو الى الامام القرشي قاله مالك لان الامامة لا تكون الا لقرشي . وقد روى ابن القاسم عن مالك اذا خرج على الامام العدل خارج وجب الدفع عنه مثل عمر بن عبد العزيز فاما غيره فدعه ينتقم الله من ظالم بمثله ثم ينتقم من كليهما قال الله تعالى بعثنا عليهم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » وما كان يزيد مثل عمر بن عبد العزيز يقينا فمن كان من عذر لمن خرج معه لقتال الحسين . وهذا الذي نقلناه عن ابن العربي في كتاب الاحكام يرد قوله هنا في كتاب العواصم ويعضد رد الامام ابن خلدون عليه .

فاذا سلبهم الله المروءة والحياء الا ترعوون انتم وتزدجرون وتقتدون بالاحبار والرهبان من فضلاء الامة ، وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين الى الملة . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين والحمد لله رب العالمين . وانظروا الى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة والارض كلها عليه . وانظروا الى ابن عباس وعقله واقباله على امر نفسه . وانظروا الى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها . ولو كان للقيام وجه لكان اولى بذلك عبد الله بن عباس . فان ولدى اخيه عبيد الله قد ذكرا (١) انهما قتلا ظلما . ولكن رأى بعقله ان دم عثمان لم يخلص اليه فكيف بدم ولدى عبيد الله ، وان الامر راهق قد خرجا عنه حفظا للاصل وهو اجتماع امر الامة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها ، ودع الامر يتولاه اسود مجدع حسب ما امر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه وكل منهم عظيم القدر مجتهد فيما دخل فيه مصيب ماجور . ولله فيهم حكم قد انفذه ، وحكم في الاخرة قد احكمه وفرغ منه . فاقدروا هذه الامور مقاديرها .

---

(١) لعل الاحق ذكروا

وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها . ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون السنتهم واقلامهم بما لا فائدة لهم فيه، ولا يغني من الله ولا من دنياهم شيئا عنهم . وانظروا الى الائمة الاخيار، وفقهاء الامصار ، هل اقبلوا على هذه الخرافات ، وتكلموا فى مثل هذه الحماقات . بل علموا انها عصبية جاهلية ، وحمية باطلة ، لا تفيد الا قطع الحبل بين الخلق ، وتشتيت الشمل ، واختلاف الاهواء . وقد كان ما كان ، وقال الاخباريون ما قالوا فاما سكوت ، واما اقتداء باهل العلم وطرح لسخافات المؤرخين والادباء . والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته ❀ نكتة ❀ وعجبا لاستكبار الناس ولاية بني امية واول من عقد لهم الولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ولى يوم الفتح عثمان بن اسيد ابن ابى العيص بن امية مكة حرم الله وخير بلاده . وهو فتي السن قد ابقل اولم يبقل واستكتب معاوية بن ابى سفيان امينا على وحيه . ثم ولى ابوبكر يزيد بن ابى سفيان اخاه الشام وما زالوا بعد ذلك يتوقلون فى سبيل المجد، ويترقون فى درج العز ، حتى انهتهم الايام الى منازل الكرام . وقد روى الناس احاديث فيهم لا اصل لها . منها حديث روية النبي بني امية ينزون على منبره كالقردة

فعز عليه فاعطى ليلة القدر خير من الف شهر يملكها بنو امية . ولو كان هذا صحيحا مااستفتح الحال بولايتهم ، ولامكن لهم فى الارض بافضل بقاعها وهى مكة . وهذا اصل يجب ان تشد عليه اليد فان قيل احدث معاوية فى الاسلام الحكم بالباطل والقضاء بما لايحل من استلحاق زياد قلنا قد بينا فى غير موضع ان استلحاق زياد انما كان لاشياء صحيحة وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر ماادعى فيه المدعون من الانحراف عن الاستقامة اذ لاسبيل الى تحصيل باطلهم لان خرق الباطل لا يرقع ، ولسانه اعظم منه فكيف (١) لا يقطع ، قالوا كان زياد ينتسب الى عبيد الثقفى من سمية جارية الحرث بن كلدة واشترى (٢) عبيدا اباه بالف درهم فاعتقه . قال ابو عثمان النهدى فكنا نغبطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة . وقيل بل كتب لابي موسى فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على المغيرة جلدهم وعزله . وقال له ماعزلتك لخزية (٣) ولكني كرهت ان احمل على الناس فضل عقلك . ورووا ان عمر ارسله الى اليمن في اصلاح فساد فرجع وخطب الناس خطبة لم يسمع مثلها . فقال عمرو

(١) زاد في خ به (٢) يعني زيادا (٣) او لخربة

ابن العاصي اما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق الناس بعصاه. فقال ابو سفيان والله انى لاعرف الذي وضعه فى رحم امه فقال له علي ومن . قال انا . قال مهلا يابا سفيان . فقال ابو سفيان ابياتا من الشعر .

اما والله لولا خوف شخص(۱) يراني ياعلي من الاعادي
لاظهر امره صخر بن حرب ولم تكن(۲) المقالة عن زياد
وقد طالت محاناتي ثقيفا وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فذلك الذي حمل معاوية . واستعمله علي على فارس ، وحمى ، وحبا ، وفتح ، واصلح ، وكاتبه معاوية يروم افساده فوجه بكتابه الى علي بشعر فكتب اليه علي انى وليتك ماوليتك وانت اهل لذلك عندي ، ولن يدرك ماتريد بما انت فيه الا بالصبر واليقين . وانما كانت من ابى سفيان فلتة ، ومن عمر لا يستحق بها نسبا ولا ميراثا . وان معاوية ياتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه ، فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد لي ابوحسن ورب الكعبة ، فذلك الذي جرأ زيادا ومعاوية عما صنعا ، ثم ادعاه معاوية سنة اربع واربعين وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد وبلغ الخبر ابا بكرة اخاه لامه فآلى يمينا الا

---

(۱) يعني عمر (۲) اقرب ماظهر

يكلمه ابدا ، وقال هذا زني امه وانتفى من ابيه ، والله مارات سمية ابا سفيان قط ، وكيف يفعل بام حبيبة ، ايراها فيهتك حرمة رسول الله ، (١) ان حجبته فضحته ، فقال زياد جزى الله ابا بكرة خيرا فانه لم يدع النصيحة فى حال، وتكلم فيه الشعراء. ورووا عن سعيد بن المسيب انه قال اول قضاء كان في الاسلام بالباطل استلحاق زياد ، قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه قد بينا فى غير موضع هذا الخبر وتكلمنا عليه بما يغني عن اعادته ولكن لابد فى هذه الحالة من بيان المقصود منه ، فنقول كل ماذكرتم لاننفيه ولا نثبته لانه لايحتاج اليه . والذي ندريه حقا . ونقطع عليه علما ان زيادا من الصحابة بالمولد والرؤية لا بالتفقه والمعرفة . واما ابوه فما علمنا له ابا قبل دعوى معاوية على التحقيق ، وانما هى اقوال غائرة من المؤرخين ، واما شراؤه له فمراعاة (٢) الحضانة فانه حضنه عنه اذ دخل عليه فله نسب بالحضانة اليه ان كان ذلك ، واما قولهم ان ابا عثمان غبطه بذلك فهو بعيد على ابي عثمان ، فانه ليس فى ان يبتاع احد حاضنته او اباه فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه ابو عثمان وامثاله لان هذه

---

(١) لعل الواو سقطت (٢) خ للحضانة

مرتبة يدركها الغني والفقير والشريف والوضيع ، ولا بذل من المال مايعظم قدره ، فيدري به قدر مرؤته في اهانته الكثير العظيم ، في صلة الولي الحميم ، وانما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له ابا ويكون بمنزلة من انتفى من ابيه ، واما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك بذلك تزكية وشرفا ودينا ، واما قولهم ان عمر عزله لانه لم يشهد بباطل ، بل روى انه لما شهد اصحابه الثلاثة وعمر يقول للمغيرة ذهب ربعك ذهب نصفك ذهب ثلاثة ارباعك . فلما جاء زياد وقال (١) له اني اراك صبيح الوجه واني لارجو ان لا يفضح الله على يديك رجلا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، واما خطبته التي ذكروا انه عجب منها عمر فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمر فمن فوقه او دونه ، وقد ادخل له الشيخ (٢) المفتري خطبا ليست في الحد المذكور ، واما قولهم ان ابا سفيان اعترف به وقال شعرا فيه فلا يرتاب ذو تحصيل في ان ابا سفيان لو اعترف به في حياة عمر لم يخف شيئا ، لان الحال لم يكن يخلو من احد قسمين ، اما ان يرى عمر الالاطة (٣) به كما روي عنه في غيره فيمضي ذلك او يرد ذلك فلا

(١) يعني عمر (٢) يعني به الجاحظ (٣) اي الحاقة

يلزم ابا سفيان شيء باقتراف ماكان فى الجاهلية . فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافتة الخارجة عن حد الدين والتحصيل ، لامعنى لها . واما تولية علي له فتزكية . واما بعث معاوية اليه ليكون معه فصحيح فى الجملة واما تفصيل ما كتب معاوية او كتب زياد به الى علي او جاوب به علي زيادا فهذا كله مصنوع . واما قول علي انما كانت من ابي سفيان فلتة لا يستحق بها نسبا ؛ فلو صح لكان ذلك شهادة كما روى عن زياد ؛ ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية ؛ لانها مسئلة اجتهاد بين العلماء فرأي علي شيئا ورأى معاوية وغيره غيره . ❀ واما نكتة الكلام ❀ وهو القول فى استلحاق معاوية زيادا واخذ الناس عليه فى ذلك . واي اخذ عليه فيه ان كان سمع ذلك من ابيه . واي عار على ابي سفيان فى ان يليط بنفسه ولد زنا كان فى الجاهلية ؛ فمعلوم ان سمية لم تكن لابي سفين ؛ كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة . لكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له ولم يكن لمعاوية منازع فى زياد . اللهم ان هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها . وهى ان الاخ اذا استلحق اخا يقول هو ابن ابى ولم يكن له منازع . بل كان وحده فقال ملك يرث ولا يثبت النسب في

وقال الشافعي فى احدى القولين يثبت النسب ويأخذ المال . هذا اذا كان المقر به غير معروف النسب . واحتج الشافعي بقول النبي صلى الله عليه وسلم هو لك ياعبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجر فقضى بكونه للفراش واثبات نسبة (١) . قلنا هذا جهل عظيم . (٢) وذلك ان قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بكونه للفراش صحيح . واما قوله بثبوت النسب فباطل . لان عبدا ادعى سببين احدهما الاخوة والثاني ولادة الفراش . فلو قال النبي صلى الله عليه وسلم هو اخوك الولد للفراش . لكان اثباتا للحكم وذكرا للعلة . بيد ان النبي صلى الله وسلم عدل عن الاخوة ولم يتعرض لها . واعرض عن النسب ولم يصرح به . وانما فى الصحيح في لفظ هو اخوك . وفى آخر هو لك . معناه فانت اعلم به . وقد مهدنا ذلك فى مسائل الخلاف . فالحرث بن كلدة لم يدع زيادا ، ولا كان اليه منسوبا وانما كان ابن امته ولد على فراشه اي في داره فكل من ادعاه فهو له الا ان يعارضه من هو اولى به منه . فلم يكن على معاوية فى ذلك مغمز ، بل فعل فيه الحق على مذهب ملك . فان قيل فلم انكر عليه الصحابة .

---

(١) خ النسب (٢) غفر الله لك لاينبغي ان يواجه مثل الشافعي بمثل هذه الشدة من الكلام

قلنا لانها مسئلة اجتهاد. فمن رأى ان النسب لا يلحق بالوارث الواحد انكر ذلك وعظمه. فان قيل ولم لعنوه وكانوا يحتجون بقول النبي صلى الله عليه وسلم. ملعون من انتسب لغير ابيه او انتمى الى غير مواليه. قلنا انما لعنه من لعنه لوجهين احدهما لانه اثبت نسبه من هذا الطريق. ومن لم ير لعنه لهذا لعنه لغيره. وكان زياد اهلا ان يلعن عندهم لما احدث بعد استلحاق معاوية. فان قيل جعل النبي صلى الله عليه وسلم للزنا حرمة، ورتب عليها حكما حين قال احتجبي منه يا سودة. وهذا يدل على ان الزنا يتعلق به من حرمة الوطئ ما يتعلق بالنكاح الصحيح. هكذا قال الكوفيون. ومالك فى رواية ابن القسم يساعدهم على المسئلة ولا يساعدهم على دليلها. من هذا الوجه. وقد بيناها فى كتاب النكاح. وقال الشافعي العذر فى امر النبي صلى الله عليه وسلم لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعه وصحة اخوته لها بدعوى عبد ان ذلك تعظيم لحرمة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لانهن لم يكن كاحد من النساء فى شرفهن وفضلهن. قلنا لو كان اخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم، ويكون قول النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفرش تحقيقا للنسب، لما منع صلى الله عليه

وسلم سودة منه كما لم يمنع عائشة رضي الله عنها مــن الرجل الذي قالت هو اخي من الرضاعة . وانما قال انظرن من اخوانكن . واما (١) روى عن سعيد بن المسيب فاخبر عن مذهبه فى ان هذا الاستلحاق ليس بصحيح . وكذلك راي غيره من الصحابة والتابعين وقد صارت المسئلة الى الخلاف بين الامة وفقهاء الامصار ، فخرجت من حد الانتقاد الى حد الاعتقاد . وقد صرح ملك في كتاب الاسلام وهو المــوطا بنسبه فقال فى دولة (٢) بني العباس (٣) زياد بن ابى سفيان ولم يقل كما يقول المخاذل زياد ابن ابيه . هذا على انه لا يرى النسب يثبت بقول واحد . ولكن في ذلك فقه بديع لم يفطن له احد . وهو انها لما كانت مسئلة خلاف ونفذ الحكم فيها باحد الوجهين لم يكن لها رجوع . فان حكم القاضي فى مسائل الخلاف باحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها . والله اعلم . واما روايتهم ان عمر قال كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس . فهذه زيادة ليس لها اصل ، من ناقص عقل . واي عقل كان لزياد يزيد على الناس فى ايام عمر وكل (٤) واحد مــن الصحابة كان اعقل من زياد

(١) لعل الاصل ما روي و سقطت ما . (١) اي وهو في ايامهم (٣) خ ان (٤) خ غلام كل واحد

واعلم منه . ولهذا كل من كمل عقله اكثر من لا خرفهو اولى ان يختلط مع الناس . ويقولون انه كان داهية . وهى كلمة واهية . الدهاء والارب هو المعرفة بالمعاني ، والاستدلال على العواقب بالمبادي . وكل احد من الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك البرودات التي يروي المؤرخون من كذبهم فى حيل الحرب والفتك بالناس كل احد اليوم يقدر على مثلها واكثر منها . والحيلة انما تكون بديهة وتثنا وتروى اذا وافقت الدين ، واما كل حكاية تخالف الدين فليس فى روايتها خير ولا عقل ، وكل الناس كما قدمنا — وخذ من ولاة بنى امية خاصة — اعقل من زياد وافصح منه ، فلا تلتفتوا الى ماروى من الاباطيل ، ❀ نكتة ❀ الولايات والعزلات لها معاني وحقائق لا يعلمها كثير من الناس ، لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات عن زهى اثني عشر الفا من الصحابة معلومين منهم الفان او نحوهما مشاهير في الجلالة ، ولى منهم ابوبكر سعدا وابا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل ونفراغيرهم فوقهم ، وولى انس بن ملك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى عتاب ، ومتى كان استوفى المشيخة حتى ياخذ الشبان

وولى عمر ايضا كذلك وبادر بعزل خلد . وذلك كله لفقه عظيم ومعارف بديعة بيانها فى موضعها من كتب الامامة والسياسة من الاصول فخذوا فى غير هذا فليس هذا الباب مما تلوكه اشداق اهل الاداب واما ماروى عن معوية انه استدعى شهودا فشهد السلولي وسواه ، فسل من الحق ماروى عل السلولي فانه لم يكن قط . واسعد باسقاط ماروى فى القصة سعيدا وسعدو اما كلام ابى بكرة(١) لامه فيه فغير ضائر له لان ذلك رأى ابى بكرة واجتهاده . واما قولهم فيها عن ابى بكرة انه زنى امه . فلو كان ذلك صحيحا لم يضر امه ماجرى في الجاهلية فى الدين . فان الله عفا عن اهل الجاهلية كلها بالاسلام ، واسقط الاثم والعار منه فلا يذكره الا جاهل به . قال القاضي ابوبكر رضى الله عنه والناس اذا لم يجدوا عيبا لاحد وغلبهم حسدهم عليه وعداوتهم له احدثوا له عيوبا ، فاقبلوا الوصية ، ولا تلتفتوا الا الى ماصح من الاخبار . واجتنبوا كما ذكرت لكم اهل التواريخ . فانهم ذكروا عن السلف اخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك الى رواية الاباطيل . فيقذفوا كما قدمنا فى قلوب الناس مالا يرضاه الله تعالى . وليحتقروا السلف

---

(١) خ لاخيه لامه .

ويهونوا الدين . وهو اعز من ذلك . وهم اكرم منا . فرضى الله عن جميعهم . ومن نظر الى افعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلق اهـل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء ، وهذا زياد لما احس المنية استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته . وكيف يظن به على منزلته انه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ماهو عليه من الصحبة ، وذلك من غير اكراه ولا تقية ، ان هذا لهو الدليل المبين ، فمع من تحبون ان تكونوا ، مع سمرة بن جندب ، اومع المسعوديى والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم ، وهذا غاية فى البيان ، ❁ قاصمة ❁ كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية ، فلما جاء الاسلام بالحق ، واظهر الله منته على الخلق ، قال سبحنه ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال لنبيه « لوانفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ، فكانت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم يجمعهم ويجمع شملهم ويصلح قلوبهم ويمحو ضغائنهم ، واستاثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم ونفرت النفوس وتماسكت الظواهر منجرة (١) مادام الميزان قائما ، فلما رفع الميزان

(١) او منجزة ،

كما تقدم ذكره فى الحديث اخذ الله القلوب عن الالفة ، ونشر
جناحا من التقاطع حتى سوى جناحين بقتل عثمن فطار في الافاق ،
واتصل الهرج الى يوم المساق ، وصارت الخلائق عزين فى كل واد
من العصبية يهيمون ، فمنهم بكرية ، وعمرية ،وعثمانية ، وعلوية ،
وعباسية ، كل يزعم ان الحق معها وفى صاحبها والباقى ظلوم غشوم ،
مقتر من الخير عديم وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وانما هى
حماقات وجهالات او دسائس للضلالات • حتى تضمحل الشريعة
وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم
في غير مسير ولا مذهب قالت البكرية ابوبكر نص عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ورضيته الامة للدنيا ، وكان عند النبي
صلى الله عليه وسلم بتلك المنزلة العليا والمحبة الخالصة ، وولي فعدل ،
واختار فاجاد • الا انه او هم فى عمر فان امره غليظ وفضاضته غلبت •
وذكروا معايب • واما عثمن فلم يخف ماعمل ، وكذلك علي • واما
العباس فغير مذكور • وقالت العمرية اما ابوبكر ففاضل ضعيف ،
وعمر امام عدل قوي بمدح النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
الرؤيا والدلو والعبقري كما تقدم • واما عثمن فخارج عن الطريق

مااختار واليا ، ولا وفى احدا حقا ؛ ولا كف اقاربه ؛ ولا اتبع سنن من كان قبله . واما علي فجريئي علي الدماء ؛ لقد سمعت في مجالس ان ابن جريج كان يقدم عمر علي ابى بكر ؛ وسمعت الطرطوشى يقول لو قال احد بتقديم عمر لتبعته ؛ قالت العثمانية عثمان له السوابق المتقدمة ؛ والفضائل والفواضل في الذات والمال ؛ وقتل مظلوما ؛ وقالت العلوية علي ابن عمه وصهره وابو سبطى النبى صلي الله عليه وسلم وولد النبى حضانة ؛ وقالت العباسية هو ابو النبي صلي الله عليه وسلم واولاهم بالتقديم بعده ؛ وطولوا فى ذلك من الكلام مالا معنى لذكره لدناءته ؛ ورووا احاديث لايحل لنا ان نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها ؛ واكثر الملحدة علي التعلق باهل البيت وتقدمة علي علي جميع الخلق ؛ حتى ان الرافضة انقسمت الى عشرين فرقة اعظمهم بأسا من يقول ان عليا هو الله ؛ والغرابية يقولون انه رسول الله ؛ لكن جبريل عدل بالرسالة عنه الى محمد حمية منه معه في كفر بارد لا يسخنه الاحرارة السيف ؛ فاما دفء المناظرة فلا يوثر فيه ﴿عاصمة﴾ انما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق ؛ وخاصة من المفسرين والمؤرخين واهل الآداب ؛ فانهم اهل

جهالة بحرمات الدين ، او على بدعة مصرين . فلا تبالوا عما رووا ولا تقبلوا رواية الا عن ائمة الحديث . ولا تسمعوا لمورخ كلاما الا للطبرى وغير ذلك هو الموت الاحمر ، والداء الاكبر ، فانهم ينشئون احاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال فى الاقوال والافعال عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين الى الدنيا ، وعن الحق الى الهوى . فاذا قطعتم اهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الحبائل ، ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن اشد شيء على الناس جاهل عاقل ، او مبتدع محتال ناما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب الامامة والسياسة ان صح عنه جميع مافيه . وكالمبرد فى كتابه الادبي . واين عقله من عقل ثعلب الامام المتقدم فى اماليه . فانه ساقها بطريقة ادبية سالمة من الطعن على افاضل الامة . واما المبتدع المحتال فالمسعودي . فانه ياتي منه متاخمه (١) الالحاد فيما رواه من ذلك ، واما البدعة فلا شك فيه . فاذا صنتم اسماعكم وابصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا فى خليفة ممن نسبت اليه مالا يليق

(١) هذا اقرب ماظهر

ويذكر مالا يجوز فعله ، كنتم على منهج السلف سائرين ، وعن سبيل الباطل ناكبين . فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطاه وابرزه في جملة قواعد الشريعة ، وقال في رواية عن زياد بن ابي سفيان فنسبه اليه وقد علم قصته . ولو كان عنده مايقول العوام حقا لما رضي ان ينسبه ولا يذكره في كتابه الذي اسسه للاسلام . وقد جمع ذلك كله في ايام بني العباس والدولة لهم والحكم بايديهم فما غيروا عليه ولا انكروا ذلك منه لفضل علومهم ومعرفتهم بان مسئلة زياد مسئلة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها . فلم يكن لاعتراضهم اليها سبيل وكذلك اعجبهم حين قرا الخليفة على ملك الموطا ذكر عبد الملك بن مروان فيه وان كان بقضائه . لانه اذا احتج العلماء بقضائه (١) فسيحتج لقضائه (٢) ايضا مثله . واذا طعن فيه طعن فيه بمثله . وخرج البخاري عن عبد الله ابن دينار قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب اني اقر بالسمع والطاعة لعبد الملك امير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله مااستطعت ، وان بني قد اقروا بمثل ذلك .

(١) اي عبد الملك (٢) اي الخليفة العباسي

وهذا المامون كان يقول بخلق القرءان وكذلك الواثق واظهروا بدعتهم وصارت مسئلة معلومة . اذا ابتدع القاضي والامام هل تصح ولايته (١) وتنفذ احكامه ام هي مردودة . وهى مسئلة معروفة . وهذا اشد من مردودات اصحاب التواريخ من ان فلانا الخليفة شرب الخمر او غنى او فسق وزنا ، فان هذا القول فى القرءان بدعة او كفر على اختلاف العلماء فيه قد اشتهروا به وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها ان كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم باقوال المغنين(٢) والمراد من المورخين قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصي على الناس ؛ وليقولوا اذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا . وساعدهم الرؤساء على اشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل افعالهم حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ؛ وحتى سامحوا للجاحظ ان تقرا كتبه فى المساجد . وفيها من الباطل والكذب والمناكر (٣) ونسبة الانبياء الى انهم ولدوا لغير رشدة كما قال فى اسحق صلى الله عليه وسلم فى كتاب الضلال والتضلال (٤) وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة فى انكار الصانع ؛ وابطال الشرائع . لما لوزرائهم وخواصهم

---

(١) في الاصل او (٢) هذا اقرب ما ظهر (٣) اقرب ما ظهر (٤) يريد كتاب البيان للجاحظ

فى ذلك من الاغراض الفاسدة ؛ والمقاصد الباطلة . فان زل فقيه ؛ او اساء العبارة عالم يكن ماساء النار في راس كبكبا . وبالوقوف على هذه الفصول تحسن نياتكم (١) ؛ وتسلم عن التغير قلوبكم على من سبق . وقد بينت لكم انكم لا تقبلون على انفسكم فى دينار بل فى درهم الا عدلا بريا من التهم سليما من الشهوة . فكيف تقبلون فى احوال السلف وما جرى بين الاوائل من ليس له مرتبة فى الدين فكيف فى العدالة . فرحم الله عمر بن عبد العزيز حيث قال وقد تكلموا في الذي جرى بين الصحابة تلك امة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون . ❁ قاصمة وعاصمتها ❁ قال النبي صلي الله عليه وسلم انزل القرءان علي سبعة احرف فاقرءوا ماتيسر منه . عظم الناس هذا الحديث وتكلموا علي معناه واختلفوا فيه . وقد بينت اقوالهم وحررت مقاطع الكلام فى جزء مفرد وقع منثورا حيث ماجاء الكلام عليه من الامالي . ومعنى الكلام ان الله وسع علي هذه الامة واذن للصحابة فى ان يقرا كل احد بما استطاع من لغته ولذلك اذن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهشام بن حكيم

---

(١) اقرب ماظهر

في قراءتهما وكانا قرشيين واذن لابي بن كعب الانصاري فى القراءة بان يقرأ كل واحد منهما بما كان قرأ . قال ابي فدخل قلبي مالم يدخله قط مذ اسلمت فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرءان انزل على سبعة احرف فاقرءوا ماتيسر منه واستمرت الحال هكذا حياة النبي رخصة من الله وتوسعة على الخلق . اذ لو كلفوا ان يقرأوا اللغة (١) التي نزل القرءان بها وهى لغة قريش لنفر قوم وشق على آخرين . والشريعة سمحة ولم يزل جبريل يتعاهد النبي صلى الله عليه وسلم فى رمضان ويدارسه ، حتى كان العام الذي توفى فيه دارسه مرتين . فيقال النبي صلى الله عليه وسلم ارى اجلى قد حضر . والنبي يضبط كل الذي يدارسه به ويمليه على كتابه ويبدلا فى الصحف ثم استاثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم واشتعلت الفتنة وانشغلت الصحابة بتمهيد الاسلام ، وتوطيد الدين ، وتاليف القلوب على شعائر الاسلام . فلما كان يوم اليمامة فى عهد ابى بكر واستحر القتل بالقراء قال زيد بن ثابت فارسل الي ابوبكر فجئته فاذا عمر عنده فقال لي ابوبكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قداستحر بقراء القرءان ، وانى

---

(١) او باللغة

اخشى ان يستحر القتل بهم في المواطن كلها فيذهب قرءان كثير .
وذكر الحديث المتقدم فى ذكر عثمن رضي الله عنه الى قوله ووجدت
آخر سورة التوبة عند خزيمة بن ثابت . فنفذ وعد الله فى ذلك بالحفظ
على يدي شرفى الاسلام ، وكريمي الدنيا والاخرة ، وسيدي كهول
اهل الجنة من الاولين والآخرين . وكان هذا اصلا في استعمال
الرأي في الدين ، والحكم من المصالح والمعانى بما لم يكن ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان زمان عثمان تمم هذه البقية على
يديه . فجاءه حذيفة وكان يغازي فتح ارمينية واذربيجان فقال ياامير
المؤمنين ادرك الناس قبل ان يختلفوا فى القرءان كما اختلفت اليهود
والنصارى . وكانت الصحف الاول قد استقرت عند ابى بكر
ثم عند عمر ثم عند حفصة فارسل عثمن الى حفصة ان ارسل (١) الى
بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك . فارسلت حفصة الى
عثمن بها . فارسل عثمن الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاصي وعبد
الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن الزبير ان انسخوا الصحف
فى المصاحف فبعث عثمن الى كل افق بمصحف . وقال زيد فقدت اية من

(١) المتعين ارسلي

سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرؤها من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فوجدها مع خزيمة ابن ثابت ، قال الزهري فاختلفوا يومئذ في التابوت او التابوه فقال عثمن اكتبوه بالتاء فان القرءان نزل بلغة قريش ـ وكتبت الصحف ووجه بها عثمان الى الآفاق ـ انتهى الحديث الصحيح ـ ثم روى بعد ذلك انه كتب سبع مصاحف مصحف لمكة وللبصرة وللكوفة وللشام ولليمن وللبحرين وحبس عنده واحدا ـ فاما مصحف اليمن والبحرين فلم يسمع لهما خبر • ويروى انه ارسل ثلاثة مصاحف الى الشام والعراق واليمن • وروى انه ارسل اربعة الى الشام والحجاز والكوفة والبصرة وحبس واحدا عنده • وهو الاصح • وكانت هذه المصاحف تذكرة لئلا يضيع القرءان وتبصرة لئلا يضل الخلق بالاختلاف • فانهم لو قرءوا آخرا كما كانت قراءتهم اولا لم ينضبط الامر وكان الخرق يتسع والاختلاف يقع فنسخ الاجماع الرفق المتيسر في اول الاسلام بالمصلحة المتحققة آخرا في ضبط الامر ورده الى القانون الذي نزل القرءان عليه فكانت المصاحف اصلا ، وكانت القراءة رواية اقرات الصحابة التابعين • وكان نقل المصحف الى نسخه

علي التيحو الذي كانوا يكتبونه لرسول الله صلي الله عليه وسلم كتابة عثمن وزيد وابي وسواهم من غير نقط ولا ضبط • واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس علي مافى المصحف نوع من الرفق فى القراءة باختلاف الضبط ، وفى اثناء النقل اختلفت المصاحف فى احرف يسيره اربعة او خمسة ثم زاد الامر الى ان اختلفت القراء (١) فى زيادة اربعين حرفا•منهاواو والف وياء •واما كلمة فلم يكن الا في حرفين احدهما في التوبة والاخر فى الحديد . فان الله هو الغني الحميد زيادة هو قرات الجماعة الا نافعا وابن عامر . وهذا امر يسير لا يؤثر فى الدين ولا [illegible] من حفظ القرءان•وقدرويت احرف كثيرة زيدت من غير هذه الروايات المعروفة . فان قيل فهذه الروايات المعروفة ماشانها ، هل عندك بيانها . قلنا نعم قد تكلم عليها العلماء ، وتعاطاها من اهلها من ليس من اهلها كما جرى في كل علم . فذكر ابو حاتم القراء وقراءاتهم واسقط حمزة والكسائي وابن عامر وزاد عشرين رجلا ، وجمع ابو عبيد قراءات ، وجمع اسماعيل القاضي ، وجمع ابن مجاهد وعد يعقوب من السبعة ثم اسقطه بعد (٢) ان تكلم فيه

---

(١) او القراءة (٢) خ اذ

وذكر الكساءى والكساءى من حمزة كيعقوب من ابي عمرو . وقد قرأ ابو عمر على ابن كثير . وقد ذكر الطبري في (١) كتاب القراءات وذكر نحوا من عشرين قاريا . ذلك كله لتعلموا ان ضبط الامر على سبع قراء ليس له اصل في الشريعة . وقدجمع قوم ثماني قراءات ، وقد جمع آخرون عشر قراءات . — والاصل في ذلك كله عندي — ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال انزل القرءان على سبعة احرف انقسم الحال بقوم ، فظن جاهلون انها سبع قراءات ، وهذا مالا يصح في علم عالم . وتيمن آخرون بهذا اللفظ فقالوا تعال فلنجمع سبع قراءات . وكانت الامصار جمة وقد جمع قراؤها وقراءتها حتى خطر هذا الخاطر لمن خطر فجمع السبع وهو ابن مجاهد وذكر يعقوب فاسقط بالسلطان ، وذكر الكساءي ، والزمت المملكة ذلك للناس فجرى القول فيه كذلك ، وجرت القراءة على حرف ابي عمرو بالعراق الى اليوم . ولما ظهرت الاموية على المغرب وارادت الانفراد عن العباسية وحدت (٢) المغرب على مذهب الاوزاعى تاقامت فى قولها رسم السنة ، واخذت بمذهب اهل

---

(١) اقرب ما ظهر (٢) الظاهر وجدت

المدينة في (١) فقههم وقراءتهم ، وكانت اقرب من اليهم قراءة ورش ، فحملت روايته) والزم الناس بالمغرب حرف نافع ومذهب ملك فجروا عليه وصاروا لا يتعدونه وحمل حرف قالون الى العراق فهو فيه اشهر من ورش . وكذلك هو فان اسماعيل القاضي نوه بذكر قالون . فاما ورش فلم يحمل عنه من له ظهور في العلم . ودخلت بعد ذلك الكتب وتوطدت الدولة فاذن في سائر العلوم وترامت الحال الى ان كثرت الروايات في هذه القراءات . وعظم الاختلاف حتى انتهت في السبع الى (٢) الف وخمسمائة رواية ، وفي شاذ السبع الى) نحو الخمس مائة . واكب الخلق على الحروف ليضبطوها فاهملوها ، وليحصروها فارسلوها الى غير غاية . واراد بعضهم ان يردها الى الاصل فقرأ بكل لغة وقال هذه لغة بني فلان وهذه لغة بني فلان .قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ، وبعد ان ضبط الله الحروف والسور لا تبالون بهذه التكليفات ، فانها زيادات في التشغيب وخالية من الاجر ، بل ربما دخلت في الوزر . ولقد انتهى التكليف بقوم الى ان رووا في بعض سور

(١ و ٢) ما بين هلالين مخرج بالهامش على انه في نسخة

القرءان التهليل والتكبير . وما ثبت ذلك قط عن عدل ولا نقل في صحيح . وانتهت الحال ببعضهم الى ان يرون البسملة عند كل ابتداء كان فى اول السورة اولم يكن ، حين راى بعضهم قد قال لا نبسمل الا فى سورة مخصوصة ، يتصل اول سورة بآخر اخرى على التضاد فيفصل بالبسملة . وغفل عن نوع كثير في القرءان من ذلك كان ينبغي ان يبسمل فيه او يستعيذ لئلا يتصل الشيء بنقيضه في المعنى . فلئن قال ان قوله فى آخر الفجر وادخلى جنتي لا بد ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم ، وحينئذ لا اقسم لئلا يتصل قولك لا بقولك ادخلى جنتي . يقال له فكيف يتصل قوله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله ، وهذا لازم . حتى انتهت الجهالة الى البدعة بقوم فكان المقري منهم بمكة فى عشر الخمس مائة يبسمل فى سورة براءة ويتلوه ويرويه . وهذه بدعة خرقت اجماع الصحابة والامة ، وهو كله كذب موضوع . يلزم رواتها الادب ، وقائلها الاستتابه . ❀ كيفية القراءة اليوم ❀ قال بعضهم نقرا بما اجتمعت فيه ثلاثة شروط ما صح نقله ، وصح فى العربية لفظه ، ووافق خط المصحف . وقال

اسماعيل القاضي ما وافق خط المصحف يقرا به • وهذا كله انما
اوجبه ان جمع السبع لم يكن باجماع ، وانما كان باختيار من
واحد أوآحد . والمختار ان يقرا المسلمون على خط المصحف بكل
ما صح فى النقل ولا يخرجوا عنه ولا يلتفتوا الى قول من يقول
نقرا السورة الواحدة او القرءان بحرف قارئى واحد . بل يقرا بايى
حرف اراد • ولا يلزمه ان يجعل حرفا واحدا ديدانه ولا اصله •
والكل قرءان صحيح • وضم حرف الي حرف وقارئى الي قارئ ، ليس
له في الشريعة اصل • وما من القراء واحد الا وقد قرا بما قرا به
الآخر . وانما هذه اختياراتهم . وليس يلزم اختياراتهم احدا فانهم
ليسوا بمعصومين ولا دل دليل على لزوم قول واحد من الصحابة
فكيف بهؤلاء القراء . ولكن لما صارت هذه القراءة صناعة رفرفوا
عليها وناضلوا عنها وافنوا اعمارهم من غير حاجة اليهم فيها ، فيموت
احدهم وقد اقام القرءان كما يقام القدح لفظا ، وكسر معانيه كسر
الاناء فلم يلتئم عليه منها معنى . ولا فرق بين ان يقرا كتاب ابي
عبيد او الطبري • وهي خير من كتاب ابن مجاهد واصح • فعلي
احدهما عولوا ان اردتم النظر في شيء من ضبط الحروف ، فان

قيل فما صح سنده من القرءان وخالف خط المصحف ، ماذا ترون .
قلنا لا يقرا به بحال فان الاجماع قد انعقد على تركه ، الا ترى الى
ابن مسعود ، كره نسخ زيد بن ثابت للمصاحف وقال يامعشر المسلمين
اعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه
لفي صلب رجل كافر . يريد زيد بن ثابت . وقال ابن مسعود ياهل
العراق ان الله يقول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة . وانا غال
مصحفي فمن استطاع منكم ان يغل مصحفه فليفعل . فكره ذلك
من مقالة ابن مسعود رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية اتامروني ان اقرا على قراءة زيد ولقد حفظت من في رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا سورة وانه لفي صلب كافر . قلنا هذا
كله صحيح وقد بينا انه كان يقرا هو وابي وزيد وعمر وهشام وكل
احد والنبي يقرئ الكل . ثم حدث من الامر كما قدمنا ، واستقرت
الحال كما بينا . فكان الواجب على ابن مسعود وسواه ان يرجع
الي المتفق عليه . ولا حجة لابن مسعود على عثمن في اختياره
لزيد ، فان ابا بكر وعمر قد اختاراه وعبد الله بن مسعود حي
حاضر وسواه ، واعلموا بهذا وغيره ان عثمن مظلوم في كل ما يوخذ

عليه فيه فان (١) اقتدى بمن سبقه من الخلفاء ثم يخص بالملامة دونهم . وهذا من فساد الناس وقلة انصافهم ٠ ❀ سبب الاختلاف ❀ وقد قال بعض الناس ان سبب اختلاف القراء بعد خط المصحف ان الناس كانت لهم قبل ارسال عثمن المصاحف قراءات فلما ردوا الى خط المصحف التزموا ذلك فيما كان محفوظا وقرأ كل واحد بما كان عنده ملفوظا مما لم يعارض الخط وهذا ممكن ظاهر . والذي (٢) قلناه هو الاصل الذي يعول عليه . والله الموفق للصواب برحمته . والذي اختاره لنفسي اذا قرأت ، اكثر الحروف المنسوبة الى قالون الا الهمز فاني اتركه اصلا الا فيما يحيل المعنى او يلبسه مع غيره او يسقط المعنى باسقاطه . ولا اكسر باء بيوت ، ولا عين عيون فان الخروج من كسر الى ياء مضمومة لم اقدر عليه . ولا اكسر ميم مت . وما كنت لامد مد حمزة ، ولا اقف على الساكن وقفته . ولا اقرأ بالادغام الكبير لابي عمرو ولو رواه في تسعين الفا قراءة ٠ فكيف في رواية بحرف من سبعة احرف ولا امد ميم ابن كثير ٠ ولا اضم هاء عليهم واليهم وذلك اخف ٠ وهذه كلها او اكثرها عندي

---

(١) كذا بالاصل والظاهر فانه (٢) هو قوله سابقا والمختار الخ

لغات لا قراءات لانها لم يثبت منها عن النبي صلى الله عليه وسلم شي • واذا تأملتها رأيتها اختيارات مبنية على معان ولغات (١) واقوى القراءات سندا قراءة عاصم عن ابن عبد الرحمن عن علي ، وعبد الله بن عامر • فما اجتمع رواة هؤلاء عليه فهو ثابت وقراءة ابي جعفر ثابتة صحيحة لا كلام فيها • وطلبت اسانيد الباقين فلم اجد فيها مشهورا ، ورأيت امرها على اللغات وخط المصحف مبنيا • والله اعلم • ❀ قاصمة ❀ ولما نزلت هذه العواصم منازلها ، واصابت من القواصم شواكلها ، وخلصت العقائد من شبهاتها في قواعدها ، وحملت سائر حملها (٢) على معاقدها التي ربطناها لها ، واستمين عليها بما قرره العلماء في كتبهم ، وبما اومانا نحن اليه في تعالقنا — عطفنا عنان القول على مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى •

---

(١) بهامش الاصل ما نصه : قال العلامة المجيد سيدي محمد بن غازي (ببياض) على البخاري ما نصه لعل تقف على كلام القاضي ابي بكر بن العربي في كتاب العواصم والقواصم حيث طعن في بعض المقارئى السبعة فاعطه الاذن الصماء فان يد الله مع الجماعة. وقد حدثنا الاستاذ ابو عبد الله الصغير عن شيخه الاستاذ ابى العباس بن ابى موسى الفيلالى انه كان يحذر من ذلك كثيرا انتهى فاعرفه لكاتبه احمد بن عبد الله السوسي غفر الله له بفضله ورحمته امين انتهي ما بالهامش (٢) الظاهر جملها

وقد كانت على مرتبتها (١) في الصدر الاول ثم نزلت حتى كثرت البدع ،وذهب العلماء، وتسترت المبتدعة بالشريعة فتماطت منصب الفقهاء ، وتعلقت اطماع الجهال بها فنالوها بفساد الزمان و بنفوذ وعد الصادق في قوله اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا • ونحن نعقد في ذلك عواصم يكون رشداً من الضلال ، وسلما من الخبال ، و يقينا من الخيال • وذلك يبين في تعداد القواصم واتباعها في عواصمها • ❀ قاصمة ❀ في حكاية سبب هذا الخبال • فان من عرف السبب امكنه دفع المسبب بقطع سببه • واما ترك المسبب مع ابقاء سببه كما كان قبل قطعه • (٢) وكان سبب ذلك ان الفتن ضربت رواقها ، وتقاتلت العباسية والاموية ، و بعدت اقطار الاسلام ، وتعذر ضبطها بالنظام ، وانتشرت الرعية ، ونفذ الى هذه البلاد بعض الاموية ، فالفى هاهنا عصبية ، فثاروا به واظهر الحق وقال احيي السنة فلا فقه الا فقه اهل المدينة ولا قراءة الا قراءتهم • فالزموا الناس العمل بمذهب ملك والقراءة على قراءة نافع ولم يمكنهم من النظر والتخيير

(١) الضمير يعود الى الفتوى (٢) جواب اما ساقط من الاصل فيقدر بلا يفيد ونحوه

في (١) مقتضى الادلة متى خرج ذلك عن راي اهل المدينة . وذلك لما رأوه من تعظيم ملك لسلفهم ، ولما ارادوه من صرف القلوب اليهم في تعلقهم بسيرة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار نبوته ومقر سنته . فصار التقليد دينهم ، والاقتداء يقينهم . فكلما جاء احد من المشرق بعلم دفعوا في صدره ، وحقروا من امره الا ان يستتر عندهم بالمالكية ، ويجعل ما عنده من علوم على رسم التبعية ، منهم بقي بن مخلد ، رحل فلقي علماء الامة وسادة العلم ورفعاء الملة كاحمد بن حنبل . واكرم فارتبط ، وظفر فاغتبط . وحل(٢) بعلم عظيم ودين قويم ، ولم يكن له ان يرتبط بمذهب احد وقد كان رقى في العلم يفاعه مع تفتن في العلوم ومنة في نفسه • وجاء ابن وضاح بمثله . فاما بقي بن مخلد فكان مهجورا حتى مات واما ابن وضاح فلقي سحنون وتشرف باصحاب ملك وتناهد ليحي بن يحي واعان المطالب ليني(٣) شهادة فكانه رقي المنازل وطار في الدولة بجناح . وبقيت الحال هكذا فماتت العلوم الا عنه آحاد في (٤) جرى من الحديث . واستمرت القرون على موت العلم وظهور

(١) خ على (٢) او وصدرا وو حد (٣) هذا اقرب ما ظهر (٤) اوخبي

الجهل فكل من تخصص لم يقدر على اكثر من ان يتعلق ببدعة الظاهر فيقول اتبع الرسول فكان هذا عونا على الباطل وذلك بقدر الله وقضائه . ثم حدثت حوادث لم يلقوها في منصوصات المالكية فنظروا فيها بغير علم فتاهوا وجعل الخلف منهم يتبع فى ذلك السلف حتى آلت الحال ان لا ينظر الى قول ملك وكبراء اصحابه ويقال قد قال في هذه المسئلة اهل قرطبة واهل طلمنكة واهل طلبيرة واهل طليطلة فانتقلوا من المدينة وفقهائها الى طلبيرة وطريقها . (١) وحديث ❀ قاصمة ❀ اخرى فى تعلم العلم فصار الصبى عندهم اذا عقل فان سلكوا به امثل طريقة لهم علموه كتاب الله فاذا حذقه نقلوه الى الادب فاذا نهض منه حفظوه الموطا فاذا لقنه نقلوه الى المدونة ثم ينقلوه الى وثائق ابن العطار ثم يختمون له باحكام ابن سهل فيقال قال فلان الطليطلي وفلان المجريطى وابن مغيث لا اغاث الله نداه ، ولا انا له رجاه ، فيرجع القهقري ابدا الى (٢) ورأي (٣) الى امة الهاويه . ولولا ان طائفة نفرت الى دار العلم

---

(١) كذا بالاصل والظاهر وحدثت وقاصمة فاعل (٢) اقرب ما ظهر من المحو (٣) كذا بالاصل ولعل الظاهر وراء

وجاءت بلباب منه كالاصيلي والباجي فرشت من ماء العلم على هذه القلوب الميتة، وعطرت انفاس الامة الزفرة، لكان الدين قد ذهب. هذا مع انه قد رحل قوم من الضلال كمسلمةبن قاسم ومحمد بن مسرة فجاءوا بكل مضرة ومعرة. ورحل البلوطي فلقي الجباءى وجاء ببدعة القدرية في الاعتقاد، ونحلة الداوودية في الاعمال. ولكن تدارك الباري بقدرته ضرر هؤلاء بنفع اولئك، وتماسكت الحال قليلا. فاذا حلت بمسلم نازلة في اعتقاده لقي قاصمة الدهر من عقائدالبلوطي ومسلمة وابن مسرة فاشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وراوه(١) انهم لا يالونه تحقيقا وبرهانا. او يصادف في دينه العملي داووديا فاذا بدينه قد تدود، ونظام شرعه قد تبدد. فان لقي مالكيا وهي اشبه الحال فتعرض عليه عقيدته فيحمله على الحق من غير قصد فيحصل السائل على الاجر، ويبوء هو بالوزر. قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضى بغير حق وهو يعلم فذاك في النار، وقاض لا يعلم فاهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فهو في الجنة. وان

(١) خ اروه وهي الظاهر

ساله عن مسئلة من عمله في الدنيا لم يقف عند سواله ولكنه ان كانت فى حكومة لقنه وتلقين الخصم فيه ما فيه . وان كانت فيما يختص به مثل يمين ساله عن كيفية يمينه وسببها وبساطها ونيته فيها وجعل يقلبه (١) فى الذروة والغارب لعله ان يصرفه بالخيبة عما رجاه في تلك القضية وهذه جهالة عظمي . ❀ قاصمة ❀ فان ظهر عندهم من له معرفة او جاءهم بفائدة فى الدين ، وطريقة من سلف الصالحين ، وسرد لهم البراهين (٢) (عدموا جوانبه ، ونبحوا عجائبه ، وعيبوا حقه) استكبارا وعتوا ، وجحدوا عليه وقد استيقنته انفسهم ظلما وعلوا ، وسعوا في اخمال ذكره ، وتحقير قدره ، وافتعلوا عليه ، وردوا كل عظيمة اليه . ❀ قاصمة ❀ هذا الذي قدمنا ذكره من فساد الزمان وتغير الاحوال قد انذر به المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه كما قدمنا واخبر بان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا وان المنكر يصير معروفا والمعروف منكرا . ومع هذا فانه قال لا تزال طائفة من امتى منصورين على الحق لا يضرهم من خالفهم . وتدعى كل طائفة ذلك . زين لها عملها

(١) كذا بالاصل والظاهر يفتله (٢) ما بين الهلالين هذا اقرب ماظهر من المحو والتخريج

وجاءها كتابها واجلها . وعلى المرء ان يجتهد في ابراز الدليل واظهار الحق . والهدى هدى الله يهبه لمن يشاء . واذا بان الدليل يبقى خلق القبول . ولا ابين من ادلة الله تعالى على يدي رسول الله بآياته الظاهرة ثم يبقي القبول على قوم كثير لم يرزقوه . والذي يجب على الولي في الصبي المسلم (١) كان ابا او وصيا او حاضنا او الامام اذا عقل ان يلقنه الايمان ويعلمه الكتابة والحساب ويحفظه اشعار العرب العاربة ويعرفه العوامل في الاعراب وشيئا من التصريف ثم يحفظه اذ استقل واستبد في العشر الثاني كتاب الله وهو امر وسط متساو بين اهل المشرق ثم يحفظ اصول سنن الرسول وهي نحو من الفي حديث في الابواب نظمها البخاري ومسلم هي عماد الدين ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرءان ومعاني كلماته ولايشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير . وما الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كنقطة من بحر . وليحذر كتب الصالحين ومن ينتمي الي الوعظ فانهم لم يالوا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد وبغير قصد . ولا كتاب يعول

(١) في خ اذا كان

على حديث (١) منها الا كتاب ابن المبارك واحمد بن حنبل وهناد بن السري . ولا يفرط في علم الفرايض فانها اصل الدين وهو اول ما يذهب من المسلمين فبالسنة يفرضها وبالحساب يقسمها . ولا يخلي نفسه عن الانساب ، ولا عن شيء من الطب. [٢] وليتخذ عبارة الرؤيا اصلا . ولا يقل متى احصل هذا . فانه ليس المطلوب منها الغاية فانها لا تنالها الا الا فراد . وانما ينبغي لكل عاقل ان يتخصص بجزء جزء منها ولا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون انسانا في الذي يعلم بهيمة فيما لا يعلم . ولا سيما من اقام عمره حاسبا او نحويا فقد هلك فانه بمنزلة من اراد صنعة شيء فشحذ الآلة عمره ثم مات قبل عمل صنعته ولا يصغ الى من يقول له تكن مقصرا في كل علم اذا فعلت هذا والاولى بك ان تقف نفسك على علم واحد ، فانه قول جاهل بالعلم . اذا اخذ المرء نفسه بهذا القانون الذي رسمناه سيعتمد على ما يراه او كد ويجعل الباقي تبعا . وانبئكم اني ما رايت بعيني محيطا بهذه العلوم التي ذكرت لكم ولا مشاركا فيها الا واحد فبان ان الاحاطة غير ممكنة والمشاركة ممكنة والاحاطة بعلم

(١) الظاهر حديثه (٢) خ اصول الطب

واحد غير ممكن، هـذا النحو ما علمت مـن احـاط به الا سيبويه والفارسي البدعي وقد افسدت عليه بدعته كثيرا من نحوه . واذا فهمت هذا فلا تنكر ان لاتجد عالما ان وجدته الا واحدا فان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا حتى انه لما بدا واحد لابدان يعود الى واحد لا سيما في البلاد القاصية ، والثغور النائية وحيث يكون الثوار لبعدهم عن مقر الخلافة ومعدن الامامة . ولو شاهدتم الشام والعراق في عشر تسعين واربعمائة لرايتم دينا ظاهرا وعلما وافرا ، وإمنامتسقا ، وشملا منتظما ، لا تمكن عبارة عنه، لبهرة حاله ، وزهرة كماله فهبت عليه من المقادير جرجف من شمائل وجنائب فتركت الشام كامس الذاهب ، ومحت كابت الاسلام عن المسجد الاقصى ، وقتل فيها في غداة الجمعة لاثني عشر بقيت لشعبان سنة اثنين وتسعين واربعمائة ثلاثة آلاف ما بين عابد وعالم ذكر وانثى ومعتكف من مشهور الحالة ، ومذكور بالديانة . وفيها قتلت العالمة الشيرازية بقية [١] السلسلة فى جملة النساء . وبموت الملك العادل في سنة ست وثمانين وبموت المقتدى

---

(١) خ ويقية وهو الظاهر

بالله ظهرت الفتـنة بارض خراسان قامت الباطنية واختلفت اولاده •
وتمكنت الروم ثغرت الشام واستولت على ثالث مشاهد الاسلام،
وخرجت وقد اخـذت من ابي جـاد الى حطى • وبلغنى انهـا قد
استولت [١] منه الظاية الساكنة • وقد ذكرت في ترتيب الرحلة
من سيرة القضاة والفقهاء وانتسابهم [٢] للاقضية والاحكام ما
فيه كفاية • لقد كنت يوما جالسا بمدرسة الشافعي بباب الاسباط
في المسجد الاقصى وقد انعقد على الطوائف من الشافعية والحنفية
وهم في مجلس النظر فاذا سائل قد وقف علينـا وخاطب صاحب
المدرسة القاضى الرشيد يحي ابن مفرج المقدسي وكان امن اصحاب
نصر فقال له حلفت بالطلاق ثلاثا من امراتى الا آكل جوزا ثم اكلتها
ناسيا فنظر اليهم وقال ما تقولون فقالت الحنفية عن بكرة
ابيها يحنث واختلف قول الشافعية فيها فتبسم القاضي الرشيد وقال
له اذهب لا شيء عليك • وكنت اشاهد الامام ابا بكر فخر
الاسلام الشاشى في مجاسه بباب العامة من دار الخلافـة ياتيه
السائل فيقول له حلفت الا البس هـذا الثـوب فياخـذ من هدبته

(١) في خ استوفت وهو الظاهر (٢) اقرب ما ظهر

مقدار الاصبع ثم يقول له البسه لاحنث عليك . وشاهدته اذا جاء اليه رجل قال حلفت الا افعل كذا واضطررت اليه فيقول له قل اذا وقع على امرأتي طلاقي فهي طالق قبله ثلاثا ثم يكتب له انه قال كذا فليفعل ما شاء وليطلق متى شاء فانه لا يقع عليها طلاقه . فانظر الى لينهم للخلق وتسهيلهم عليهم ، وفي ذلك قدوة بعمر بن الخطاب . قال ملك في الموطا ان رجلا قال لامرأته حبلك على غاربك فكتب الى (١) عمر ان يوافيه بالموسم فبينما هو يطوف بالبيت اذ لقيه الرجل فسلم عليه وقال له انت الذي امرتني ان اقدم عليك فقال عمر برب هذا البيت ما أردت بقولك حبلك على غاربك قال اردت الفراق فقال عمر هو ما اردت . فانظر كيف رفق به على غلطته وحلفه حين اتهمه . ولم يبق لمن وضع قيد راحلته على غاربها فيها بقية من ربط ، ولا جزء من قيد . ولكن قلده دركه . وكفى به قدوة ، واما في المسئلة (٢) القاضى فى رفع الحنث عن الناس فانه (٣) دين . وما اخذ الله الناس بحكم في الدنيا ولا بذنب فى الآخرة . وكل من حنث ناسيا فالحق انه لا شيء عليه

---

[١] لعل الاصل اليه [٢] لعل الاصل في مسئلة [٣] خ فاقامة دين

بحال . واما المسئلة الثانية في الحنث ببعض الفعل وعدم البر ببعضه فما لك فيها على الحق حسب ما بيناه في موضعه . واما المسئلة السريجية فهي تلاعب بالدين لا ينبغي ان يلتفت اليها . والحيل في تغيير الاحكام غير نافعة في دين الاسلام . ولكن ينبغي للفقيه المجتهد لا للحافظ للمسائل المقلد اذا جاء من وقع في انشوطة من يمين ان يخلصه بمسئلة ظاهرة بين الصحابة والتابعين اذا رأى انه ان لم يخلصه بها وقع في اشد منها ، وهو ان يستهين بالمسئلة ويفتح فيها ما لا يجوز فالافضل للمفتى ان يفتح له بابا ويمشى به على طرائق . فانه ان سد عليه باب الشرع (١) فتح هو الى الحنث بابا يقتحمه ، واخذ في طريق من المعصية يسلكه ، ورأي انه قد وقع في ورطة لا يبالى ما صنع بعد ذلك وهذه سيرة العلماء المتقدمين ، وطريقة الاحبار الراسخين . قد كان ملك رضوان الله عليه يفتى بان من قال ان تزوجت فلانة فهي طالق انها تطلق عليه . اذا تزوجها، فلما ساله المخزومى عنها له او لغيره قال له لا شئ عليه . وكذلك كان ابن القسم يفتى فيمن حلف بالمشي الى مكة فحنث انه يلزمه

(١) اقرب ما ظهر

المشى اليها . فلما وقعت المسئلة لوالده افتاه بمذهب عائشة رضي الله عنها انه يجزيه كفارة يمين مخافة ان يكلفه المشى فلا يفعله فيستهين بمسئلة في الدين فيكون ذلك طريقا الى غيرها فيستهين ايضا بها فاراد ان يخرجه عنها . ويحتمل ان يكون رأى ذلك ابن القسم فقال له ما راى . والله اعلم • وكذلك مسئلة الحلال عليه حرام على اختلاف الفاظها وهى عشرة ، وتعدد احكامها وهى خمسة عشر قولا • وقد بيناها في احكام القرءان وغيره • وفى المدونة فى بعض الاقوال انه لا شيء فيها • وملك لم ير بهذا القول حرمة الا اذا قصد به الزوجة • فاما لو قال الحلال عليه حرام فجعلها علماؤنا كناية عن الزوجة ينوى فيها في موضع ولا ينوى في آخر • وقال في الحلال عليه حرام له ان يحاشيها بقلبه ويقول لم انوها • وليس معه ما يحرم سواها فاذا حاشاها بقي اللفظ لغو فلم يعده ملك بذيا (١) ورأي القول ساقطا • فاذا ضعفت المسئلة عند العالم كان ما تركب عليها اضعف مثل ان يحلف بالحلال عليه حرام الا يا كل كذا فاكله ناسيا • فدخلت مسئلة النسيان على مسئلة الحرام

---

(١) اقرب ماظهر

فضعفت • وليس فى القـوة كمن يحلف بالطلاق ناسيا فيحنث ، كما
يقال فى الحرام انه ينوى ما قصد مما لم يقصد كذلك يقـال (١)
فى النسيان لم يقصده فلا يدخل فى اليمين • وهذا جزء (٢) من
الفتوى عظيم فى تركيب المتفق عليه على المختلف فيه ، وهو امر
خفي على علمائنا فافهموه ، وكذلك مسئلة الا يمان اللازمة ،عظم
القول فيها المتاخرون ، وانتهـى الحـال ببعضهم الى ان يلزموه
الطلاق الثلاث ويعطوه من كل اصل من الا يمان اقله الا الطلاق
فانهم يلزمونه اكثره ، وملك قد اعطاه الا قل فى قوله له على
اشد ما اخذه احد على احد ، قال يطلق نساءه ، ومذهب مالك الصريح
انه اذا الزم الرجل نفسه جميع الطـلاق كان لغوا فاحري اذا
الزم نفسه جميع الا يمان ان يكون لغوا ، وهـذا دستور فى
الفتوى ينبغي ان ينظر به سواه ، فاما ان وقعت نازلة عظمى بالمسلمين
فلا ينبغى ان يقتصر فيها على عـالم واحـد ، كما كانت الصحابة
تفعله ، وليسئل عنها كل من يظن ان عنـده علما ، فانها ان وضعت
فى يدى غير اهلها كان ذلك عائدا بفساد الحال ، وربما تعدى الى

---

(١) فى نخ يقال له ان فى النسيان (٢) كذا بالاصل والظاهر جزء

اكثر منه . وكفى بك داء ان تعرض علتــك على غيــر طبيب ، لا سيما ان كان هنالك حسارة (١) ، وعلى ايثار الدنيا على الدين هوادة. فتلك علة لا برء منها. وعثــرة لا لعا لها ، كحادثة بقى بن مخلد فانه جاء بعلم عظيم واستاثر بمذهب لا مامته ولم ير ان يقلد احدا فرمته القرطبية عن قوس واحد فاستقل به ابن ابى هاشم الوزير ، بل قل اغاثه العزيز القدير ، وحماه ، ومات على ظهور وجاه . ولقد سمعت يونس بن محمد وكــان من جلة القرطبية يقول ان بقى بن مخلد حضر فــي جنازة احتفل فيها اهل الدولة والوزير ابن ابى هاشم حاضر واقاموا ينتظرون الجنازة فجذبوا ذيل الحديث الى ان نظر الوزير الى تلك الشارة الزهراء ، والابهة العظمى ، والحفل الاكبر . فقال لبقي بن مخلد يافقيه اين هذه الهيبة والجلالة من التى رايت (٢) بتلك . فقــال له بقى جهرا انتم تزيدون عليهم بثلاثة اشياء . فاشتشرف الوزير الى سماع كلامه (٣) مستبشرا بما صرح به من الزيادة لهذه الحــال على تلك . فقال له وما هذه الاشياء التى (٤) ذكرت زدنا عليهم . قال الجهل ، والفقر ، وقلة

---

(١) اقرب ما ظهر (٢) او في تلك (٣) اقرب ما ظهر (٤) كذا بالاصل والعبارة الموفية ذكرت انا زدنا عليهم بها

العقل ، فخجل الوزير وابهت الكل . واحتملها (١) كان بينه وبينه ، ولان الا صل فهو (٢) الحق ان الله وقاه. وكذلك وجدت الحال انا هناك وهاهنا بعد ما تين [٣] وثمانين عاما على تلك النسبة وكذلك يكون الى يوم القيامة . والله اعلم

تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الاربعاء فى العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمس وستمائة والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه اجمعين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

م

) بياض بالاصل والعبارة التامة واحتملها لما كان (٢) او وهو (٣) اقرب ما ظهر

فهرس

الجزء الثاني من « العواصم من القواصم »

للامام ابن العربي

فهرس
الجزء الثاني من الكتاب
فيه بيان العواصم والقواصم واهم المباحث

التعريف بكتاب « العواصم من القواصم » للامام ابن العربى

ان العالم لا يكون اماما فى الاسلام حتى يكون اماما في فقه العربية . اماما فى فقه القرآن ، اماما في فقه السنة ، اذ بدون هذه لا يفقه الاسلام ، فتلك لغته التي بها انزل ، وذلك كتابه الذي عليه يعول ، وتلك بيانه ممن به ارسل . وان العلماء الذين بلغوا هذه الذروة فى الثلاثة في كل عصر ومصر قليلون ، وفى درجات هاته المنزلة متفاوتون .

اذا نظرنا فى آثار ابن العربي التى تركها لنا في كتاب احكام القرءان وقد نشر ، وكتاب المسالك على موطا مالك ومنه نسخة خطية فى المكتبة العمومية بالعاصمة ، وكتاب القبس على موطا مالك بن انس ومنه نسخة عتيقة اندلسية فى خزانتنا — وسننشرها ان شاء الله ، وعارضة الاحوذى على جامع الترميذي وكتاب العواصم من القواصم الذى بين ايدينا — اذا نظرنا في هذه الآثار علمنا ان هذا الامام ممن بلغوا تلك الذروة وانه جمع الى الامامة في تلك الاصول الامامة فى الاصلين ، وفى الفقه ، وفى علوم الحديث .

والتبحر فى سائر العلوم الاسلامية المعروفة فى عصره ومصره الراقيين المزدهرين ، والبصر باقوال الفرق الاسلامية بذلك العهد ، والخبرة باحوال الناس والزمان . وانه كان فى استقلاله العلمى كما قال عن نفسه فى هذا الكتاب : « هل انا الا ناظر من النظار ادين بالاختيار واتصرف فى الاصول بمقتضى الدليل » .

قد كتب هذا الامام فى علوم الاسلام الكتب الممتعة الواسعة وسار فيها كلها على خطة البحث والتحقيق والنظر والاستدلال بعلم صحيح وفكر ثاقب وعارضة واسعة وعبارة راقية فى البلاغة واسلوب حلو جذاب فى التعبير .

وهذا كتاب «العواصم من القواصم» من اخر ما الف قد سار فيه على تلك الخطة ، وجمع فيه على صغر حجمه بين سائر كتبه العلميه فوائد جمة وعلوما كثيرة ، فتعرض فيه لاراء فى العلم باطلة ، وعقائد فى الدين ضالة وسماها قواصم ، واعقبها بالاراء الصحيحة والعقائد الحقة مؤيدة بادلتها النقلية ، وبراهينها العقلية المزيفة لتلك الاراء والمبطلة لتلك العقائد وسماها عواصم . فانتظم ذلك مناظرة الفلاسفة السفسطائيين والطبائعيين والالاهيين ، ومناظرة الباطنية

والحاولية ، وارباب الاشارات من غلاة الصوفية وظاهريه العقائد ، وظاهرية الاحكام ، وغلاة الشيعة والفرقة المتعصبة للاشخاص باسم الاسلام واستتبع ذلك ذكر ماوقع فى الصدر الاول من الفتن ، والكلام على الخلافة والامامة وبيان فضل الصحابة واندرج في اثناء ذلك كله تحقيقات تاريخية ومباحث حديثية وتفسيرية ولغوية ونصائح علمية وارشادات تذكيرية كلها في افادة وايجاز حتى لا تخلو صفحة من صفحات الكتاب مما تشد عليه يد الضنين .

سالكا فى سبيل الاحتجاج لعقائد الاسلام ، وابطال العقائد المحدثة عليه من المنتمين اليه ، السبيل الاقوم الارشد ، سبيل الاستدلال بالايات القرءانية والاحاديث النبوية التي هى ادلة نقلية فى نصوصها عقلية برهانية في مدلولها ، وهذه الطريقة التي ارادها بقوله فى هذا الكتاب : « وهكذا هى حقيقة الملة من اراد ان يدخل فيها داخلة رد عنها اليها بادلتها » وهى طريقة القرءان الذى اتضح به كمال الشريعة في عقائدها وادلتها .

واذ لم يكن بد من الخطا لغير المعصوم فليس تفاضل الناس في

السلامه منه ، وانما تفاضلهم في قلته وكثرة الصواب التي تغمره وللامام ابن العربي في كتابه هذا مما ذكرناه في وصفه من كمال ما يذهب بما قد يكون فيه من بعض خطإ يسير لا يسلم منه بشر ، وحسب كتابه هذا ان يكون موردا معينا لطلاب العقائد الاسلامية الحقة باداتها القاطعة ، واصول الاسلام الخالية مما احدثه المحدثون من خراف وتدجيل ، وان يكون انموذجا راقيا في التحقيق في البحث والتعمق في النظر والاستقلال في الفكر والرجوع الى الدليل والاعتقاد بانظار الايمة الكبار . وان يكون صفحة تاريخ صادق لما كانت عليه الحالة الفكرية للمسلمين بالشرق والغرب في عصر المؤلف وهو القرن الخامس الهجري . وكفى بهذا كله باعثا لنا على طبعه ونشره وتعميم فايدته

اول سماعي بهذا الكتاب وفضله كان من العلامة الكبير استاذنا الشيخ محمد النخلي احد اساطين جامع الزيتونة المعمور ، والنهضة الفكرية بتونس فاستعرت نسخته من خزانة الجامع وكانت هي النسخة الوحيدة للكتاب بها .

كتبت هذه النسخة بخط اندلسي قديم في القالب الربعي

وكتب في اخرها : « تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الاربعاء في العشر الاوسط من شهر ربيع الاخر سنة خمس وخمسين وستمائة »

كانت هذه النسخة فى خزانة الجامع كالكنز الدفين ، يمنع من الاستفادة التامة منها صعوبة خطها وتخليط اوراقها واظن ان المسفر لما جمع اوراقها عند التسفير جمع كما اتفق . ففككت سفرها وبذلت الجهد فى ترتيبها حتى كملت كما هى بدون ان تنقص منها ورقة . ثم بعد بسنوات عزمت على نشرها فاستعرت النسخة من خزانة الجامع المذكور واستنسخت منها بنفسى نسخة قدمتها للطبع بالمطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة وابقيت النسخة الاصلية لأ راجعها عند التصحيح وقد بذلت الجهد في النقل والتصحيح رغم صعوبة الخط ومواضع المحو والتخريج ثم راجعت الجزءين بعد تمام طبعهما فالحقت بكل واحد منها جدول الخطا والصواب واذا بقيت بقايا قليلة فانها لا تخفى على اللبيب .

والله اسال قبول العمل وغفران الزلل ونفع المستفيدين انه جواد كريم رؤوف رحيم

ترجمة

الامام ابن العربى

بقلم الناشر

معتمدا على ما في الديباج لابن فرحون ونفح الطيب للمقرى

نسبه واوليته

هو ابوبكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد ابن العربى المعافري الاشبيلي الاندلسي .

عرفنا من اوليته اباه فقد كان فقيها من فقهاء بلده اشبيلية ذا مكانة ورياسة وحظوة عند ملوكها بنى عباد قال عنه صاحب المطمح : (كان .. باشبيلية بدرا في فلكها ، وصدرا فى مجلس ملكها . واصطفاه معتمد بنى عباد ، اصطفاء المامون لابن ابى دواد ، وولاه الولايات الشريفة . وبوأه المراتب المنيفة ، فلما اقفرت حمص من ملكهم وخلت ، والقتهم منها وتخلت رحل به الى المشرق ، وحل فيه محل الخائف الفرق ، فجال في اكنافه ، واجال قداح الرجاء فى استقبال العز واستئنافه ، فلم يسترد ذاهبا ، ولم يجد لمعتمده باذلا له

وواهيا ، ففاء الى الرواية والسماع ، وما استفاد من آمال تلك الاطماع

وقال عنه ابن فرحون : « سمع ببلدة من ابي عبد الله بن منظور وابي محمد بن خزرج . وبقرطبة من ابي عبد الله محمد بن عتاب وابي مروان ابن سراج ، وحصلت له عند العبادية اصحاب اشبيلة رياسة ومكانة، فلما انقضت دولتهم خرج الى الحج مع ابنه القاضي ابي بكر يوم الاحد مستهل ربيع الاول سنة خمس وثمانين واربعمائة »

وبعد ما مكث بالمشرق بضع عشرة سنة توفى بالاسكندرية اول سنة ثلاث وتسعين .

(نشاته)

نشا ابوبكر في كنف ابيه — وقد عرفت من هو — فارضعه اخلاف الادب واحضره مجالس العلم فتادب وقرا القراءات وسمع من ابيه وخاله ابي القاسم الحسن الهوزني . واستكمل العلم وحصل اسباب الامامة بعد رحلته الى المشرق مع ابيه

وقال هو عن نفسه : حذقت القرءان ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرءان والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه ،

وتمرنت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي ابي الى المشرق .

(رحلته)

رحل مع ابيه في التاريخ المذكور وسنه اذ ذاك سبعة عشر عاما . وقال صاحب المطمح عن سنه وحاله ايام الغربة مع ابيه : « وابوبكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب ما دوح ، وفي روض الشباب زهر ما صوح ، فالزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ، ولازمه سائقا اليها وحاديا ، حتي استقرت به مجالسه . واطردت له مقايسه فجد في طلبه ، واستجد به ابو لامتمزق اربه ، وبقي ابوبكر متفردا ، وللطلب متجردا ، حتي اصبح في العلم وحيدا ، ولم تجد عنه الرياسة محيدا »

دخل الشام والعراق وبغداد وحج سنة تسع وثمانين وعاد الى بغداد ثم صدر عن بغداد واقام بالاسكندرية ثم انصرف منها الى الاندلس سنة خمس وتسعين بعد عامين من وفاة ابيه فتقدم ببلده اشبيلية . وقال صاحب المطمح عن قفوله الى وطنه « فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ، ولا نبائه متسمعة . فناهيك من حظوة لقي . ومن عزة سقي . ومن رفعة سما اليها ورقي ، وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن انس اثبتها فيها وخلدها »

واذ كان رحل سنة خمس وثمانين وسنه سبعة عشر عاما ورجع سنة خمس وتسعين فقد قضى في الغربة عشرة اعوام وقفل الى وطنه اماما عظيما وسنه سبعة وعشرون عاما •

اشياخه

سمع بالاندلس اباه وخاله وابا عبد الله السرقسطي وببجاية ابا عبدالله الكلاعي وبالمهدية اباالحسن بن الحداد الخولاني وبالاسكندرية من الانماطي وبمصر من ابي الحسن الخلعي ولقي بها ابا الحسن بن مشرف ومهديا الوراق واباالحسن بن داوود الفارسي . ولقي بالشام ابا نصر المقدسي وابا سعيد الزنجاني وابا سعيد الرهاوى وابا القاسم ابن ابي الحسن القدسي والاكفاني وابن الفرات الدمشقي . وسمع ببغداد من ابي الحسن الصيرفي والبزاز وابن طرخان ومن النقيب ابي الفوارس الزينبي وجعفر بن احمد السراج زكرياء التبريزى وابن بندار . وسمع بمكة من ابي على الحسين الطبري . ولقي ببغداد ايضا الشاشي والامام ابا بكر والامام ابا حامد الطوسي الغزالي والامام ابا بكر الطرطوشي

تلامذته

اشهر من اخذ عنه القاضى عياض والامام السهيلى صاحب الروض الانف والحافظ ابن بشكوال في كثيرين غيرهم .

منزلته فى العلم والفضل

ونريد ان نتعرفها ممن ترجموا له من تلامذته والقريبين من عصره . قال الحافظ ابن بشكوال فيه : « الامام الحافظ ختام علماء الاندلس ، كان موصوفا بالعلم والكمال » وقال ابن سعيد : « هو الامام العالم القاضى الشهير فخر المغرب » وقال ابن الزبير . « قيد الحديث وضبط ما روى واتسع في الرواية واتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام على أئمة هذا الشان وكان فصيحا حافظا اديبا شاعرا كثير الملح مليح المجاس » ثم قال ابن الزبير : قال القاضي عياض بعد ان وصفه بما ذكرته : « ولكثرة حديثه

واخباره وغريب حكاياته ورواياته اكثر الناس الكلام وطعنوا فى حديثه »

من يعني القاضى عياض بالناس الذين اكثروا الكلام وطعنوا في حديث ابن العربي ؟ قطعا لا يعنى بهم العلماء لاننا سمعنا فيما تقدم ما وصفوه به ومنهم القاضي عياض نفسه . وانما عنى بهم العامة

واشباه العامة ممن تضيق اذهانهم عن تصور ما لم تره ابصارهم من مثل ما شاهده ابن العربي في مدن الشرق ومدنيته الزاهرة في ذلك العهد ، وتقصر مداركهم عما تحيط به عقول العلماء المتوسعين في العلم الراسخين فيه مثل ابن العربي « خزانة العلم وقطب المغرب »

وهاك واقعة دالة على سعة علم ابن العربي وتحامل اهل القصور عليه حتى جاء امام عظيم فبين صدقه وقصور اولئك المتحاملين :

« قال الزرقاني في شرحه على المواهب في غزوة الفتح : وروى ابن مسدى ان ابا بكر بن العربي قال لابن جعفر بن المرخي حين ذكر ان مالكا تفرد به (حديث انس في دخول النبي صلى الله عليه واله وسلم مكة وعلى رأسه المغفر) قد رويته من ثلاثة عشر طريقا غير طريق مالك فقالوا له افدنا الفوائد فوعدهم ولم يخرج لهم شيئا . وقال الحافظ ابن حجر في نكته : « استبعد اهل اشبيلية قول ابن العربي حتى قال قائلهم :

يا اهل حمص ومن بها اوصيكم ❀ بالبر والتقوى وصية مشفق
فخذوا عن العربي اسمار الدجى ❀ وخذوا الرواية عن امام متقي
ان الفتى ذرب اللسان مهذب ❀ ان لم يجد خبرا صحيحا يخلق

واراد باهل حمص اهل اشبيلية » قال الحافظ : « وقد تتبعت طرقه فوجدته كما قال ابن العربي بل ازيد» فعد ستة عشر نفسا غير مالك رووه عن الزهري وعزاها لمخرجيها قال : « ولم ينفرد الزهرى به بل تابعه يزيد الرقاشي عن انس . اخرجه ابو الحسن الموصلى في فوائده ولم ينفرد به انس بل تابعه سعد بن ابى وقاص وابو برزة الاسلمى في سنن الدار قطنى وعلى بن ابى طالب في المشيخة الكبرى لابى محمد الجوهرى وسعيد بن يربوع والسائب بن يزيد فى مستدرك الحاكم » قال : (فهذه طرق كثيرة غير طريق مالك عن الزهري عن انس ، فكيف يحل لاحد ان يتهم اماما من ائمة المسلمين بغير علم ولا اطلاع) انتهي

لله در ابن العربي لما وعدهم ولم يخرج لهم شيئا . لقد ضن بعلمه على المعاندين . ولم يعدم حقه من ينصره ولو كان ذلك بعد قرون ، وجزى الله الحافظ ابن حجر عن العلم وايته خير الجزاء .

ولنعد الى نقل كلام مترجميه فيه . قال ابن فرحون : (وقدم بلده اشبيلية بعلم كثير لم يات به احد قبله ممن كانت له رحلة الى المشرق ، وكان من اهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها

والجمع لها متقدما في المعارف كلها متكلما في انواعها نافذا في جميعها حريصا على آدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها . ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود)

ولايته القضاء

ولي قضاء قضاة كورة بلده اشبيلية فقام فيه بالعدل والقوة ولحقه من جراء ذلك بلاء ومحنة ابقت له ثناء وذكرا ثم صرف عنه .

قال ابن الزبير : « وولي القضاء مدة اولها سنة ثمان (لعله بعد الاربعمائة) فنفع الله به لصرامته ونفوذ أحكامه ، والتزم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اوذي في ذلك بذهاب كتبه وما له فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء واقبل على نشر العلم وبثه »

وقال القاضي عياض : « واستقضى ببلده فنفع الله به اهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه . وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة وتوثر عنه في قضائه احكام غريبة »

وقال المقري في نفح الطيب : (وقام بامر القضاء احمد قيام

مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين ، وقد روى عنه انه امر بثقب اشداق زامر) ولعل هذا من الاحكام الغريبة التي اشار اليها القاضي عياض ٠

محنته

قد عرفنا مما تقدم ان ابن العربي اصابته محنة في قضائه بسبب شدته في الحق وصرامته في الاحكام ٠ وقد ذكر هو هذه المحنة في كتاب العواصم وانها كانت بسبب الزامه الناس الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٠ وقال المقرى : (وما برح معظما الى ان تولى خطة القضاء ووافق ذلك ان احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم ٠ وكان ذلك في عيد اضحي فاحضروها كارهين ٠ ثم اجتمعت العامة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره)

ولا منافاة بين هذا وما قبله فان امره بالمعروف ونهيه عن المنكر كان متكررا وعند هذه الواقعة — والامر فيهاعام — قامت عليها العامة ولا شك انها لا تخلو من ايعاز من حساد ابن العربي من الخاصة ٠ وهكذا من يريد ان يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن

المنكر على وجه التنفيذ ــ مقدر له ان يلقى هذه وامثالها .

تصانيفــه

كان هذا الامام من المصنفين المكثرين المجيدين قال ابن الزبير ــ ونقله عنه ابن فرحون ــ : « وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة مفيدة . منها احكام القران كتاب حسن (مطبوع بمصر) وكتاب المسالك في شرح موطامالك (منه نسخة في مكتبة الجزائر بها نقص وعندنا منه بجزءفيه مايكمل ذلك النقص) وكتاب القبس (سنمثله للطبع ان شاء الله) وعارضة الاحوذى على كتاب الترمذي (منه نسخة بجامع الزيتونة) والقواصم والعواصم والمحصول فى اصول الفقه وسراج المريدين وسراج المهتدين وكتاب المتوسط وكتاب المتكلمين (كذا في ابن فرحون واراه المشكلين مشكل الكتاب والسنة) وله تاليف في حديث ام زرع وكتاب الناسخ والمنسوخ وتخليص التلخيص وكتاب القانون في تفسير القرءان العزيز وله غير ذلك من التآليف . وقال في كتاب القبس انه الف كتابه المسمى انوار الفجر في تفسير القرءان في عشرين سنة ثمانين الف ورقة وتفرقت بايدى الناس (قلت) :ــ ابن فرحون ــ واخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالاسكندرية في سنة ستين وسبعمائة قال رايت تاليف القاضي ابى بكر ابن العربى في تفسير القرءان المسمى انوار الفجر كاملا في خزانة السلطان الملك العادل امير المسلمين ابى عنان فارس ابن السلطان امير المسلمين ابى الحسن على ابن السلطان امير المسلمين ابى سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق .

وكان السلطان اذ ذاك بمدينة مراكش ، وكانت له خزانة كتب يحملها معه في الاسفار وكنت اخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت اسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلدا ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء . قال ابو الربيع وهذا المخبر يعني يوسف ثقة صدوق رجل صالح كان ياكل من كده »
وذكر المقري من تصانيفه : كتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب النيرين في الصحيحين وكتاب الامد الاقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب في الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح في تعيين الذبيح وتفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافر في ان لا دليل على النافر ، وكتاب السباعيات وكتاب السلسلات وكتاب التوسط في معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصار في مسايل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر في الشفاعة وكتاب ستر العورة وكتاب اعيان الاعيان وكتاب ملجاة المتفقهين الى غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد مالا يوصف .

مولده وفاته

ولد ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين واربعمائة .

وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع اهل بلده الى الحضرة (عاصمة مراكش) بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فادركته منيته فحمل ميتا الى مدينة فاس فدفن بتربة القائد مظفر خارج باب المحروق وصلى عليه صاحبه ابو الحكم بن حجاج

وكانت وفاته في ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة رحمه الله ونعمه انتهى

يتاكد تصحيح الكتاب بورقة الخطا والصواب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٠٦	١٠	الاعـواض	الاعراض
٠٩	١٦	مجرين	مجرى
١١	١٠	از بعة	ار بعـة
١٢	٠١	الناظر	بالناظر
١٢	١٣	.. ى	تـرى
١٣	٠٦	الملك	الملك
١٣	٠٩	بعده	بعـده
١٣	١١	.. اه	يراه
٢٥	٠٥	بكـلة	بكلمة
٢٨	١١	ولا	والا
٣١	٠٣	لحد	لحمد
٣٦	٠٧	من طريق	وأما ما جاء من طريق
٣٩	١١	بعد الله	بعدالله
٥٢	٠٦	يتمـعض	يتبعض
٥٣	٠٩	الحل	المحـال
٦٠	٠٥	عماه	علمـه
٦٢	١٠	بالالفاظ	فالفاظ
٠٠	٠٠	(وكـذا بالاصل)	
٦٢	١٦	فـا	بـما
٦٣	١٠	اجمين	اجمعـين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٠٠	١١	الصراط لحاجة	الصراط لحجة
٦٤	٠٥	عمل	يحمل
٦٤	٠٨	بخبير	يخبر
٦٥	٠٤	خير الدنيا	خير من الدنيا
٦٨	٠٢	يحلونه	يحملونه
٠٠	٠٤	القيت حضرتي	الفيت حضرتي
٠٠	٠٠	لا قحة	لا ثقة
٦٩	٠١	لقد	قد
٧٠	٠٣	في عملي	في علمي
٧١	١٥	بظالمهم	بظلمهم
٧٢	٠٤	العور	العوراء
٠٠	٠٥	تنتقي	تنتفي
٠٠	١٦	مغار	صغار
٧٣	٠١	الجنان	الجان
٠٠	٠٤	تعدل	تعد
٧٤	٠٤	ابن موسى	ابي موسى
٨٠	٠٧	بقاه	بذاه
٨٠	١٣	تقيد	يقيد
٨١	٠٨	فيها	فما
٨٢	٠٢	يجبله	يجعله

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٠٠٠	٠٣	في النائم	و النائم
	١٥	سقط بعد قوله لماتت هذه الكلمات : « انما اختلف العلماء قديما وحديثا فيمن ترك الصلاة متعمدا هل يكون بذلك كافرا» فقال احمد الخ	
٠٨٥	٠٥	هو	و هو
٠٨٩	٠٩	فما	فيها
٠٩٤	٠١	الحب	الجب
٠٩٤	٠٧	برا	بريا
٠٩٦	٠٤	لفظله	لفظه
١٠١	١٤	من تركنا	ما تركنا
١٠٥	١٠	بقتل	مقتل
١٢٠	١٣	ابن عمر وعلي	ابن عمر (فقط)
١٢٠	١٥	انصار الله	انصار الله مرتين
١٣٨	١١	ابو سف	ابو يوسف
١٤٢	٠١	فيما	فما
١٤٩	١٠	فلم على	فلم يبق على

صفحه	سطر	خطا	صواب
١٦٥	٠٩	بياض	مسلمة
١٧٨	١٥	ابا بكر	ابا بكرة
١٨٠	١٦	الحافــة	الحاقه
١٩١	١١	لقضايه ايضا	بقضائه ايضا
١٩٧	٠٩	بياض	بخط
٢٠٦	١٤	عنه	عند
٢١٢	٠٤	بدا واحد	بدا من واحد
٢١٤	١١	غلطتــه	غلظته
٢١٤	١٤	الناس	الناسى

انتهی